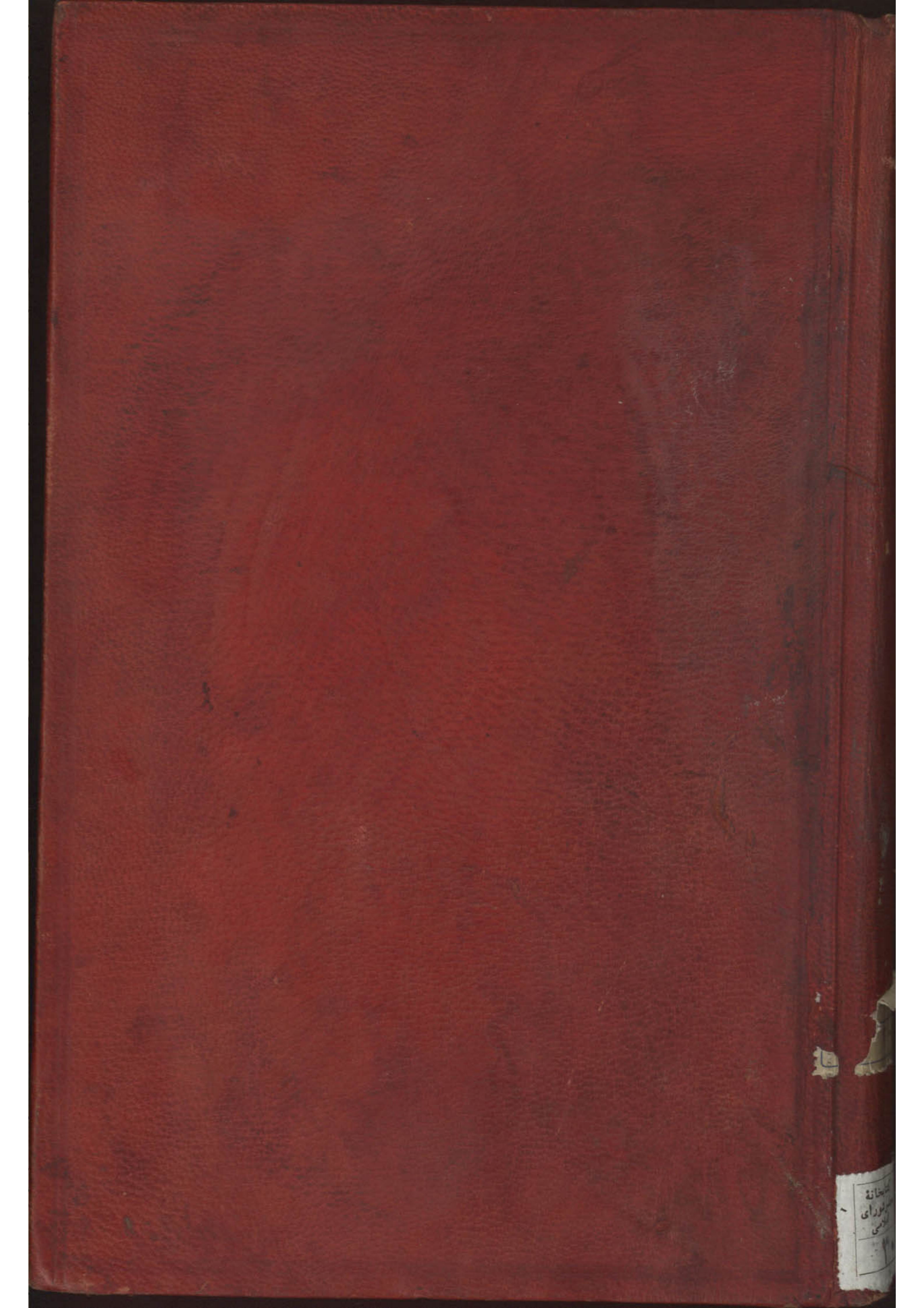
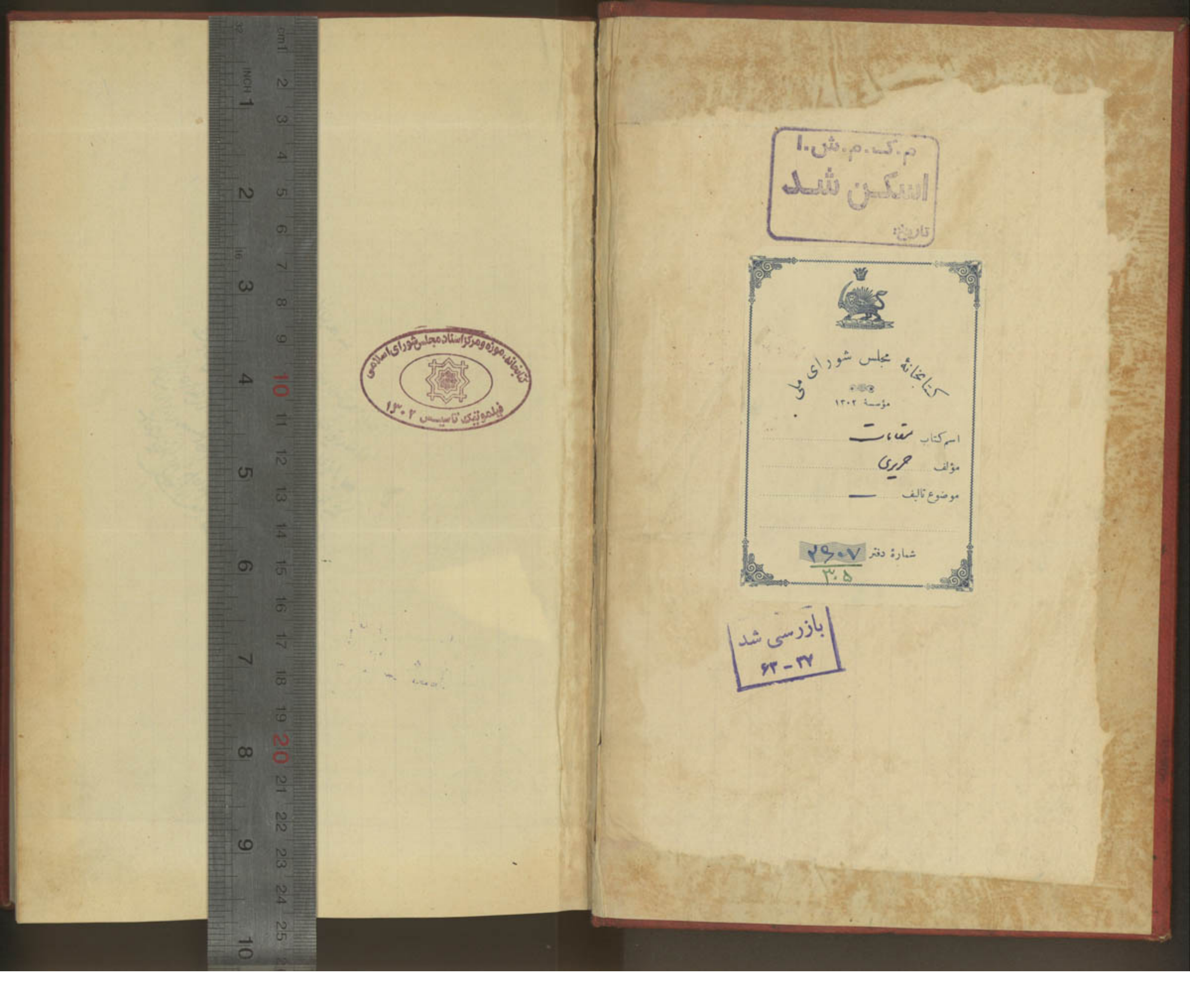
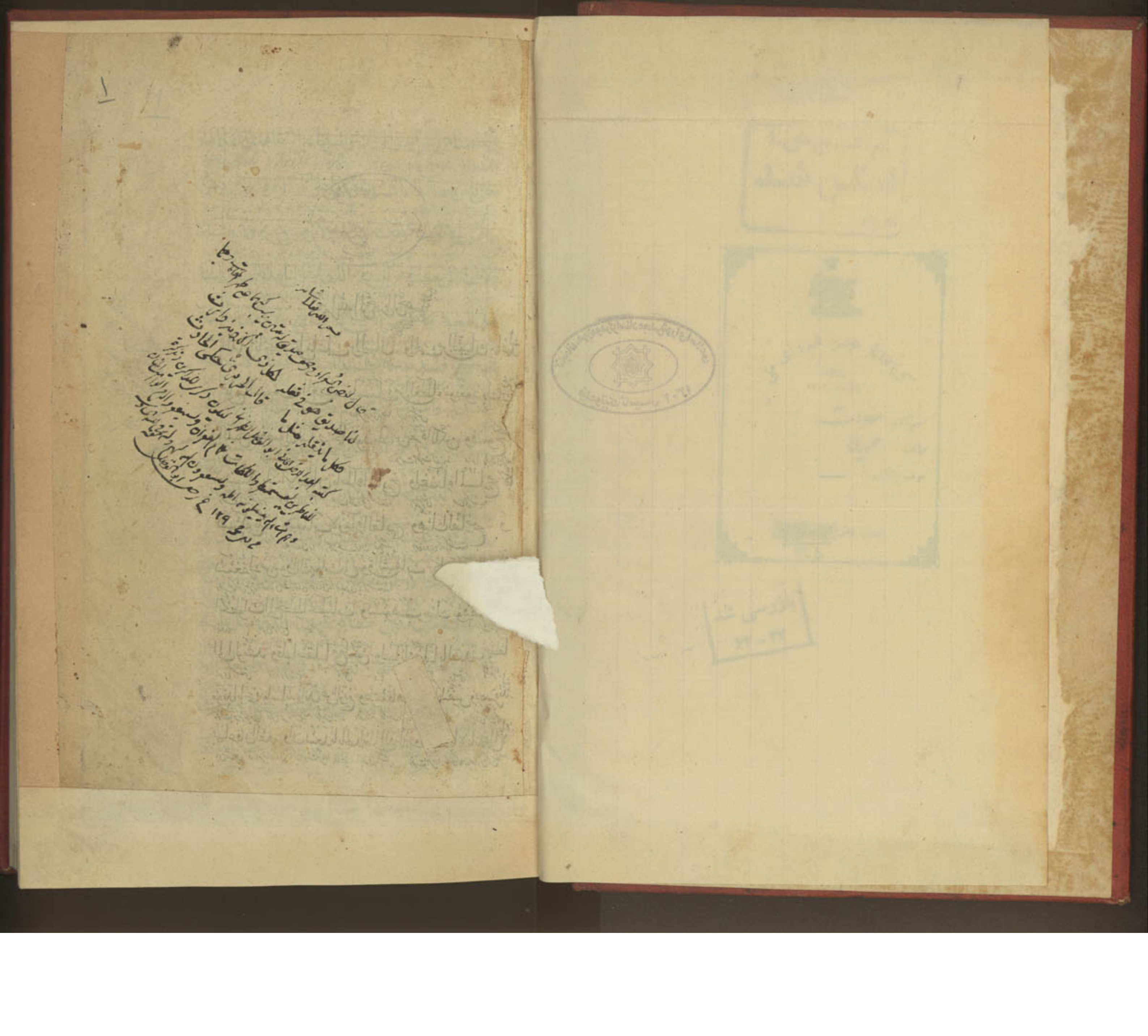



کتابخانه، موزه و مرکز اسناد مجلس شورای اسلامی
فیلموتیک تاسیس ۱۳۰۲
م.ک.م.ش.ا
اسکن شد
تاریخ:
کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
مؤسسهٔ ۱۳۰۲
اسم کتاب مقامات
مؤلف حریری
موضوع تالیف —
شمارهٔ دفتر ۲۶۰۷
۳۰۵
بازرسی شد
۳۷ - ۶۳


م.ک.م.ش.ا
اسکن شد
تاریخ:
کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
مؤسسهٔ ۱۳۰۲
اسم کتاب مقامات
مؤلف حریری
موضوع تالیف
شمارهٔ دفتر ۲۶۰۷
۳۰۵
بازرسی شد
۶۳-۳۷
کتابخانه، موزه و مرکز اسناد مجلس شورای اسلامی
فیلموتیک تاسیس ۱۳۰۲





بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان والهمت من التبيان كما نحمدك
على ما اسبغت من العطاء واسبلت من الغطاء ونعوذ بك من شرة
اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة اللكن وفضوح الحصر
ونستكفي بك الافتتان باطراء المادح واغضاء المسامح كما
نستكفي بك الانتصاب لازراء القادح وهتك الفاضح و
نستغفرك من سوق الشهوات الى سوق الشبهات كما نستغفرك من نقل
الخطوات الى خطط الخطيئات ونستوهب منك توفيقا قائدا
الى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا بالصدق ونطقا
مؤيدا بالحجة واصابة ذائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى النفس وبصيرة ندرك
بها عرفان القدر وان تسعدنا بالهداية الى الدراية وتعضدنا بالاعانة على الابانة

وتعصمنا من الغواية في الرواية وتصرفنا عن السفاهة في الفكاهة
حتى نامن حصائد الالسنة ونكفى غوائل الزخرفة فلا نرد مورد
ماثمة ولا نقف موقف مندمة ولا نرهق بتبعة ولا معتبة
ولا نلجأ الى معذرة عن بادرة اللهم فحقق لنا هذه المنية وانلنا
هذه البغية ولا تضحنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا مضغة
للماضغ فقد مددنا اليك يد المسئلة وبخعنا بالاستكانة لك
والمسكنة واستنزلنا كرمك الجم وفضلك الذي عم بضراعة الطلب
وبضاعة الامل ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر والشفيع المشفع
في المحشر الذي ختمت به النبيين واعليت درجته في عليين
ووصفته في كتابك المبين فقلت وانت اصدق القائلين و
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين انه لقول رسول كريم ذي قوة
عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين اللهم فصل عليه
وعلى اله الهادين واصحابه الذين شادوا الدين واجعلنا لهديهم
متبعين وانفعنا بمحبته ومحبتهم اجمعين انك على
كل شي قدير وبالاجابة جدير فانه جرى ببعض اندية الادب

الذي ركدت في هذا العصر ريحه، وخبت مصابيحه، ذكر المقامات
التي ابتدعها بديع الزمان، وعلامة همذان، رحمه الله، وعزا إلى أبي
الفتح الإسكندري نشأتها، وإلى عيسى بن هشام روايتها، وكلاهما
مجهول لا يعرف، ونكرة لا تتعرف، فأشار من إشارته حكم، وطاعته
غنم، إلى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع، وإن لم يدرك
الظالع شأو الضليع، فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين،
ونظم بيتا أو بيتين، واستقلت من هذا المقام الذي فيه يحار
الفهم، ويفرط الوهم، ويسبر غور العقل، وتتبين قيمة المرء
ويضطر صاحبه إلى أن يكون كحاطب ليل، أو جالب رجل وخيل،
وقلما سلم مكثار، أو أقيل له عثار، فلما أسعف بالإقالة،
ولا أعفي من المقالة، لبيت دعوته تلبية المطيع، وبذلت في
مطاوعته جهد المستطيع، وأنشأت على ما أعانيه من قريحة
جامدة، وفطنة خامدة، وروية ناضبة، وهموم ناصبة، خمسين مقامة
تحتوي على جد القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله، وغرر البيان
ودرره، وملح الأدب ونوادره، إلى ما وشحتها به من الآيات، ومحاسن

الكنايات، ورصعته فيها من الأمثال العربية، واللطائف الأدبية،
والأحاجي النحوية، والفتاوى اللغوية، والرسائل المبتكرة، والخطب
المحبرة، والمواعظ المبكية، والأضاحيك الملهية، مما أمليت
جميعه على لسان أبي زيد السروجي، وأسندت روايته إلى الحارث
بن همام البصري، وما قصدت بالإحماض فيه، إلا تنشيط قارئيه،
وتكثير سواد طالبيه، ولم أودعه من الأشعار الأجنبية، إلا بيتين
فذين، أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية، وآخرين توأمين،
ضمنتهما خواتم المقامة الكرجية، وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره،
ومقتضب حلوه ومره، هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق
غايات، وصاحب آيات، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة،
ولو أوتي بلاغة قدامة، لا يغترف إلا من فضالته، ولا يسري ذلك
المسرى إلا بدلالته، ولله در القائل: فلو قبل مبكاها بكيت
صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم، ولكن بكت قبلي
فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم، وأرجو أن لا أكون
في الهذر الذي أوردته، والمورد الذي تورّدته، كالباحث عن حتفه

بظلفه. والجادع مارن أنفه بكفه. فألحق بالأخسرين أعمالا.
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا
على أني وإن أغمض لي الفطن المتغابي. ونضح عني المحب المحابي.
لا أكاد أخلص من غمر جاهل. أو ذي غمر متجاهل. يضع مني لهذا
الوضع. ويندد بأنه من مناهي الشرع. ومن نقد الأشياء بعين
المعقول. وأنعم النظر في مباني الأصول. نظم هذه المقامات في
سلك الإفادات. وسلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات
والجمادات. ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات. أو أثم
رواتها في وقت من الأوقات. ثم إذا كانت الأعمال بالنيات.
وبها انعقاد العقود الدينيات. فأي حرج على من أنشأ ملحا
للتنبيه لا للتمويه. ونحا بها منحى التهذيب لا الأكاذيب. وهل
هو في ذلك إلا بمنزلة من انتدب لتعليم. أو هدى إلى صراط
مستقيم. على أني راض بأن أحمل الهوى. وأخلص منه لا علي ولا
ليا. وبالله أعتضد فيما أعتمد. وأعتصم مما يصم. وأسترشد
إلى ما يرشد. فما المفزع إلا إليه. ولا الاستعانة إلا به. ولا التوفيق

إلا منه ولا الموئل إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب.

حدث الحارث بن همام قال لما اقتعدت غارب الاغتراب
وأنأتني المتربة عن الأتراب طوحت بي طوائح الزمن إلى صنعاء
اليمن. فدخلتها خاوي الوفاض. بادي الإنفاض لا أملك بلغة
ولا أجد في جرابي مضغة. فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم
وأجول في حوماتها جولان الحائم. وأرود في مسارح لمحاتي. و
مسايح غدواتي وروحاتي. كريما أخلق له ديباجتي. وأبوح إليه
بحاجتي. أو أديبا تفرج رؤيته غمتي. وتروي روايته غلتي.
حتى أدتني خاتمة المطاف وهدتني فاتحة الألطاف إلى ناد
رحيب. محتو على زحام ونحيب. فولجت غابة الجمع لأسبر
مجلبة الدمع. فرأيت في بهرة الحلقة. شخصا شخت الخلقة.
عليه أهبة السياحة. وله رنة النياحة. وهو يطبع الأسجاع
بجواهر لفظه. ويقرع الأسماع بزواجر وعظه. وقد أحاطت
به أخلاط الزمر. إحاطة الهالة بالقمر. والأكمام بالثمر. فدلفت

البه لاقتبس من فوائده والتقط بعض فرائده فسمعته يقول
حين خب في مجاله وهدرت شقاشق ارتجاله ايها السادر في
غلوائه السادل ثوب خيلائه الجامح في جهالاته الجانح الى
خزعبلاته الام تستمر على غيك وتستمرئ مرعى بغيك و
حتام تتناهى في زهوك ولا تنتهي عن لهوك تبارز بمعصيتك
مالك ناصيتك وتجترئ بقبح سيرتك على عالم سريرتك
وتتوارى عن قريبك وانت بمرأى رقيبك وتستخفي من
مملوكك وما تخفى خافية على مليكك أتظن ان ستنفعك
حالك اذا آن ارتحالك او ينقذك مالك حين توبقك اعمالك
او يغني عنك ندمك اذا زلت قدمك او ينعطف عليك
معشرك يوم يضمك محشرك هلا انتهجت محجة اهتدائك
وعجلت معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك وقدعت
نفسك فهي اكبر اعدائك اما الحمام ميعادك فما اعدادك
وبالمشيب انذارك فما اعذارك وفي اللحد مقيلك فما قيلك
والى الله مصيرك فمن نصيرك طالما ايقظك الدهر فتناعست

وجذبك الوعظ فتقاعست وتجلت لك العبر فتعاميت
وحصحص لك الحق فتماريت واذكرك الموت فتناسيت وامكنك
ان تواسي فما آسيت تؤثر فلسا توعيه على ذكر تعيه وتختار
قصرا تعليه على بر توليه وترغب عن هاد تستهديه الى
زاد تستهديه وتغلب حب ثوب تشتهيه على ثواب تشتريه
يواقيت الصلات اعلق بقلبك من مواقيت الصلاة ومغالاة
الصدقات آثر عندك من موالاة الصدقات وصحاف الالوان
اشهى اليك من صحائف الاديان ودعابة الاقران آنس لك
من تلاوة القرآن تأمر بالعرف وتنتهك حماه وتحمي عن النكر و
لا تتحاماه وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه ثم انشد تبا لطالب دنيا ثنى اليها انصبابه
ما يستفيق غراما بها وفرط صبابه ولو درى لكفاه مما يروم
صبابه ثم انه لبد عجاجته وغيض مجاجته واعتضد
شكوته وتأبط هراوته فلما رنت الجماعة الى تحفزه ورأت
تأهبه لمزايلة مركزه ادخل كل منهم يده في جيبه فافعم له سجلا

من سبّه. وقال اصرف هذا في نفقتك او فرّقه على رفقتك فقبله
منهم مغضيا وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودّع من يشيّعه ليخفى
عليه مهيعه ويسرّب من يتبعه لكي يجهل مربعه قال الحرث
بن همام فاتبعته مواريا عنه عياني وقفوت اثره من حيث
لا يراني حتى انتهى الى مغارة فانساب فيها على غرارة فامهلته
ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته مجاذيا
لتلميذ على خبز سميذ وجدي حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ
فقلت له يا هذا ايكون ذاك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ
وكاد يتميّز من الغيظ ولم يزل يحملق الي حتى خفت ان يسطو
علي فلما ان خبت ناره وتوارى اواره انشد: لبست
الخميصة ابغي الخبيصة. وانشبت شصّي في كل شيصة.
وصيّرت وعظي احبولة اريغ القنيص بها والقنيصة. والجاني
الدهر حتى لجت بلطف احتيالي على الليث عيصه. على انني
لم اهب صرفه. ولا نبض لي منه فريصه. ولا شرعت بي على
مورد. يدنّس عرضي نفس حريصه. ولو انصف الدهر في حكمه

لما ملّك الحكم اهل النقيصة. ثم قال لي ادن فكل وان شئت فقم
وقل. فالتفت الى تلميذه وقلت له عزمت عليك بمن تستدفع به الاذى
لتخبرني من ذا. فقال هذا ابو زيد السروجي سراج الغرباء وتاج
الادباء. فانصرفت من حيث اتيت وقضيت العجب مما رايت

حكى الحرث بن همام

قال كلفت مذ ميطت عني التمائم ونيطت بي العمائم بان اغشى
معان الادب وانضي اليه ركاب الطلب لاعلق منه بما يكون لي
زينة بين الانام ومزنة عند الاوام وكنت لفرط اللهج باقتباسه
والطمع في تقمّص لباسه اباحث كل من جلّ وقلّ واستسقي الوبل
والطلّ واتعلّل بعسى ولعلّ فلما حللت حلوان وقد بلوت
الاخوان وسبرت الاوزان وخبرت ما شان وزان الفيت
بها ابا زيد السروجي يتقلّب في قوالب الانتساب ويخبط
في اساليب الاكتساب فيدّعي تارة انه من آل ساسان ويعتزي
مرة الى اقيال غسان ويبرز طورا في شعار الشعراء ويلبس حينا
كبر الكبراء بيد انه مع تلوّن حاله وتبيّن محاله يتحلّى برواء

وروايةٍ ومداراةٍ ودرايةٍ وبلاغةٍ رائعةٍ وبديهةٍ مطاوعةٍ
وآدابٍ بارعةٍ وقدمٍ لأعلام العلوم فارعةٍ فكان
لمحاسن آلاته يلبس على علاته ولسعة روايته يصبى إلى
رؤيته ولخلابة عارضته يرغب عن معارضته ولعذوبة
إيراده يسعف بمراده فتعلقت بأهدابه لخصائص آدابه
ونافست في مصافاته لنفائس صفاته فكنت به أجلو همومي
وأجتلي بناني طلق الوجه ملتمع الضياء أرى قربه قربى
ومغناه غنية ورؤيته ريا ومحياه لي حيا ولبثنا على ذلك
برهةً ينشئ كل يوم نزهةً ويدرأ عن قلبي شبهةً إلى أن
جدحت له يد الإملاق كأس الفراق وأغراه عدم العراق
بتطليق العراق ولفظته معاوز الإرفاق إلى مفاوز الآفاق
ونظمه في سلك الرفاق خفوق رايات الإخفاق فشحذ
للرحلة غرار عزمته وظعن يقتاد القلب بأزمته فما
لاقني من لاقني بعد بعده ولا شاقني من ساقني لوصاله
ولا لاح لي مذ ندّ ندٌّ لفضله ولا ذو خلالٍ حاز مثل خلاله

واستتر عني حيناً لا أعرف له عريناً ولا أجد عنه مبيناً فلما آبت
من غربتي إلى منبت شعبتي حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتأدبين
وملتقى القاطنين منهم والمتغربين فدخل ذو لحيةٍ كثةٍ
وهيئةٍ رثةٍ فسلم على الجلاس وجلس في أخريات الناس
ثم أخذ يبدي ما في وطابه ويعجب الحاضرين بفصل خطابه
فقال لمن يليه ما الكتاب الذي تنظر فيه فقال ديوان أبي
عبادة المشهود له بالإجادة فقال هل عثرت له فيما لمحته
على بديعٍ استملحته فقال نعم كأنما يبسم عن لؤلؤٍ منضدٍ
أو بردٍ أو أقاحٍ فإنه أبدع في التشبيه المودع فيه فقال
يا للعجب ولضيعة الأدب لقد استسمنت يا هذا ذا ورم
ونفخت في غير ضرم أين أنت عن البيت النادر الجامع مشبهات
الثغر وأنشدت نفسي الفداء لثغرٍ راقٍ مبسمه وزانه شنب
ناهيك من شنب يفتر عن لؤلؤٍ رطبٍ وعن بردٍ وعن أقاحٍ وعن
طلعٍ وعن حببٍ فاستجاده من حضر واستحلاه واستعاده و
استملاه وسئل لمن هذا البيت وهل حيٌّ قائله أم ميت

فقال أيم الله للحق أحق أن يتبع ❊ وللصدق حقيق بأن يستمع ❊
أنه يا قوم لنجيكم هذا اليوم ❊ قال فكأن الجماعة ارتابت بعزوته ❊
وأبت تصديق دعوته ❊ فتوجس ما هجس في أفكارهم ❊ وفطن
لما بطن من استنكارهم ❊ وحاذر أن يفرط إليه ذم ❊ فقرأ إن
بعض الظن إثم ❊ ثم قال يا رواة القريض ❊ وأساة القول
المريض ❊ إن خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ❊ ويد الحق تصدع رداء
الشك ❊ وقد قيل فيما غبر من الزمان ❊ عند الامتحان يكرم الرجل
أو يهان ❊ وها أنا قد عرضت خبيئتي للاختبار ❊ وعرضت
حقيبتي على الاعتبار ❊ فابتدر أحد من حضر ❊ وقال أعرف
بيتا لم ينسج على منواله ❊ ولا سمحت قريحة بمثاله ❊ فإن آثرت
اختلاب القلوب ❊ فانظم على هذا الأسلوب ❊ وأنشد ❊
فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت ❊ وردا وعضت على العناب
بالبرد ❊ فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب حتى أنشد فأغرب ❊
سألتها حين زارت نضو برقعها القاني ❊ وإيداع
سمعي أطيب الخبر ❊ فزحزحت شفقا غشى سنا قمر ❊

وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر ❊ فحار الحاضرون
لبداهته ❊ واعترفوا بنزاهته ❊ فلما آنس استئناسهم
بكلامه ❊ وانصبابهم إلى شعب إكرامه ❊ أطرق كطرفة العين ❊
ثم قال ودونكم بيتين آخرين وأنشد ❊ وأقبلت يوم
جد البين في حلل سود ❊ تعض بنان النادم الحصر ❊
فلاح ليل على صبح أقلهما غصن وضرست البلور
بالدرر ❊ فحينئذ استنبل القوم قيمته ❊ واستغزروا
ديمته ❊ وأجملوا عشرته ❊ وجملوا قشرته ❊ قال المخبر
بهذه الحكاية ❊ فلما رأيت تلهب جذوته ❊ وتألق جلوته ❊
أمعنت النظر في توسمه ❊ وسرحت الطرف في ميسمه ❊
فإذا هو شيخنا السروجي ❊ وقد أقمر ليله الدجوجي ❊
فهنأت نفسي بمورده ❊ وابتدرت استلام يده ❊ و
قلت له ما الذي أحال صفتك ❊ حتى جهلت معرفتك ❊ وأي
شيء شيب لحيتك ❊ حتى أنكرت حليتك ❊ فأنشأ يقول ❊
وقع الشوائب شيب ❊ والدهر بالناس قلب ❊ إن دان يوما

لتخلص ففي غد يتغلب فلا تثق بوميض من برق فهو
خلب واصبر اذا هو اضرى بك الخطوب والب
فما على التبر عار في النار حين يقلب ثم نهض مفارقا
موضعه ومستصحبا القلوب معه

روى الحرث بن همام قال نظمني واخدانا لي ناد لم يخب
فيه مناد ولا كبا قدح زناد ولا ذكت نار عناد
فبينا نحن نتجاذب اطراف الاناشيد ونتوارد طرف
الاسانيد وقف بنا شخص عليه سمل وفي مشيته
قزل فقال يا اخاير الذخاير وبشاير العشاير عموا
صباحا وانعموا اصطباحا وانظروا الى من كان ذا ندي
وندى وجدة وجدى وعقار وقرى ومقار وقرى
فما زال به قطوب الخطوب وحروب الكروب وشرر شر
الحسود وانتياب النوب السود حتى صفرت الراحة
وقرعت الساحة وغار المنبع ونبا المربع واقوى المجمع
واقض المضجع واستحالت الحال واعول العيال وخلت

المرابط ورحم الغابط واودى الناطق والصامت ورثى
لنا الحاسد والشامت ولما للدهر الموقع والفقر المدقع
الى ان احتذينا الوجى واغتذينا الشجى واستبطنا الجوى
وطوينا الاحشاء على الطوى واكتحلنا السهاد واستوطنا
الوهاد واستوطانا القتاد وتناسينا الاقتاد واستطبنا
الحين المجتاح واستبطانا اليوم المتاح فهل من حر آس
او سمح مواس فوالذي استخرجني من قيلة لقد امسيت اخا
عيلة لا املك بيت ليلة قال الحرث بن همام فاويت
لمفاقره ولويت الى استنباط فقره فابرزت له دينارا و
قلت له اختبارا ان مدحته نظما فهو لك حتما فانبرى
ينشد في الحال من غير انتحال

اكرم به اصفر راقت صفرته
جواب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته
قد اودعت سر الغنى اسرته
وقارنت نجح المساعي خطرته
وحببت الى الانام غرته
كانما من القلوب نقرته
به يصول من حوته صرته
وان تفانت او توانت عترته

يا حبذا نضاره ونضرته * وحبذا مغناته ونصرته
كم آمر به استتبت امرته * ومترف لولاه دامت حسرته
وجيش هم هزمته كرته * وبدر تم انزلته بدرته
ومستشيط تتلظى جمرته * اسر نجواه فلانت شرته
وكم اسير اسلمته اسرته * انقذه حتى صفت مسرته
وحق مولى ابدعته فطرته * لولا التقى لقلت جلت قدرته

ثم بسط يده بعد ما انشد
وقال انجز حر ما وعد، وسح خال اذ رعد، فنبذت الدينار
اليه، وقلت خذه غير ماسوف عليه، فوضعه في فيه
وقال بارك اللهم فيه، ثم شمر للانثناء، بعد توفية الثناء
فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام، سهلت علي ائتناف
اغترام، فجردت دينارا آخر، وقلت هل لك في ان تذمه
ثم تضمه، فانشد مرتجلا، وشدا عجلا: تبا له من خادع مماذق

اصفر ذي وجهين كالمنافق * يبدو بوصفين لعين الرامق
زينة معشوق ولون عاشق * وحبه عند ذوي الحقائق
يدعو الى ارتكاب سخط الخالق * لولاه لم تقطع يمين سارق
ولا بدت مظلمة من فاسق * ولا اشمأز باخل من طارق
ولا شكا الممطول مطل العائق * ولا استعيذ من حسود راشق
وشر ما فيه من الخلائق * ان ليس يغني عنك في المضايق
الا اذا فر فرار الآبق * واها لمن يقذفه من حالق
ومن اذا ناجاه نجوى الوامق * قال له قول المحق الصادق
لا رأي في وصلك لي ففارق

فقلت لما اغزر وبلك فقا
ل والشرط املك، فنفحته بالدينار الثاني، وقلت له عوذهما
بالمثاني، فالقاه في فيه، وقرنه بتوأمه، وانكفأ يحمد مغداه
ويمدح النادي ونداه، قال الحرث بن همام فناجاني قلبي
بانه ابو زيد، وان تعارجه لكيد، فاستعدته وقلت له قد عرفت
بوشيك، فاستقم في مشيك، فقال ان كنت ابن همام فحييت
باكرام، وحييت بين كرام، فقلت انا الحرث فكيف حالك
والحوادث، فقال اتقلب في الحالين بؤس ورخاء، وانقلب
مع الريحين زعزع ورخاء، فقلت كيف ادعيت القزل

وما مثلك من هزل ❊ فاستسره بشره الذي كان انجلى ❊

ثم أنشد حين ولى مستقبلا ❊

تعارجت لا رغبة في العرج ❊ ولكن لأقرع باب الفرج ❊

وألقي حبلي على غاربي ❊ وأسلك مسلك من قد مرج ❊

فإن لامني القوم قلت اعذروا ❊ فليس على أعرج من حرج ❊

أخبر الحرث بن همام ❊ قال ظعنت إلى دمياط ❊ عام هياط ومياط ❊ وأنا يومئذ مرموق الرخاء ❊ موموق الإخاء ❊ أسحب مطارف الثراء ❊ وأجتلي معارف السراء ❊ فرافقت صحبا قد شقوا عصا الشقاق ❊ وارتضعوا أفاويق الوفاق ❊ حتى لاحوا كأسنان المشط في الاستواء ❊ وكالنفس الواحدة في التئام الأهواء ❊ وكنا مع ذلك نسير النجاء ❊ ولا نرحل إلا كل هوجاء ❊ وإذا نزلنا منزلا ❊ ووردنا منهلا ❊ اختلسنا اللبث ولم نطل المكث فعن لنا إعمال الركاب ❊ في ليلة فتية الشباب غدافية الإهاب ❊ فأسرينا إلى أن نضا الليل شبابه ❊ وسلت الصبح خضابه ❊ فحين مللنا السرى ❊ وملنا إلى الكرى

صادفنا أرضا مخضلة الربى ❊ معتلة الصبا ❊ فتخيرناها مناخا للعيس ❊ ومحطا للتعريس ❊ فلما حلها الخليط ❊ وهدأ بها الأطيط ❊ والغطيط ❊ سمعت صيتا من الرجال ❊ يقول لسميره في الرحال ❊ كيف حكم سيرتك ❊ مع جيلك وجيرتك ❊ فقال أرعى الجار ولو جار ❊ وأبذل الوصال لمن صال ❊ وأحتمل الخليط ❊ ولو أبدى التخليط ❊ وأود الحميم ❊ ولو جرعني الحميم ❊ وأفضل الشفيق على الشقيق ❊ وأفي للعشير ❊ وإن لم يكافئ بالعشير ❊ وأستقل الجزيل للنزيل ❊ وأغمر الزميل بالجميل ❊ وأنزل سميري منزلة أميري ❊ وأحل أنيسي محل رئيسي ❊ وأودع معارفي عوارفي ❊ وأولي مرافقي مرافقي ❊ وألين مقالي للقالي ❊ وأديم تسآلي عن السالي ❊ وأرضى من الوفاء باللفاء ❊ وأقنع من الجزاء بأقل الأجزاء ❊ ولا أتظلم حين أظلم ❊ ولا أنقم ولو لدغني الأرقم ❊ فقال له صاحبه ❊ ويك يا بني ❊ إنما يضن بالضنين ❊ وينافس في الثمين ❊ لكن أنا لا أتبع غير المواتي ❊ ولا أسم العاتي بمراعاتي ❊ ولا أصافي من يأبى

انصافي ولا أواخي من يلغي الأواخي ولا أمالي من يخيب آمالي
ولا أبالي بمن صرم حبالي ولا أداري من جهل مقداري
ولا أعطي زمامي من يخفر ذمامي ولا أبذل ودادي لأضدادي
ولا أدع ايعادي للمعادي ولا أغرس الأيادي في أرض
الأعادي ولا أسمح بمواساتي لمن يفرح بمساءتي ولا أرى
التفاتي الى من يشمت بوفاتي ولا أخص بحبائي الا أحبائي
ولا أستطب لدائي غير أودائي ولا أملك خلتي من لا
يسد خلتي ولا أصفي نيتي لمن يتمنى منيتي ولا أخلص
دعائي لمن لا يعم وعائي ولا أفرغ ثنائي على من يفرغ
انائي ومن حكم بأن أبذل وتخزن وألين وتخشن وأذوب
وتجمد وأذكو وتخمد لا والله بل نتوازن في المقال وزن
المثقال ونتحاذى في الفعال حذو النعال حتى نأمن
التغابن ونكفي التضاغن والا فلم أعلك وتعلني
وأقلك وتستقلني وأجترح لك وتجرحني وأسرح اليك
وتسرحني وكيف يجتلب انصاف بضيم وأنى تشرق

شمس مع غيم ومتى أصحب وذو يعسف وأي حر رضي بخطة
خسف ولله أبوك حيث يقول جزيت من أعلق بي وده
جزاء من يبني على أسه وكلت للخل كما كال لي على وفاء الكيل
أو بخسه ولم أخسره وشر الورى من يومه أخسر من أمسه
وكل من يطلب عندي جنى فما له الا جنى غرسه لا أبتغي الغبن
ولا أنثني بصفقة المغبون في حسه ولست بالموجب حقا لمن
لا يوجب الحق على نفسه ورب مذاق الهوى خالني أصدق
الود على لبسه وما درى من جهله أنني أقضي غريمي الدين
من جنسه فاهجر من استغباك هجر القلى وهبه كالملحود في
رمسه والبس لمن في وصله لبسة ملابس من يرغب عن أنسه
ولا ترج الود ممن يرى أنك محتاج الى فلسه قال الحرث بن
همام فلما وعيت ما دار بينهما تقت الى أن أعرف عينهما
فلما لاح ابن ذكاء وألحف الجو الضياء غدوت قبل استقلال
الركاب ولا اغتداء الغراب وجعلت أستقري صوب
الصوت الليلي وأتوسم الوجوه بالنظر الجلي الى أن لمحت

أبا زيد وابنه يتحادثان ؛ وعليهما بردان رثّان ؛ فعلمت أنهما
نجيّا البلوى ؛ وصاحبا البلوى ؛ فقصدتهما قصد كلِفٍ
بدماثتهما ؛ راثٍ لرثاثتهما ؛ وأبحتهما التحوّل إلى رحلي ؛
والتحكّم في كُثري وقُلّي ؛ وطفقت أُسيّر بين السيّارة فضلهما
وأهزّ الأعواد المثمرة لهما ؛ إلى أن غمرا بالنِّحلان ؛ واتخذا من
الخلّان ؛ وكنا بمعرّس نتبيّن منه بنيان القرى ؛ ونتنوّر
نيران القِرى ؛ فلما رأى أبو زيد امتلاء كيسه ؛ وانجلاء
بؤسه ؛ قال لي إن بدني قد اتّسخ ؛ ودرني قد رسخ أفتأذن
لي في قصد قرية لأستحمّ ؛ وأقضي هذا المهمّ ؛ فقلت إذا شئت
فالسرعة السرعة ؛ والرجعة الرجعة ؛ فقال ستجد مطلعي
عليك ؛ أسرع من ارتداد طرفك إليك ؛ ثم استنّ استنان
الجواد في المضمار ؛ وقال لابنه بدارِ بدارِ ؛ ولم نخل
أنه غرّ ؛ وطلب المفرّ ؛ فلبثنا نرقبه ؛ رقبة أهلّة الأعياد
ونستطلعه بالطلائع والروّاد ؛ إلى أن هرم النهار ؛
وكاد جرف اليوم ينهار ؛ فلما طال أمد الانتظار ؛ ولاح

الشمس في الأطمار ؛ قلت لأصحابي قد تناهينا في المهلة
وتمادينا في الرحلة ؛ إلى أن أضعنا الزمان ؛ وبان أن
الرجل مان ؛ فتأهّبوا للظعن ؛ ولا تلووا على خضراء الدِّمن
ونهضت لأحدج راحلتي ؛ وأتحمّل لرحلتي ؛ فوجدت أبا زيد
قد كتب على القتب ؛

يا من غدا لي ساعداً ومساعداً
دون البشر ؛ لا تحسبنّ أني نأيت عن ملال أو أشر ؛ لكنني
مذ لم أزل ممن إذا طعم انتشر ؛

قال فأقرأت الجماعة القتب ؛
ليعذره من كان عتب ؛ فأعجبوا بخرافته ؛ وتعوّذوا من
آفته ؛ ثم إنا ظعنّا ؛ ولم ندر من اعتاض عنّا ؛

حكى الحرث بن همّام ؛ قال سمرت بالكوفة

في ليلة أديمها ذو لونين ؛ وقمرها كتعويذ من لجين ؛ مع رفقة
غذوا بلبان البيان ؛ وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ؛
ما فيهم إلا من يحفظ عنه ؛ ولا يتحفّظ منه ؛ ويميل الرفيق
إليه ولا يميل عنه ؛ فاستهوانا السمر ؛ إلى أن غرب القمر ؛
وغلب السهر ؛ فلما روّق الليل البهيم ؛ ولم يبق إلا التهويم ؛

سمعنا من الباب نبأة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح
فقلنا من الملمّ في الليل المدلهمّ فقال يا اهل
ذا المغنى وقيتم شرّا ولا لقيتم ما بقيتم ضرّا قد دفع الليل
الذي اكفهرّ الى ذراكم شعثا مغبرّا اخا سفار طال
واسبطرّ حتى انثنى محقوقفا مصفرّا مثل هلال الافق
اذ اطرّ وقد عرا فناكم معترّا وامّكم دون الانام طرّا
يبغي قرى منكم ومستقرّا فدونكم ضيفا قنوعا حرّا يرضى
بما احلولى وما امرّ وينثني عنكم ينثّ البرّا
قال الحرث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء
برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا
للغلام هيّا هيّا وهلمّ ما تهيّا فقال الضيف والذي
احلّني ذراكم لا تلمّظت بقراكم او تضمنوا لي الا تتخذوني
كلّا ولا تجشموا لاجلي اكلا فربّ اكلة هاضت الآكل
وحرمته مآكل وشرّ الاضياف من سام التكليف و
آذى المضيف وخصوصا اذى يعلق بالاجسام ويفضي

الى الاسقام وما قيل في المثل الذي سار سائره خير
العشاء سوافره الا ليعجّل التعشّي ويجتنب اكل الليل
الذي يعشّي اللهم الا ان تقد نار الجوع وتحول دون
الهجوع قال فكانه اطّلع على ارادتنا فرمى عن قوس عقيدتنا
لا جرم انّا آنسناه بالتزام الشرط واثنينا على خلقه السبط ولما
احضر الغلام ما راج واذكى بيننا السراج تاملته فاذا
هو ابو زيد فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل المغنم
البارد فان يكن افل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر
او استسرّ بدر النثرة فقد تبلّج بدر النثر فسرت حميّا
المسرّة فيهم وطارت السنة عن مآقيهم ورفضوا الدعة
التي كانوا نووها وثابوا الى نشر الفكاهة
بعد ما طووها وابو زيد مكبّ على اعمال يديه حتى اذا
استرفع ما لديه قلت له اطرفنا بغريبة من غرائب اسمارك
او عجيبة من عجائب اسفارك فقال لقد بلوت من العجائب
ما لم يره الراؤون ولا رواه الراوون وانّ من اعجبها ما عاينته

الليلة قبل انتيابكم ومصيري الى بابكم فاستخبرناه عن
طرفة مراه في مسرح مسراه فقال ان مرامي الغربة لفظتني
الى هذه التربة وانا ذو مجاعة وبوسى وجراب كفؤاد
فنهضت حين سجا الدجى على ما بي من الوجا لارتاد
مضيفا او اقتاد رغيفا فساقني حادي السغب والقضاء
المكنى ابا العجب الى ان وقفت على باب دار فقلت

حييتم يا اهل هذا المنزل ... وعشتم في خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل ... نضو سرى خابط ليل اليل
جوي الحشا على الطوى مشتمل ... ما ذاق مذ يومان طعم ماكل
ولا له في ارضكم من موئل ... وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة في تململ ... فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لي الق عصاك وادخل ... وابشر ببشر وقرى معجل

قال فبرز الي جوذر وعليه شوذر وقال

وحرمة الشيخ الذي سن القرى ... واسس المحجوج في ام القرى
ما عندنا لطارق اذا عرا ... سوى الحديث والمناخ في الذرى
وكيف

يقري من نفى عنه الكرى ... طوى برى اعظمه لما انبرى
فما ترى فيما ذكرت ما ترى

فقلت ما اصنع في منزل قفر ومنزل حلف فقر ولكن يا فتى ما اسمك فقد فتنني فهمك
فقال اسمي زيد ومنشاي فيد ووردت الى هذه المدرة
امس مع اخوالي من بني عبس فقلت له زدني ايضاحا
عشت ونعشت فقال اخبرتني امي برة وهي كاسمها برة
انها نكحت عام الغارة بماوان رجلا من سراة سروج
وغسان فلما انس منها الاثقال وكان باقعة على ما
يقال ظعن عنها سرا وهلم جرا فما يعرف احي هو فيتوقع
ام اودع اللحد البلقع قال ابو زيد فعلمت بصحة العلامات
انه ولدي وصدفني عن التعرف اليه صفر يدي ففصلت
عنه بكبد مرضوضة ودموع مفضوضة فهل سمعتم يا اولي
الالباب باعجب من هذا العجاب فقلنا لا ومن عنده علم
الكتاب فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق وخلدوها
بطون الاوراق فما سير مثلها في الافاق فاحضرنا الدواة

وأساودها ورقشنا الحكاية على ما سردها ثم استنطقناه
عن مثواه في استضمام فتاه فقال إذا ثقل ردني خف
على أن أكفل ابني فقلنا إن كان يكفيك نصاب من المال
ألفناه لك في الحال فقال وكيف لا يقنعني نصاب وهل
يحتقر قدره إلا مصاب قال الراوي فالتزم كل منا قسطا
وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنع واستنفد
في الثناء الوسع حتى استطلنا القول واستقللنا
الطول ثم إنه نشر من وشي السمر ما أزرى بالحبر إلى
أن أظل التنوير وجشر الصبح المنير فقضيناها ليلة
غابت شوائبها إلى أن شابت ذوائبها وكمل سعودها
إلى أن انفطر عمودها ولما ذر قرن الغزالة طمر طمور
الغزالة وقال انهض بنا لنقبض الصلات ونستنض
الإحالات فقد استطارت صدوع كبدي من
الحنين إلى ولدي فوصلت جناحه إلى أن سنيت نجاحه
فحين أحرز العين في صرته برقت أسارير مسرته وقال

لجزيت خيرا عن خطا قدمك والله خليفتي عليك فقلت
أريد أن أتبعك لأشاهد ولدك النجيب وأنافثه لكي يجيب
فنظر إلي نظرة الخادع إلى المخدوع وضحك حتى تغرغرت
مقلتاه بالدموع ثم أنشد
يا من تظنى السراب ماء لما رويت الذي رويت
ما خلت أن يستسر مكري وأن يخيل الذي عنيت
والله ما برة بعرسي ولا لي ابن به اكتنيت
وإنما لي فنون سحر أبدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الأصمعي فيما حكى ولا حاكها الكميت
تخذتها وصلة إلى ما يجنيه كفي متى اشتهيت
ولو تعافيتها لحالت حالي ولم أحو ما حويت
فمهد العذر أو فسامح إن كنت أجرمت أو جنيت
ثم إنه ودعني ومضى وأودع قلبي جمر الغضا

روى الحارث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى به ذكر البلاغة فأجمع من حضر من فرسان اليراعة وأرباب البراعة على أنه لم يبق من ينقح الإنشاء وينصرف

فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف من يبتدع
طريقة غراء او يفترع رسالة عذراء وان المفلق
من كتاب هذا الاوان المتمكن من ازمة البيان
كالعيال على الاوائل ولو ملك فصاحة سحبان وائل
وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية وعند مواقف
الحاشية فكان كلما شط القوم في شوطهم و
نثروا العجوة والنجوة من نوطهم ينبئ تخازر
طرفه وتشامخ انفه انه مخرنبق لينباع ومجرمز سيمد
الباع ونابض يبري النبال ورابض يبغي النضال
فلما نثلت الكنائن وفاءت السكائن وركدت الزعازع
وكف المنازع اقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيئا
ادا وجرتم عن القصد جدا وعظمتم العظام الرفات
وافرطتم في الميل الى من فات وغمصتم جيلكم الذين
لكم فيهم اللدات ومعهم انعقدت المودات
انسيتم يا جهابذة النقد وموابذة الحل والعقد

ما ابرزته طوارف القرائح وبرز فيه الجذع على
القارح من العبارات المهذبة والرسائل الموشحة
والاساجيع المستملحة وهل للقدماء اذا انعم النظر من
حضر غير المعاني المطروقة الموارد المعقولة الشوارد
المأثورة عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر على
الوارد واني لاعرف الآن من اذا انشأ وشّى واذا عبّر
حبّر وان اسهب اذهب واذا اوجز اعجز وان بده شده
ومتى اخترع خرع فقال له ناظورة الديوان وعين
اولئك الاعيان من قارع هذه الصفاة وقريع هذه
الصفات قال انه قرن مجالك وقرين جدالك واذا
شئت فرض نجيبا وادع مجيبا لترى عجيبا فقال له يا
هذا ان البغاث لا يستنسر والتمييز عندنا بين
الفضة والقضة متيسر وقل من استهدف للنضال
فخلص من الداء العضال او استثار نقع الامتحان فلم
يقذ بالامتهان فلا تعرض عرضك للمفاضح

ولا نُعرض عن نصاحة الناصح • فقال كل امرئ أعرف بوسم قِدحه • وسيُسفر الليل عن صبحه • فتناجت الجماعة فيما
يسبر به قليبه • ويعمد فيه تقليبه • فقال أحدهم ذروه
في حصتي لأرميه بحجر قصتي • فإنها عضلة العُقد • ومحك
المنتقد • فقلّدوه في هذا الأمر الزعامة • تقليد الخوارج أبا
نعامة • فأقبل على الكهل • وقال اعلم أني أوالي هذا الوالي
وأرقّح حالي بالبيان الحالي • وكنت استعين على تقويم
أودي في بلدي • ببعض ذات يدي • مع قلة عددي • فلما ثقل
حاذي • ونفد رذاذي • أممته من أرجاني • برجائي • ودعوته
لإعادة روائي • وارواي • فهشّ للوفادة وراح • فلما
استأذنته في المراح إلى المراح • على كاهل المراح • قال
قد أزمعت ألا أزودك بتاتا • ولا أجمع لك شتاتا • أو تنشئ
أمام ارتحالك • رسالة تودعها شرح حالك • حروف
إحدى كلمتيها يعمّها النقط • وحروف الأخرى لم يعجمن قط •
وقد استأنيت بياني حولا • فما أحار قولا • ونبّهت فكري

سنة • فما ازداد إلا سِنة • واستعنت بقاطبة الكتّاب
فكلٌّ منهم قطّب وتاب • فإن كنت صدعت عن وصفك
باليقين فأت بآية إن كنت من الصادقين • فقال له لقد
استسعبت بعوبا • واستسقيت أسكوبا • وأعطيت القوس
باريها • وأسكنت الدار بانيها • ثم فكّر ريثما استجمّ قريحته
واستدرّ لقحته • وقال له ألق دواتك • وخذ أداتك
واكتب الكرم ثبّت الله جيش سعودك يزين • واللؤم
غضّ الدهر جفن حسودك يشين • والأروع يثيب
والمعور يخيب • والحلاحل يضيف • والماحل يخيف
والسمح يغذي • والمحك يقذي • والعطاء ينجي • والمطال
يشجي • والدعاء يقي • والمدح ينقي • والحرّ يجزي • والإلطاط
يخزي • واطّراح ذي الحرمة غيّ • ومحرمة بني الآمال بغي
وما ضنّ إلا غبين • ولا غبن إلا ضنين • ولا خزن إلا
شقي • ولا قبض راحة تقي • وما فتئ وعدك يفي • وولاؤك
يشفي • وحلمك يغضي • وهلالك يضي • والأولاد وإعلاؤ

تثني وحسامك يفني وسوددك يبني ومواصلك
يجتني ومائحك تقتني وسماحك يغيث وسماؤك
تغيث ودرك يفيض ومرذك يغيض وموئلك شيخ
حكاه في ولم يبق له شي وأملك بظن حرضه يبيت
ومدحك يخب مهورها يحجب ومن أمه يخف و
أواصره تشف وأطرافه يجتذب وملامه يجتنب
ووزائره ضفف مستهم شظف وحصتهم جنف و
غمهم قشف وهو في دمع يجيب وولهٍ يذيب وهم
تضيف وكمد ينيف لمأمول خيب وإهمال شيب
وعدو نب وهدو نغب ولم يرغ وده فيغضب ولا
خبث عوده فيقضب ولا نفث صدره فينفض ولا
نشز وصله فيبغض وما يقتضي كرمك نبذ حرمه
فيبض أمله بتخفيف ألمه يبث حمدك بين عالمه بقيت
لإماطة شجب وإعطاء نشب ومداواة ومراعاة بغي
موصولاً بخفض وسرور غض ما غشي معهد غني أو

خشي وهم غني والسلم فلما فرغ من إملاء رسالته
وجلى في هيجاء البلاغة عن بسالته أرضته الجماعة قولا
وفعلا وأوسعته حفاوة وطولا ثم سئل من أي
الشعوب نجاره وفي أي الشعاب وجاره فقال كامل
غسان أسرتي الصميمة وسروج تربتي القديمة
فالبيت مثل الشمس إشراقا ومنزلة جسيمة
والربع كالفردوس مطيبة ومنزهة وقيمة
واها لعيش كان لي فيها ولذات عميمة
أيام أسحب مطرفي في روضها ماضي العزيمة
أختال في برد الشباب وأجتلي النعم الوسيمة
لا أتقي نوب الزمان ولا حوادثه الملمة
فلو أن كربا متلف لتلفت من كربي المقيمة
أو يفتدى عيش مضى لفدته مهجتي الكريمة
فالموت خير للفتى من عيشه عيش البهيمة
تقتاده برة الصغار إلى العظيمة والهضيمة

وترى الأتباع تؤتيها أيدي الضباع المستفيضة
والذنب للأيام لولا شؤمها لم تنب شيمة
ولو استقامت كانت الأحوال فيها مستقيمة
ثم إن خبره نمي إلى الوالي، فملأ فاه باللآلي، وسامه
أن ينضوي إلى أحشائه، ويلي ديوان إنشائه، فاحتسبه
الحباء، وظلفه عن الولاية الإباء، قال الراوي: وكنت
عرفت عود شجرته، قبل إيناع ثمرته، وكدت أنبه على
قدره، قبل استنارة بدره، فأوحى إلي بإيماض جفنه،
فلما خرج بطين الخرج، وفصل فائزا بالفلج، شيعته
قاضيا حق الرعاية، ولاحيا على رفض الولاية، فأعرض
متبسما، وأنشد مترنما: لجوب البلاد مع المتربة
أحب إلي من المرتبة، لأن الولاة لهم نبوة، ومعتبة يا لها
معتبة، وما فيهم من يرب الصنيع، ولا من يشيد ما رتبه
فلا تخدعنك لموع السراب، ولا تأت أمرا إذا ما اشتبه
فكم حالم سره حلمه، وأدركه الروع لما انتبه

المقامة السابعة البرقعيدية

حكى الحارث بن همام قال: أزمعت الشخوص من برقعيد، و
وقد شمت برق عيد، فكرهت الرحلة عن تلك المدينة،
أو أشهد بها يوم الزينة، فلما أظل بفرضه
ونفله، وأجلب بخيله ورجله، أتبعت السنة
في لبس الجديد، وبرزت مع من برز للتعييد، وحين
التأم جمع المصلى وانتظم، وأخذ الزحام بالكظم، طلع
شيخ في شملتين، محجوب المقلتين، وقد اعتضد
شبه المخلاة، واستقاد لعجوز كالسعلاة، فوقف
وقفة متهافت، وحيا تحية خافت، ولما فرغ من
دعائه، أجال خمسه في وعائه، فأبرز منه رقاعا قد كتبن
بألوان الأصباغ، في أوان الفراغ، فناولهن عجوزه الحيزبون،
وأمرها بأن تتوسم الزبون، فمن آنست ندى يديه،
ألقت ورقة منهن لديه، فأتاح لي القدر المعتوب،
رقعة فيها مكتوب: لقد أصبحت موقوذا بأوجاع وأوجال

وتمنّوا بمختالٍ ومحتالٍ ومغتالِ
وخوّانٍ من الإخوانِ قالٍ لي لإقلالي
وأعمالٍ من العمّالِ في تضييعِ أعمالي
فكم أُصلى بإدخالٍ وإمحالٍ وإخمالِ
ولم أخطر في بالٍ ولا أخطرُ في بالِ
فليتَ الدهرَ لمّا جارَ أطفالي أطفالي
فلولا أنّ أشبالي أغلالي وأغلالي
لما جهّزتُ آمالي إلى آلٍ ولا والِ
ولا جرّرتُ أذيالي على مسحبِ إذلالي
فمحرابي أحرى بي وأسمالي أسمى لي
فهل حرٌّ يرى تخفيفَ أثقالي بمثقالِ
ويطفي حرَّ بلبالي بسربالٍ وسربالِ

قال الحارث بن همّام فلمّا استعرضتُ حلية الأبيات، تقتُ إلى معرفة مُلحِمها، وراقمِ عَلَمِها، فناجاني الفكرُ بأنّ الوصلة إليه العجوز، وأفتاني بأنّ حُلوان المعرف

بعجوز. فرصدتُها وهي تستقري الصفوفَ صفّاً صفّاً، وتستوكفُ الأكفَّ كفّاً فكفّاً. وما إن نجح لها عناءٌ، ولا برّز على يدها إناءٌ. فلمّا أكدى استعطافُها، وكدّها مطافُها، عاذت بالاسترجاع، ومالت إلى ارتجاع الرقاع. وأنساها الشيطانُ ذكرَ رقعتي، فلم تنحُ إلى بقعتي، وآبت إلى الشيخ باكيةً للحرمان، شاكيةً تحامُلَ الزمان. فقال: إنّا لله، وأفوّض أمري إلى الله، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله.

لم يبقَ صافٍ ولا مُصافٍ ولا مُعينٌ ولا مَعينُ
وفي المساوي بدا التساوي فلا أمينٌ ولا أمينُ

ثمّ قال لها: مَنّي النفسَ وعدَها، واجمعي الرقاعَ وعُدّيها. فقالت: لقد عددتُها لمّا استنفدتُها، فوجدتُ يدَ الضياعِ قد غالت إحدى الرقاع. فقال: تعساً لكِ يا لَكاع، أنُحرَمُ ويحكِ القنصَ والحبالة، والقبسَ والذبالة، إنّها لضغثٌ على إبّالة. فانصاعت تقتصّ مدرجها. فلمّا دنت منّي قرنتُ بالرقعة درهماً وقطعةً. وقلتُ لها إن رغبتِ في

المشوف المعلم، وأشرت إلى الدرهم، فوحي بالسر
المبهم، وإن أبيت أن تشرحي، فخذي القطعة واسرحي،
فمالت إلى استخلاص البدر التم، والابلج الهم، وقالت
دع جدالك، وسل عما بدا لك، فاستطلعتها طلع
الشيخ وبلدته، والشعر وناسج بردته، فقالت إن الشيخ
من أهل سروج، وهو الذي وشى الشعر المنسوج، ثم
خطفت الدرهم خطفة الباشق، ومرقت مروق
السهم الراشق، فخالج قلبي أن أبا زيد هو المشار إليه،
وتأجج كربي لمصابه بناظريه، وآثرت أن أفاجئه وأناجيه،
لأعجم عود فراستي فيه، وما كنت لأصل إليه إلا بتخطي
رقاب الجمع، المنهي عنه في الشرع، وعفت أن يتأذى
بي قوم، أو يسري إلي لوم، فلبدت بمكاني، وجعلت
شخصه قيد عياني، إلى أن انقضت الخطبة، وحقت
الوثبة، فتخففت إليه، وتوسمته على التحام جفنيه،
فإذا ألمعيتي ألمعية ابن عباس، وفراستي فراسة إياس،

فعرفته حينئذ شخصي، وآثرته بإحدى قرصي، وأهبت به إلى
قرصي، فهش لعارفتي وعرفاني، ولبى دعوة رغفاني،
وانطلق ويدي زمامه، وظلي إمامه، والعجوز ثالثة
الأثافي، والرقيب الذي لا يخفى عليه خافي، ولما
استحلس وكنتي، واحضرته عجالة مكنتي، قال يا حارث
أمعنا ثالث، فقلت ليس إلا العجوز، قال ما دونها سر
محجوب، ثم فتح كريمتيه، ووارأ بتوأمتيه، فإذا سراجاً وجهه
يتقدان، كأنهما الفرقدان، فابتهجت بسلامة بصره،
وعجبت من غرائب سيره، ولم يلقني قرار، ولا طاوعني اصطبار،
حتى سألته ما دعاك إلى التعامي، مع سيرك في المعامي، وجوبك
الموامي، وإيغالك في المرامي، فتظاهر باللكنة، وتشاغل
باللهنة، حتى إذا قضى وطره، أتاح إلى نظره، وأنشد
ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى، عن الرشد في أنحائه و
مقاصده، تعاميت حتى قيل إني أخو عمى، ولا غرو أن
يحذو الفتى حذو والده، ثم قال انهض إلى المخدع، فأتني

بعسول بروق الطرف وينقي الكف وينعم البشرة

ويعطر النكهة ويشد اللثة ويقوي المعدة

ولكن نظيف الظرف أريج العرف فتي الدق ناعم

السحق تحسبه اللامس ذرورا ويخاله الناشق كافورا

واقرن به خلالة نقية الأصل محبوبة الوصل

أنيقة الشكل مدعاة إلى الأكل لها نحافة الصب

وصقال العضب والة الحرب ولدونة الغصن

الرطب قال فنهضت فيما أمر لا درءا للغرم ولكن

لأعلم إلى ما قصد أن يخدع بإيحالي المخدع ولا

ظننت أنه سخر من الرسول في استدعاء الخلالة و

الغسول فلما عدت بالملتمس في أقرب من رجع

النفس وجدت الجو قد خلا والشيخ والسخلة قد

أجفلا فاستشطت من مكره غضبا وأوغلت في

إثره طلبا فكان كمن قمس في الماء أو عرج به إلى

السماء

المقامة الثامنة وتسمى بالمعرية

أخبر الحارث

بن همام قال رأيت من أعاجيب الزمان أن تقدم خصمان

إلى قاضي معرة النعمان أحدهما قد ذهب منه الأطيبان

والآخر كأنه قضيب البان فقال أيد الله القاضي

كما أيد به المتقاضي إنه كانت لي مملوكة رشيقة القد

أسيلة الخد صبور على الكد تخب أحيانا كالنهد

وترقد أطوارا في المهد وتجد في تموز مس البرد ذات

عقل وعنان وحد وسنان وكف ببنان وفم

بلا أسنان تلدغ بلسان نضناض وترفل في ذيل

فضفاض وتجلى في سواد وبياض وتسقى ولكن

من غير حياض ناصحة خداعة خبأة طلعة مطوعة

على المنفعة ومطواعة في الضيق والسعة إذا قطعت

وصلت ومتى فصلتها عنك انفصلت وطالما خدمتك

فجملت ولربما جنت عليك فآلمت وملمت وإن

هذا الفتى استخدمنيها لغرض فأخدمته إياها بلا

عوض على أن يجتني نفعها ولا يكلفها إلا وسعها

فأولج فيها متاعه، وأطال بها استمتاعه، ثم أعادها
وقد أفضاها، وبذل عنها قيمة لا أرضاها، فقال
الحدث: أما الشيخ فأصدق من القطا، وأما الإفضاء
ففرط عن خطا، وقد رهنته على أرش ما أوهنه مملوكا
لي متناسب الطرفين، منتسبا إلى القين، نقيا من
الدرن والشين، يقارن محله سواد العين، يفشي
الإحسان، وينشي الاستحسان، ويغذي الإنسان،
ويتحامى اللسان، إن سود جاد، أو وسم أجاد، وإذا
زود وهب الزاد، ومتى استزيد زاد، ولا يستقر بمغنى،
وقلما ينكح إلا مثنى، يسخو بموجوده، ويسمو عند جوده،
وينقاد مع قرينته، وإن لم تكن من طينته، ويستمتع
بزينته، وإن لم يطمع في لينته. فقال لهما القاضي: إما
أن تبينا، وإلا فبينا. فابتدر الغلام وقال: منسرح

أعارني إبرة لأرفو أطمار أعفاها البلى وسودها
فانخرمت في يدي على خطإ مني لما جاذبت مقودها

فلم يرى الشيخ أن يسامحني بأرشها إذ رأى تأودها
بل قال هات إبرة تماثلها أو قيمة بعد أن تجودها
واعتاق ميلي رهنا لديه وما أهبت به ساتر برودها
فالعين مرها لرهنه ويدي تقصر عن أن تفك مرودها
فاسبر بذا الشرح غور مسكنتي وارث لمن لم يكن تعودها

فأقبل القاضي على الشيخ وقال: أبن بغير تمويه. فقال:

أقسمت بالمشعر الحرام ومن ضم من الناسكين خيف منى
لو ساعفتني الأيام لم ترني مرتهنا ميله الذي رهنا
ولا تصديت أبتغي بدلا من إبرة غالها ولا ثمنا
لكن قوس الخطوب ترشقني بمصميات من ههنا وهنا
وخبر حالي كخبر حالته ضرا وبؤسا وغربة وضنى
قد عدل الدهر بيننا فأنا نظيره في الشقا وهو أنا
لا هو يستطيع فك مروده لما غدا في يدي مرتهنا
ولا مجالي لضيق ذات يدي فيه اتساع للمعفو حين جنى
هذي قصتي وقصته فانظر إلينا وبيننا ولنا

فلما وعى القاضي قصصهما، وتبين خصاصتهما وخصصهما

أبرز لهما دينارا من تحت مصلاه، وقال اقطعا به الخصام

وافصلاه، فتلقفه الشيخ دون الحدث، واستخلصه على

وجه الجد لا العبث، وقال للحدث نصفه لي بسهم مرتي

وسهمك لي عن إرث أبي، ولست عن الحق أميل، فقم

وخذ الميل، فعرى الحدث لما حدث اكتئاب، وحم له

القاضي وهم، أسفه على الدينار الماضي إلا أنه جبر

بال الفتى وبلباله، بدريهمات رضخ بها له، وقال

لهما اجتنبا المعاملات، وادرآ المخاصمات، ولا تحضراني

في المحاكمات، فما عندي كيس الغرامات، فنهضا عنده

فرحين برفده، مفصحين بحمده، والقاضي ما يخبو جمره مذ

بض حجره، ولا يتنصل كمده، من تشحط ولده، حتى إذا أفاق

من غشيته، أقبل على غاشيته، وقال قد أشرب حسي

ونبأني حدسي، أنهما صاحبا دهاء، لا خصما ادعاء،

فكيف السبيل إلى سبرهما، واستنباط سرهما، فقال له

نحريرهم، وشرارة جمرتهم، إنه لن يبين استخراج خبيهما

إلا بهما، فقفاهما عونا يرجعهما إليه، فلما مثلا بين

يديه، قال لهما أصدقاني سن بكركما، ولكما الأمان

من تبعة مكركما، فأحجم الحدث واستقال، وأقدم الشيخ

وقال: رجز أنا السروجي وهذا ولدي، والشبل

في الخبر مثل الأسد، وما تعدت يده ولا يدي

في إبرة يوما ولا في مبرد، وإنما الدهر المسي

المعتدي، مال بنا حتى غدونا نجتدي، كل ندي

الراحة عذب المورد، وكل جعد الكف مغلول اليد

بكل فن وبكل مقصد، بالجد إن أجدى وإلا

بالدد، لنجتلب الرشح إلى حظ الصدي، وننفد العمر

بعيش أنكد، والموت من بعد لنا بالمرصد، إن لم يفاجي

اليوم فاجا في غد، فقال له القاضي لله درك فما أعذب

نفثات فيك، وواها لك لولا خداع فيك، وإني لك

لمن المنذرين، وعليك من الحذرين، فلا تماكر بعدها

الحاكمين، واتّقِ سطوة المتحكّمين، فما كلّ مسيطرٍ يُقيل، ولا كلّ أوانٍ يُسمع القيل. فعاهده الشيخ على اتّباع مشورته، والارتداع عن تلبيس صورته، وفصل عن جهته، والخزي يلمع من جبهته. قال الحارث بن همّام: فلم أرَ أعجب منها في تصاريف الأسفار، ولا قرأتُ مثلها في تصانيف الأسفار.

المقامة التاسعة الإسكندرية

أخبر الحارث بن همّام قال: طحا بي مرح الشباب، وهوى الاكتساب، إلى أن جُبتُ ما بين فرغانة وغانة، أخوض الغمار، لأجني الثمار، وأقتحم الأخطار، لكي أُدرك الأوطار. وكنتُ لقِفتُ من أفواه العلماء، وثقِفتُ من وصايا الحكماء، أنّه يلزم الأديب أن يستميل قاضيه، ويستخلص مراضيه، ليشتدّ ظهره عند الخصام، ويأمن في الغربة جور الحكّام. فاتّخذتُ هذا الأدب إماماً، وجعلته لمصالحي زماماً. فما دخلتُ مدينة، ولا ولجتُ عرينة، إلّا وامتزجتُ بحاكمها امتزاج الماء بالراح، وتقوّيتُ بعنايته تقوّي الأجساد بالأرواح.

فبينا أنا عند حاكم الإسكندرية، في عشيّةٍ عريّة، وقد أحضر مال الصدقات، ليفُضّه على ذوي الفاقات، إذ دخل شيخٌ عفريّة، تعتُلُه امرأةٌ مُصبية. فقالت: أيّد الله القاضي، وأدام به التراضي، إنّي امرأةٌ من أكرم جرثومة، وأطهر أرومة، وأشرف خؤولةٍ وعمومة، ميسمي الصون، وشيمتي الهون، وخُلُقي نِعم العون، وبيني وبين جاراتي بَون. وكان أبي إذا خطبني بُناة المجد، وأرباب الجدّ، سكّتهم وبكّتهم، وعاف وُصلتهم وصِلتهم، واحتجّ بأنّه عاهد الله تعالى بحلفة، أن لا يُصاهر غير ذي حرفة. فقيّض القدر لوَصَبي ونَصَبي، أن حضر هذا الخُدَعة نادي أبي، فأقسم بين رهطه، أنّه وفق شرطه، وادّعى أنّه طالما نظم درّةً إلى درّة، فباعهما ببَدرة. فاغترّ أبي بزخرفة مُحاله، وزوّجنيه قبل اختبار حاله. فلمّا استخرجني من كِناسي، ورحّلني عن أُناسي، ونقلني إلى كِسره، وحصّلني تحت أسره، وجدتُه قُعدةً جُثَمة، وألفيتُه ضُجعةً نُوَمة. وكنتُ صحبتُه برياشٍ وزيّ،

وأثاثٍ وريّ فما برح يبيعه في سوق الهضم ويتلف
ثمنه في الخضم والقضم الى ان مزّق مالي بأسره وأنفق
مالي في عسره فلما أنساني طعم الراحة وغادر بيتي أنقى
من الراحة قلت له يا هذا انه لا مخبأ بعد بوس ولا عطر
بعد عروس فانهض للاكتساب بصناعتك واجن ثمرة
براعتك فزعم ان صناعته قد رُميت بالكساد لما ظهر
في الارض من الفساد ولي منه سلالة كأنها خلالة وكلانا
لا ننال معه شبعة ولا ترقى له من الطوى دمعة وقد قدته
اليك وأحضرته لديك لتعجم عود دعواه وتحكم بيننا
بما أراك الله فأقبل القاضي عليه وقال قد وعيت قصص
عرسك فبرهن عن نفسك والا كشفت عن لبسك وأمرت
بحبسك فأطرق اطراق الافعوان ثم شمّر للحرب العوان
وقال منسرح اسمع حديثي فانه عجب يضحك من شرحه
وينتحب أنا امرؤ ليس في خصائصي عيب ولا في فخاره
ريب سروج داري التي نشأت بها والاصل غسان

حين انتسب وشغلي الدرس والتبحر في العلم طلابي
وحبذا الطلب ورأس مالي سحر الكلام الذي منه
يصاغ القريض والخطب أغوص في لجة البيان فأختار
اللآلي منه وانتخب واجتني اليانع الجني من القول و
غيري للعود منه يحتطب وآخذ اللفظ فضة فاذا ما صغته
قيل انه ذهب وكنت من قبل امتري نشبا بالادب
المقتنى واحتلب ويمتطي أخمصي لحرمته مراتبا ليس فوقها
رتب وطالما زفت الصلات الى ربعي فلم ارض كل من
وهب فاليوم من يعلق الرجاء به أكسد شيء في سوقه الادب
لا عرض ابنائه يصان ولا يرقب فيهم الّ ولا نسب كأنهم
في عراصهم جيف يبعد من نتنها ويجتنب فحار لبي لما منيت
به من الليالي وصرفها عجب وضاق ذرعي لضيق ذات يدي
وساورتني الهموم والكرب وقادني دهري الملم الى
سلوك ما يشينه الحسب فبعت حتى لم يبق لي لبد ولا بيت
اليه انقلب وادّنت حتى اثقلت سالفتي بحمل دين من دونه

العطب ❊ ثم طويت الحشا على سغب خمسا فلما أمضني

السغب ❊ لم أر إلا جهازها عرضا أجول في بيعه

واضطرب ❊ فجلت فيه والنفس كارهة والعين عبرى والقلب

مكتئب ❊ وما تجاوزت إذ عبثت به حد التراضي فيحدث

الغضب ❊ فإن يكن غاظها توهمها أني بنان بالنظم

تكتسب ❊ أو أنني إن عزمت خطبتها زخرفت قولي ليخدع

الأرب ❊ فوالذي سارت الرفاق إلى كعبته تستحثها

النجب ❊ ما المكر بالمحصنات من خلقي ولا شعاري التمويه

والكذب ❊ ولا يدي مذ نشأت نيط بها إلا مواضي اليراع

والكتب ❊ بل فكرتي تنظم القلائد لا كفي وشعري المنظوم

لا النخب ❊ وهذه الحرفة المشار إليها كنت أحوي بها

واجتلب ❊ فأذن لشرحي كما أذنت لها ولا تراقب واحكم بما

يجب ❊ قال فلما أحكم ما شاده ❊ وأكمل إنشاده ❊ عطف

القاضي على الفتاة ❊ بعد أن شغف بالأبيات ❊ وقال أما

إنه قد ثبت عند جميع الحكام ❊ وولاة الأحكام انقراض

جيل الكرام ❊ وميل الأيام إلى اللئام ❊ وإني لأخال بعلك

صدوقا في الكلام ❊ بريئا من الملام ❊ وها هو قد اعترف لك

بالقرض ❊ وصرح عن المحض ❊ وبين مصداق النظم وتبين

أنه معروق العظم ❊ وإعنات المعذر ملامة ❊ وحبس المعسر

مأثمة ❊ وكتمان الفقر زهادة ❊ وانتظار الفرج بالصبر عبادة

فارجعي إلى خدرك ❊ واعذري أبا عذرك ❊ ونهنهي من غربك

وسلمي لقضاء ربك ❊ ثم إنه فرض لهما في الصدقات حصة

وناولهما من دراهمها قبصة ❊ وقال لهما تعللا بهذه العلالة

وتنديا بهذه البلالة ❊ واصبرا على كيد الزمان وكده فعسى الله

أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ❊ فنهضا ❊ وللشيخ فرحة المطلق

من الإسار ❊ وهزة الموسر بعد الإعسار ❊ قال الراوي

وكنت عرفت أنه أبو زيد ساعة بزغت شمسه ❊ ونزغت

عرسه ❊ وكدت أفصح عن افتنانه ❊ وأثمار أفنانه ❊ ثم أشفقت

من عثور القاضي على بهتانه ❊ وتزويق لسانه ❊ فلا يرى

عند عرفانه ❊ أن يرشحه لإحسانه ❊ فأحجمت عن القول

المرتاب ٭ وطويت ذكره كطيّ السجلّ للكتاب ٭ إلّا أنّي قلت
بعد ما فصل ٭ ووصل إلى ما وصل ٭ لو أنّ لنا من
ينطلق في أثره ٭ لأتانا بنفض خبره ٭ وبما ينشر من حبره ٭
فأتبعه القاضي أحد أمنائه ٭ وأمره بالتجسس على أنبائه ٭
فما لبث أن رجع متدهدها ٭ وهمهم مقهقها ٭ فقال
له القاضي مهيم ٭ يا أبا مريم فقال لقد عاينت عجبا ٭
وسمعت ما أنشا لي طربا ٭ فقال له ما رأيت ٭ وما الذي
وعيت ٭ قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه ٭ ويخالف
بين رجليه ٭ ويغرد بملء شدقيه ٭ ويقول
كدت أصلى ببليّة ٭ من وقاح شمّريّة ٭ وأزور السجن لولا حاكم
الإسكندريّة ٭ فضحك القاضي حتّى هوت دنّيّته ٭ وذوت
سكينته ٭ فلمّا فاء إلى الوقار ٭ وعقّب الاستغراب بالاستغفار
قال اللهمّ بحرمة عبادك المقرّبين حرّم حبسي على المتأدّبين
ثمّ قال لذلك الأمين عليّ به ٭ فانطلق مجدّا في طلبه ٭ ثمّ
عاد بعد لأي ٭ مخبرا بنأيه ٭ فقال القاضي أما إنّه لو حضر

لكفي

لكفي الحذر ٭ ثمّ لأولينّه ما هو أولى ٭ ولأرينّه أنّ
الآخرة خير له من الأولى ٭ قال الحرث بن همّام فلمّا رأيت
صغو القاضي إليه ٭ وفوت ثمرة التنبيه عليه ٭ غشيتني
ندامة الفرزدق حين أبان النوار ٭ والكسعيّ لمّا استبان
النهار ٭

المقامة العاشرة الرحبيّة

حكى الحرث بن همّام
قال هتف بي داعي الشوق ٭ إلى رحبة ٭ مالك بن طوق فلبّيته ٭
ممتطيا شملّة ٭ ومنتضيا عزمة مشمعلّة ٭ فلمّا ألقيت بها
المراسي ٭ وشددت أمراسي ٭ وبرزت من الحمّام ٭ بعد
سبت راسي ٭ رأيت غلاما ٭ أفرغ في قالب الجمال ٭ وألبس
من الحسن حلّة الكمال ٭ وقد اعتلق شيخ ببرديه ٭ يدّعي أنّه
فتك بابنه ٭ والغلام ينكر عرفانه ٭ ويكبر بهتانه ٭ والخصام
بينهما مستطير الشرار ٭ والزحام عليهما يجمع بين الأخيار ٭
والأشرار ٭ إلى أن تراضيا بعد اشتطاط اللدد ٭ بالتنافر
إلى والي البلد ٭ وكان ممّن يزنّ بالهنات ٭ ويغلّب
حبّ البنين على البنات ٭ فأسرعا إلى ندوته ٭ كالسليك

في عدوته. فلما احضراه. جدّد الشيخ دعواه. واستدعى
عدواه. فاستنطق الغلام. وقد فتنه بمحاسن غرّته.
وطرّ عقله بتصفيف طرّته. فقال انها افيكة افّاك على
غير سفاك. وعضيهة محتال على من ليس بمغتال. فقال
الوالي للشيخ ان شهد لك عدلان من المسلمين. والا فاستوف
منه اليمين. فقال الشيخ انه جدله خاليا. وافاح دمه خاليا.
فانّى لي شاهد. ولم يكن ثمّ مشاهد. ولكن ولّني تلقينه
اليمين. ليبين لك أيصدق ام يمين. فقال له انت المالك
لذلك. مع وجدك المتهالك. على ابنك الهالك. فقال
الشيخ للغلام قل والذي زيّن الجباه بالطرر. والعيون
بالحور. والحواجب بالبلج. والمباسم بالفلج. والجفون
بالسقم. والانوف بالشمم. والخدود باللهب. والثغور
بالشنب. والبنان بالترف. والخصور بالهيف. انّي
ما قتلت ابنك سهوا ولا عمدا. ولا جعلت هامته لسيفي
غمدا. والا فرمى الله جفني بالعمش. وخدّي بالنمش. وطرّتي

بالجلح. وطلعي بالبلح. ووردي بالبهار. ومسكي
بالبخار. وبدري بالمحاق. وفضّتي بالاحتراق. وشعاعي
بالظلام. ودواتي بالاقلام. فقال الغلام الاصطلاء
بالبليّة. ولا الايلاء بهذه الاليّة. والانقياد للقود
ولا الحلف بما لم يحلف به احد. وابى الشيخ الا تجرّعه
اليمين التي اخترعها. وامقر له جرعها. ولم يزل التلاحي
بينهما يستعر. ومحجّة التراضي تتعر. والغلام في ضمن تأبيه
يخلب الوالي بتلوّيه. ويطمعه في ان يلبّيه. الى ان ران
هواه على قلبه. والّب بلبّه. وسوّل له الوجد الذي تيّمه
والطمع الذي توهّمه. ان يخلص الغلام ويستخلصه. وان
يبذل من جاله للشيخ ثم يقتنصه. فقال للشيخ هل لك
فيما هو اليق بالاقوى. واقرب للتقوى. فقال الام تشير
لاقفه. ولا اقف فيه. فقال ارى ان تقصر عن القيل
والقال. على مائة مثقال. لاتحمّل منها بعضا. واجبي لك
الباقي عرضا. فقال الشيخ ليس منّي خلاف. فلا يكن لوعدك



اخلاف ففقده الوالي عشرين وود لو نزع على وزن عشر
بتكملة خمسين ورق ثوب الاصيل وانقطع لاجله
صوب التحصيل فقال له خذ ما راج ودع اللجاج
وعلي في غد ان اتوصل الى ان ينض لك الباقي ان
ويتحصل فقال الشيخ افعل ذلك على ان الازمه
ليلتي وارعاه بانسان مقلتي حتى اذا اعفي عند اسفار
الصبح بما بقي من مال الصلح تخلصت غايته من قوب
وبرئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب فقال له الوالي
ما اراك سمت شططا ولا رمت فرطا قال الحرث بن
همام فلما رايت حجة الشيخ كالحجة السريجية علمت انه
علم السروجية فلبثت الى ان زهرت نجوم الظلام
وانتثرت عقود الزحام ثم قصدت فناء الوالي
فاذا الشيخ للفتى كالي فناشدته الله اهو ابو زيد فقال
اي ومحل الصيد فقلت من هذا الغلام الذي
هفت له الاحلام فقال هو في النسب فرخي وفي المكتسب

فخي قلت فهلا اكتفيت بمحاسن فطرته وكففت الوالي
الافتتان بطرته فقال لو لم تبرز جبهته السين لما
قفشت الخمسين ثم قال بت الليلة عندي لنطفي
نار الجوى ونديل الهوى من النوى فقد اجمعت على
ان انسل بسحرة واصلي قلب الوالي نار حسرة قال
فبت معه في سمر انضر من حديقة زهر وجميلة
شجر حتى اذا لالا الافق ذنب السرحان وآن انبلاج
الصبح وحان ركب متن الطريق واذاق الوالي عذاب
الحريق وسلم الي ساعة الفراق رقعة محكمة الالصاق
وقال ادفعها الى الوالي اذا سلب القرار وتحقق منا
الفرار ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة
المتلمس فاذا فيها مكتوب خفيف

قل لوال غادرته بعد بيني نادما سادما يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه لبه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين اعمى هواه عينه فانثنى بلا عينين

خفّض الحزن يا معنّى بجدي ... طلاب الآثار من بعد عين

ولئن جلّ ما عراك كما جلّ ... لدى المسلمين رزء الحسين

فقد أعقبت عنزة فهما وحزما ... واللبيب لا ريب يبتغي ذين

فاعص من بعدها المطامع واعلم ... أن صيد الظبا ليس بهين

لا ولا كل طائر يلج الفخ ... ولو كان محدقا باللجين

ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد ... ولم يلق غير خفي حنين

فتبصر ولا تشم كل برق ... رب برق فيه صواعق حين

واغضض الطرف تسترح من غرام ... تكتسي فيه ثوب ذل وشين

فبلاء الفتى اتباع هوى النفس ... وبدء الهوى طموح العين

قال الراوي فمزقت رقعته شذر مذر ولم أبل أعذل

المقامة الحادية عشرة الساوية

حدث الحرث بن همام قال آنست من قلبي القساوة حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور فلما صرت إلى محلة الأموات وكفات الرفات رأيت جمعا على قبر يحفر ومجنون يقبر فانحزت إليهم مفكرا في المآل ومتذكرا من درج من الآل فلما ألحدوا الميت وفات قول ليت أشرف شيخ من رباوة متخصرا بهراوة وقد لفع وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون فادكروا أيها الغافلون وشمروا أيها المقصرون وأحسنوا النظر أيها المتبصرون ما لكم لا يحزنكم دفن الأتراب ولا يهولكم هيل التراب ولا تعبأون بنوازل الأحداث ولا تستعدون لنزول الأجداث ولا تستعبرون لعين تدمع ولا تعتبرون بنعي يسمع ولا ترتاعون لإلف يفقد ولا تلتاعون لمناح يعقد يشيع أحدكم نعش الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره في استخلاص نصيبه ويخلي بين وديده ودوده ثم يخلو بمزماره وعوده طالما أسيتم على انثلام الحبة وتناسيتم اخترام الأحبة واستهنتم بانقراض الأسرة وضحكتم عند الدفن ولا ضحككم ساعة الزفن وتبخترتم خلف الجنائز ولا تبختركم

يوم قبض الجوائز، وأعرضتم عن تعديد النوادب، إلى
إعداد المآدب، وعن تحرّق الثواكل، إلى التأنّق في
المآكل، لا تبالون بمن هو بالٍ، ولا تخطرون ذكر الموت
ببال، حتى كأنكم قد علقتم من الحِمام بذمام، أو حصلتم
من الزمان على أمان، أو وثقتم بسلامة الذات، وتحققتم
مسالمة هادم اللذات، كلا ساء ما تتوهمون، ثم كلا سوف
تعلمون، ثم أنشد: هزج أيا من يدّعي الفهم
إلى كم يا أخا الوهم، تعبّي الذنب والذمّ، وتخطي الخطأ الجمّ
أما بان لك العيب، أما أنذرك الشيب، وما في نصحه ريب
ولا سمعك قد صمّ، أما نادى بك الموت، أما أسمعك
الصوت، أما تخشى من الفوت، فتحتاط وتهتمّ، فكم تسدر
في السهو، وتختال من الزهو، وتنصبّ إلى اللهو، وكأن
الموت ما عمّ، وحتّام تجافيك، وإبطاء تلافيك، طباعاً
جمعت فيك، عيوباً شملها انضمّ، إذا أسخطت مولاك
فما تقلق من ذاك، وإن أخفق مسعاك، تلظّيت من الهمّ

وإن لاح بك النقش، من الأصفر تهتشّ، وإن مرّ بك
النعش، تغاممت ولا غمّ، تعاصي الناصح البرّ، وتعتاص
وتزورّ، وتنقاد لمن غرّ، ومن مان ومن نمّ، وتسعى في هوى
النفس، وتحتال على الفلس، وتنسى ظلمة الرمس، ولا
تذكر ما ثَمّ، ولو لاحظك الحظ، لما طاح بك اللحظ، ولا
كنت إذا الوعظ، جلا الأحزان تغتمّ، ستذري الدم لا
الدمع، إذا عاينت لا جمع، يقي في عرصة الجمع، ولا خال
ولا عمّ، كأني بك تنحطّ، إلى اللحد وتنغطّ، وقد أسلمك الرهط
إلى أضيق من سمّ، هناك الجسم ممدود، ليستأكله الدود
إلى أن ينخر العود، ويمسي العظم قد رمّ، ومن بعد فلا بدّ
من العرض إذا اعتدّ، صراط جسره مُدّ، على النار لمن أمّ
فكم من مرشد ضلّ، ومن ذي عزة ذلّ، وكم من عالم زلّ
وقال الخطب قد طمّ، فبادر أيها الغمر، لما يحلو به المرّ، فقد
كاد يهي العمر، وما أقلعت عن ذمّ، ولا تركن إلى الدهر، وإن
لان وإن سرّ، فتلفى كمن اغترّ، بأفعى تنفث السمّ، وخفّض

من رانيك فإنّ الموت لاقيك وسار في تراقيك
وما ينجيك من همّ وجانب صعر الخدّ إذا ساعدك الجدّ
وزمّ اللفظ إن ندّ فما أسعد من زمّ ونفّس عن أخي البثّ
وصدّقه إذا نثّ ورمّ العمل الرثّ فقد أفلح من رمّ و
رِش من ريشه انحصّ بما عمّ وما خصّ ولا تأس على النقص
ولا تحرص على اللمّ وعاد الخلق الرذل وعوّد كفّك البذل
ولا تستمع العذل ونزّهها عن الضمّ وزوّد نفسك
الخير ودع ما يعقب الضير وهيّئ مركب السير وخف
من لجّة اليمّ بذا أوصيت يا صاح وقد بحت كمن باح
فطوبى لفتى راح بآدابي يأتمّ ثم حسر ردنه عن ساعد
شديد الأسر قد شدّ عليه جبائر المكر منغرضاً
للاستماحة في معرض الوقاحة فاختلب بذاك الملأ
حتى انتزع كمّه وملأه ثم انحدر من الربوة جذلاً
بالحظوة قال الراوي فحاذيته من ورائه حاشية ردائه
فالتفت إليّ مستسلماً وواجهني مسلّماً فإذا هو شيخنا

أبو زيد بعينه ومينه فقلت له هزج
إلى كم يا أبا زيد أفانينك في الكيد لتحتال بها الصيد
ولا تعبأ بمن ذمّ فأجاب بغير استحياء ولا ارتياء
وقال انظر ودع اللوم وقل لي هل ترى اليوم فتى
لا يقمر القوم متى ما دسته تمّ فقلت له تعساً لك
يا شيخ النار وزاملة العار فما مثلك في طلاوة
علانيتك وخبث نيّتك إلا مثل روث مفضّض
أو كنيف مبيّض ثم تفرّقنا فانطلقت ذات اليمين
وانطلق ذات الشمال وناوحت مهبّ الجنوب وناوح
مهبّ الشمال

المقامة الثانية عشرة الدمشقية

حكى الحارث بن همام قال شخصت من العراق إلى الغوطة
وأنا ذو جرد مربوطة وجدة مغبوطة يلهيني خلوّ الذرع
وتزدهيني حفول الضرع فلما بلغتها بعد شقّ النفس
وإنضاء العنس ألفيتها كما تصفها الألسن وفيها ما تشتهي
الأنفس وتلذّ الأعين فشكرت يد النوى وجريت طلقاً

مع الهوى ٭ وطفقت افض بها ختوم الشهوات ٭ واجتني
قطوف اللذات ٭ الى ان شرع سفر في الاعراق ٭ وقد استففت
من الاغراق ٭ فعادني عيد من تذكار الوطن ٭ والحنين الى
العطن ٭ فقوضت خيام الغيبة ٭ واسرجت جواد الاوبة ٭
ولما تاهبت الرفاق ٭ واستتب الاتفاق ٭ الحنا من المسير
دون استصحاب الخفير ٭ فردناه من كل قبيلة ٭ واعملنا
في تحصيله الف حيلة ٭ فاعوز وجدانه في الاحياء ٭ حتى
خلنا انه ليس من الاحياء ٭ فحارت لعوزه عزائم السيارة ٭
وائتمروا بباب جيرون للاستشارة ٭ فما زالوا بين حل
وعقد ٭ وشزر وسحيل ٭ الى ان نفد التناجي ٭ وقنط
الراجي ٭ وكان حذتهم شخص ميسمه ميسم الشبان ٭ وشارته
شارة الرهبان ٭ وبيده سبحة النسوان ٭ وفي عينه ترجمة
النشوان ٭ وقد قيد لحظه بالجمع ٭ وارهف اذنيه لاستراق
السمع ٭ فلما آن انكفاؤهم ٭ وقد برح لديه خفاؤهم ٭ قال لهم
يا قوم ليفرخ كربكم ٭ وليامن سربكم ٭ فساخفركم بما يسر

روعكم وطوعكم ٭ قال الراوي فاستطلعنا منه طلع
الخفارة ٭ واستنبانا له لحجا الغرارة ٭ فزعم انها كلمات
لقنها في المنام ٭ ليحترس بها من كيد الانام ٭ فجعل بعضنا
يومض الى بعض ٭ ويقلب طرفه بين لحظ وغض ٭ وتبين
له انا استضعفنا الخبر ٭ واستشعرنا الخور ٭ فقال ما لكم اتخذتم
جدي عبثا ٭ وجعلتم تبري خبثا ٭ ولطالما والله جبت
مخاوف الاقطار ٭ وولجت مقاحم الاخطار ٭ فغنيت
بها عن مصاحبة خفير ٭ واستصحاب جفير ٭ ثم اني سا
ماراكم ٭ واستسل الحذر الذي نابكم ٭ بان اوافقكم في
البداوة ٭ وارافقكم الى السماوة ٭ فان صدقكم وعدي فاجدوا
سعدي ٭ واسعدوا جدي ٭ وان كذبكم فيّ فمزقوا ادمي ٭
واريقوا دمي ٭ قال الحرث بن همام ٭ فالهمنا تصديق رؤياه ٭
وتحقيق ما رواه ٭ فنزعنا عن مجادلته ٭ واستهمنا على معادلته ٭
وفصمنا بقوله عرى التربث ٭ والغينا اتقاء العابث
والعائث ٭ ولما عكمت الرحال ٭ وازف الترحال ٭ استنزلنا

كلماتِ الراقية ليجعلها الواقية الباقية فقال ليقرأ
كلُّ منكم أمَّ القرآن كلما أظلَّ الملوان ثم ليقل بلسان
خاضع وصوتٍ خاشع اللهم يا محيي الرفات ويا دافع
الآفات ويا واقي المخافات ويا كريم المكافات ويا
موئل العفاة ويا وليَّ العفو والمعافاة صلِّ على محمدٍ وآل
محمد خاتم أنبيائك ومبلغ أنبائك وعلى مصابيح أسرته
ومفاتيح نصرته وأعذني من نزغات الشياطين ونزوات
السلاطين وإعنات الباغين ومعاناة الطاغين
ومعاداة العادين وعدوان المعادين وغلب الغالبين
وسلب السالبين وحيل المحتالين وغيلة المغتالين
وأجرني اللهم من جور المجاورين ومجاورة الجائرين
وكفَّ عني أكفَّ الظالمين وأخرجني من ظلمات الظالمين
وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين اللهم احفظني
في غربتي وغيبتي وأوبتي ونجعتي ورجعتي وتصرفي
ومنصرفي وتقلبي ومنقلبي واحفظني في نفسي ونفائسي

وعرضي

وعِرضي وعَرَضي وعددي وعُددي وسكني ومسكني
وحولي وحالي ومآلي ومالي ولا تلحق بي تغييرًا ولا
تسلط عليَّ مغيرًا واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا
اللهم احرسني بعينك وعونك واخصصني بأمنك ومنك
وتولني باختيارك وخيرك ولا تكلني إلى كلاءة غيرك
وهب لي عافيةً غير عافية وارزقني رفاهيةً غير واهية
واكفني مخاشي اللأواء واكنفني بغواشي الآلاء ولا تظفر
بي أظفار الأعداء إنك سميع الدعاء ثم أطرق لا يدير
لحظًا ولا يحير لفظًا حتى قلنا قد أبلسته خشيةٌ أو أخرسته
غشيةٌ ثم أقنع رأسه وصعَّد أنفاسه وقال أقسم بالسماء
ذات الأبراج وذات الفجاج والبحر العجاج والهواء و
العجاج إنها لمن أيمن العُوَذ وأغنى عنكم من لابسي
الخُوَذ من درسها عند ابتسام الفلق لم يشفق من خطب
إلى الشفق ومن ناجى بها طليعة الغسق أمن ليلته من
السَّرَق قال فتلقناها حتى أتقناها وتدارسناها

لكي لا ننساها. ثم سرنا نزجي الحمولات، بالدعوات لا بالحداة، ونحمي الحمولات، بالكلمات لا بالكماة، وصاحبنا يتعهدنا بالعشي والغداة، ولا يستنجز منا العدات، حتى إذا غابت أطلال عانة، قال لنا الإعانة الإعانة، فأحضرناه المعلوم والمكتوم، وأريناه المختوم والمركوم، وقلنا له اقض ما أنت قاض، فما تجد فينا غير راض، فما استخف سوى الخف، ولا استحلى غير العين، فاحتمل منهما وقره، ونأى بما يسد فقره، ثم خالسنا مخالسة الطرار، وانصلت منا انصلات الفرار، فأوحشنا فراقه، وأدهشنا امتراقه، ولم نزل ننشده بكل واد، ونستخبر عنه كل مغو وهاد، إلى أن قيل إنه مذ دخل عانة، ما زايل الحانة، فأغراني خبث هذا القول بسبكه، والانسلاك فيما لست من سلكه، فادلجت إلى الدسكرة، في هيئة منكرة، فإذا الشيخ في حلة ممصرة، بين دنان ومعصرة، وحوله سقاة تبهر، وشموع تزهر، وآس وعبهر، ومزمار ومزهر، وهو تارة يستبزل الدنان، وطورا

يستنطق العيدان، ودفعة يستنشق الريحان، وأخرى يغازل الغزلان، فلما عثرت على لبسه، وتفاوت يومه من أمسه، قلت له أولى لك يا ملعون، أأنسيت يوم جيرون، فضحك مستغربا، ثم أنشد مطربا:

متقارب

لزمت السفار وجبت القفار … وعفت النفار لأجني الفرح
وخضت السيول ورضت الخيول … لجر ذيول الصبى والمرح
ومطت الوقار وبعت العقار … لحسو العقار ورشف القدح
ولولا الطماح إلى شرب راح … لما كان باح فمي بالملح
ولا كان ساق دهائي الرفاق … لأرض العراق بحمل السبح
فلا تغضبن ولا تصخبن … ولا تعتبن فعذري وضح
ولا تعجبن لشيخ أبن … بمغنى أغن ودن طفح
فإن المدام تقوي العظام … وتشفي السقام وتنفي الترح
وأصفى السرور إذا ما الوقور … أماط ستور الحيا واطرح
وأحلى الغرام إذا المستهام … أماط اكتتام الهوى وافتضح
فبح بهواك وبرد حشاك … فزند أساك به قد قدح

وداوِ الكلومَ • وسلِّ الهمومَ • ببنتِ الكرومِ التي تُفترح •
وخُصَّ الغبوقَ • بساقٍ يسوقُ • بلاءَ المشوقِ إذا ما طمح •
وشادٍ يُشيدُ • بصوتٍ تَميدُ • جبالُ الحديدِ لان صدح •
وعاصِ النصيحَ • الذي لا يُبيحُ • وصالَ المليحِ إذا ما سمح •
وجُلْ في المحالِ • ولو بالمُحالِ • ودَعْ ما يُقالُ وخُذْ ما صلح •
وفارقْ أباكَ • إذا ما أباكَ • ومُدَّ الشِّباكَ وصِدْ مَن سنح •
وصافِ الخليلَ • وتافِ البخيلَ • وأوْلِ الجميلَ ووالِ المِنَح •
ولُذْ بالمتابِ • أمامَ الذهابِ • فمن دقَّ بابَ كريمٍ فُتِح •

فقلتُ له بخٍ بخٍ لرواياتك • وأُفٍّ وتُفٍّ لغواياتك • فبالله من أيِّ الأعياصِ عيصُك • فقد أعضلني عويصُك • فقال

ما أحبُّ أن أُفصحَ عنّي • ولكنّي ساكنّي •
أنا أطروفةُ الزمانْ • وأعجوبةُ الأممْ •
وأنا الحُوَّلُ الذي احتالَ في العربِ والعجمْ •
غيرَ أنّي ابنُ حاجةٍ هاضهُ الدهرُ واهتضمْ • وأبو صِبيةٍ
بدوا مثلَ لحمٍ على وضمْ • وأخو العَيلةِ المُعيلُ إذا احتالَ لم يُلَمْ •

قال الراوي فعرفتُ حينئذٍ أنّه أبو زيدٍ ذو الرِّيَبِ والعجبِ •

ومسوِّدُ وجهِ الشيبِ • وساءني عُظمُ تمرُّدِه • وقُبحُ توردِه • فقلتُ له بلسانِ الأنفةِ • وإدلالِ المعرفةِ • ألم يأنِ لك يا [illegible] أن تقلعَ عن الخنا فتضجّرَ ورمجرَ • وتنكّرَ وفكّرَ • ثمّ قال هذه ليلةُ مراحٍ لا تلاحٍ • ونُهزةُ شربِ راحٍ لا كفاحٍ • فعُدْ عمّا بدا إلى أن نلتقي غدًا • ففارقتُه فرقًا من عربدتِه لا تعلُّقًا بعِدَتِه • وبتُّ ليلتي لابسًا حدادَ الندمِ • على نقلِ خُطا القدمِ إلى ابنةِ الكرمِ لا الكرمِ • وعاهدتُ اللهَ سبحانه ألّا أحضرَ بعدها حانةَ نبّاذٍ • ولو أُعطيتُ مُلكَ بغداذ • وألّا أشهدَ معصرةَ الشرابِ • ولو رُدَّ عليَّ عصرُ الشبابِ • ثمّ إنّا رحّلنا العيسَ وقتَ التغليسِ • وخلّينا بين الشيخِ أبي زيدٍ وإبليسَ •

المقامة الثالثة عشر البغدادية

روى الحرث بن همّام • قال ندوتُ بضواحي الزوراءِ • مع مشيخةٍ من الشعراءِ • لا يعلَقُ لهم مبارٍ بغبارٍ • ولا يجري معهم ممارٍ في مضمارٍ • فأفضنا في حديثٍ يفضحُ الأزهارَ • إلى أن نصّفنا النهارَ • فلمّا غاضَ درُّ الأفكارِ • وصبتِ

النفوس الى الاوكار، لجنا عجوزا تقبل من البعد، وتحضر
احضار الجرد، وقد استتلت صبية انحف من المغازل،
واضعف من الجوازل، فما كذبت اذ رأتنا، ان عرتنا حتى
اذا ما حضرتنا، قالت حيا الله المعارف، وان لم يكن معارف
اعلموا يا مآل الآمل، وثمال الارامل، اني من سروات
القبائل، وسريات العقائل، لم يزل اهلي وبعلي يحلون
الصدر، ويسيرون القلب، ويمطون الظهر، ويولون
اليد، فلما اردى الدهر الاعضاد، وفجع بالجوارح، وانقلب
ظهرا لبطن، نبا الناظر، وجفا الحاجب، وذهبت العين،
وفقدت الراحة، وصلد الزند، ووهنت اليمين، وبانت
المرافق، ولم يبق لنا ثنية ولا ناب، فمذ اغبر العيش الاخضر،
وازور المحبوب الاصفر، اسود يومي الابيض، وابيض
فودي الاسود، حتى رثى لي العدو الازرق، فحبذا الموت
الاحمر، وتلوي من ترون عينه فراره، وترجمانه اصفراره،
قصوى بغية احدهم بردة، وقصارى منيته بردة، وكنت

آليت

آليت ان لا ابذل الحر، الا للحر، ولو انني مت من الضر، وقد
ناجتني القرونة، بان توجد عندكم المعونة، وآذنتني فراسة
الحوباء، بانكم ينابيع الحباء، فنضر الله امرأ ابر قسمي، وصدق
توسمي، ونظر الي بعين يقذيها الجمود، ويقذيها الجود،
قال فهمنا لبراعة عبارتها، وملح استعارتها،
وقلنا لها قد فتن كلامك، فكيف الحامك، فقالت تفجر
الصخر، ولا فخر، فقلنا ان جعلتنا من رواتك، لم نبخل بمواساتك،
فقالت لارينكم اولا اشعاري، ثم لاروينكم اشعاري،
فابرزت ردن درع دريس، وبرزت برزة عجوز دردبيس،
وانشأت تقول: أشكو الى الله اشتكاء المريض
ريب الزمان المتعدي البغيض، يا قوم اني من اناس
غنوا دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض، فخارهم ليس لهم
دافع وصيتهم بين الورى مستفيض، كانوا اذا ما نجعة
اعوزت في السنة الشهباء روضا اريض، تشب للسارين
نيرانهم ويطعمون الضيف لحما غريض، ما بات جار لهم

ساغباً ولا لروع قال حال الجريض • فغيضت منهم صروف
الردى بحار جود لم أخلها تغيض • وأودعت منهم بطون
الثرى أسد التحامي وأساة المريض • فمحملي بعد المطايا المطا
وموطئي بعد اليفاع الحضيض • وأفرخي ما تأتلي تشتكي
بؤساً له في كل يوم وميض • إذا دعا القانت في ليله
مولاه نادوه بدمع يفيض • يا رازق النعاب في عشه
وجابر العظم الكسير المهيض • أتح لنا اللهم من عرضه
من دنس اللؤم نقي رحيض • يطفئ نار الجوع عنا ولو
بمذقة من حازر أو مخيض • فهل فتى يكشف ما نابهم
ويغنم الشكر الطويل العريض • فوالذي تعنو النواصي له
يوم وجوه الجمع سود وبيض • لولاهم لم تبد لي صفحة
ولا تصديت لنظم القريض • قال الراوي فوالله لقد صدعت
بأبياتها أعشار القلوب • واستخرجت خبايا الجيوب •
حتى ماحها من دينه الامتياح • وارتاح لرفدها من لم
يخل يرتاح • فلما افعوعم جيبها تبراً • وأولاها كل منا براً

تولت يتلوها الأصاغر • وفوها بالشكر فاغر • فاشر
أبت الجماعة بعد ممرها إلى سبرها • لتبلو مواقع برها •
فكفلت لهم باستنباط السر المرموز • ونهضت أقفو
أثر العجوز • حتى انتهت إلى سوق مغتص بالأنام مختص
بالزحام • فانغمست في الغمار • وامّلست من الصبية الأغمار •
ثم عاجت بخلو بال • إلى مسجد خال • فأماطت الجلباب
ونضت النقاب • وأنا ألمحها من خصاص الباب • وأرتقب
ما سيبدي من العجاب • فلما أسفرت عنها أهبة الخفر
رأيت محيا أبي زيد قد سفر • فهممت بأن أهجم عليه
لأعنفه على ما أجرى إليه • فاستلقى استلقاء المتمردين
ثم رفع عقيرة المغردين • واندفع ينشد • يا ليت
شعري أدهري أحاط علماً بقدري • وهل درى كنه
حالي في الخدع أم ليس يدري • كم قد قمرت بنيه بحيلتي
ومكري • وكم برزت بعرف عليهم ونكر • أصطاد
قوماً بوعظ وآخرين بشعر • وأستفز بخل عقلاً وعقلاً

بجمر • وتارة انا صخر وتارة طول عمري • يخاب قدحي
وقدحي ودام عسري وخسري • فقل لمن لام هذا عذري
فدونك عذري • قال الحرث بن همام فلما ظهرت
على جلية امره • وبديع امره • وما زخرف في شعره من
عذره • علمت ان شيطانه المريد • لا يسمع التفنيد
ولا يفعل ما يريد • فثنيت الى اصحابي عناني وابثثتهم
ما اثبته عياني • فوجموا لضيعة الجوائز • وتعاهدوا
على محرمة العجائز

المقامة الرابعة عشرة المكية

حكى الحرث بن همام قال نهضت من مدينة السلام بحجة
الاسلام فلما قضيت بعون الله التفث • واستبحت
الطيب والرفث • صادف موسم الخيف • معمعان الصيف
فاستظهرت للضرورة • بما يقي حر الظهيرة • فبينما نحن
تحت طراف • مع رفقة ظراف • وقد حمي وطيس الحصباء
واعشى الهجير عين الحرباء • اذ هجم علينا شيخ متسعسع
يتلوه فتى مترعرع • فسلم الشيخ تسليم اديب اريب • و

حاور محاورة قريب لا غريب • فاعجبنا بما نثر من
سمطه • وعجبنا من انبساطه قبل بسطه • وقلنا له ما انت
وكيف ولجت وما استاذنت • قال اما انا فعاف • وطالب
اسعاف • وسري غير خاف • والنظر الى شفيعي
كاف • واما الانساب الذي علق به الارتياب
فما هو بعجاب • اذ ما على الكرماء من حجاب • فسألناه
انى اهتدى الينا • وبم استدل علينا • فقال ان للكرام
نشرا تنم نفحاته • ويرشد الى روضه فوحاته • فاستدللت
بارج عرفكم • على تبلج عرفكم • وبشرني تضوع رندكم
بحسن المنقلب من عندكم • فاستخبرناه عن لبانته
ليكفل باعانته • فقال ان لي مآربا • ولفتاي مطلبا •
فقلنا كلا المرامين • سيقضى • وكلاكما سوف يرضى
ولكن الكبر الكبر • فقال اجل ومن نحا السبع الغر ثم
وثب للمقال كالمنشط من العقال وانشد
اني امرؤ يدعى بي بعد الوجا والتعب •



وشقتي شاسعة يقصر عنها خببي
وما معي خردلة مطبوعة من ذهب
فحيلتي منسدة وحيرتي تلعب بي
ان رحلت راجلا خفت دواعي العطب
وان تخلفت عن الرفقة ضاق مذهبي
فزفرتي في صعد وعبرتي في صبب
وانتم منتجع الراجي ومرمى الطلب
لهاكم منهلة ولا انهلال السحب
وجاركم في حرم ووفركم في حرب
ما لاذ من تاع بكم فخاف ناب النوب
ولا استدر امل حباءكم فما حبي
فانعطفوا في قصتي واحسنوا منقلبي
فلو بلوتم عيشتي في مطعمي ومشربي
لساءكم ضري الذي اسلمني للكرب
ولو خبرتم حسبي ونسبي ومذهبي
وما حوت معرفتي من العلوم النخب
لما اعترتكم شبهة في ان دابي ادبي
فليت اني لم اكن ارضعت ثدي الادب
فقد دهاني شؤمه وعقني فيه ابي

فقلنا له اما انت فقد صرحت ابياتك بفاقتك وعرت عن ناقتك وسنعطيك ما يوصلك الى بلدك فما مارته ولدك فقال له قم يا بني كما قام ابوك وفه بما في نفسك لا فض فوك فنهض نهوض البطل للبراز واصلت لسانا كالعضب الجراز وانشاء يقول

يا سادة في المعالي لهم مبان مشيده
ومن اذا ناب خطب قاموا بدفع المكيده
ومن يهون عليهم بذل الكنوز العتيده
اريد منكم شواء وجردقا وعصيده
فان غلا فرقاق بين تواري الشهيده
او لم يكن ذا ولا ذا فشبعة من ثريده

فإن تعدْ نُطرا فعجوة ونهيده
فاحضروا ما تسنّى ولو شظى من قديده
وروّجوه فنفسي لها بروح مريده
والزاد لا بدّ منه لرحلة لي بعيده
وأنتم خير رهط يدعون عند الشديده
أياديكم كلّ يوم لها أيادٍ جديده
وراحكم واصلات شمل الصلات المفيده
ويغتني في مطاوي ما ترفدون رهيده
وفيّ أجر وعقبى نفيس كرّ حميده
ولي نتائج فكر يفضح كلّ قصيده

قال الحرث بن همام فلما رأينا الشبل يشبه الأسد
أرحلنا الوالد وزوّدنا الولد فقابلنا الصنع بشكر
نشر أرديته ولما عزما على الانطلاق وعقد الرحلة
حبل النطاق قلت للشيخ هل ضاهت عدتنا
عدة عرقوب أو بقيت حاجة في نفس يعقوب

فقال

فقال حاش لله وكلا بل جلّ معروفكم وجلّى فقلت
له فدناك كما دنّاك وأفدناك كما أفدناك أين الدويرة
فقد ملكتنا فيك الحيرة فتنفّس تنفّس من ذكر أوطانه
وأنشد والشهيق يلعثم لسانه سروج داري ولكن
كيف السبيل إليها وقد أناخ الأعادي بها وأخنوا
عليها فوالتي سرت أبغي حطّ الذنوب لديها ما راق
طرفي شيء مذ غبت عن طرفيها ثم اغرورقت عيناه
بالدموع وآذنت مدامعه بالهموع فكره أن ينزفها
ولم يملك أن يكفكفها فقطع إنشاده المستحلى وأوجز
في الوداع وولّى

الخامسة المقامة عشرة

أخبر الحرث بن همام قال أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب
هامية الرباب ولا أرق صبّ طرد عن الباب ومني
بصدّ الأحباب فلم تزل الأفكار يهجن همّي ويجلن
في الوساوس وهمي حتى تمنّيت لمضض ما عانيت
أن أرزق سميرا من الفضلاء ليقصر طول الليلة الليلاء

فما انقضت مُنيتي ولا أغمضت مُقلتي حتى قرع الباب
قارعٌ له صوتٌ خاشعٌ فقلت في نفسي لعلّ غرس
التمني قد أثمر وليل الحظ قد أقمر فنهضت إليه عجلان
وقلت من الطارق الآن فقال غريبٌ أجنّه الليل
وغشيه السيل ويبتغي الإيواء لا غير وإذا أسحر فقد م
الشَّير فلما دلّ شعاعه على شمسه ونمّ عنوانه بسرّ
طرسه علمت أن مسامرته غُنم ومساهرته نُعم
فتحت الباب بابتسام وادخلوها بسلام فدخل
شخصٌ قد حنا الدهر صعدته وبلّل القطر بردته فحيّا
بلسانٍ عضبٍ وبيانٍ عضبٍ عذبٍ ثم شكر على
تلبية صوته واعتذر من الطروق في غير وقته فدنا
بالمصباح المتّقد وتأمّلته تأمّل المنتقد فألفيته
شيخنا أبا زيدٍ بلا ريبٍ ولا رجم غيبٍ فأحللته محلّ
من أظفرني بقصوى الطلب ونقلني من وفد الكرب
إلى روح الطرب ثم أخذ يشكو الأين وأخذت في

كيف

كيف وأين فقال بلغني ريقي فقد أتعبني طريقي
فطنته مستبطنا للسغب متكاسلا لهذا السبب
فأحضرته ما يحضر للضيف المفاجي في الليل الداجي
فانقبض انقباض المحتشم وأعرض إعراض البشم فسوت
ظنّا بامتناعه واحفظني حول طباعه حتى كدت أغلظ
له في الكلام وأسعر بجمر الملام فتبيّن من لمحات ناظري
ما خامر خاطري فقال يا ضعيف الثقة بأهل المقة
عد عمّا أخطرته بالك واستمع إليّ لا أبا لك فقلت
هات يا أخا الترّهات فقال اعلم أني بتّ البارحة
حليف إفلاسٍ ونجيّ وسواسٍ فلما قضى الليل نحبه
وغوّر الصبح شهبه غدوت وقت الإشراق إلى بعض
الأسواق متصدّيا لصيدٍ يسنح أو حرٍّ يسمح فلحظت
بها تمرا قد حسن تنضيفه وأحسن إليه مصيفه
فجمع على التحقيق صفاء الرحيق وقنوء العقيق وقبالته
لبأٌ قد برز كالإبريز الأصفر وانجلى في اللون المزعفر

فهو يثني على طاهيه، بلسان تناهيه، ويصوّب رأي
مشتريه، ولو نفدت حبّة القلب فيه، فاستفزّتني الشهوة بأشطانها
وأسلمتني العيمة إلى سلطانها، فبقيت أحير من ضبّ
وأذهل من صبّ، لا أجد بوصلتي إلى نيل المراد، ولذّة
الازدراد، ولا قدم تطاوعني على الذهاب، مع حرقة
الالتهاب، لكن حدا بي القرم، وسورته، والسغب وفورته،
على أن انتجع كلّ أرض، وأقنع من الورد ببرض، فلم أزل
سحابة ذلك النهار، أدلي دلوي إلى الأنهار، وهي
لا ترجع ببلّة، ولا تجلب نقع غلّة، إلى أن ضغت الشمس
للغروب، وضعفت النفس من اللغوب، فرحت بكبد
حرّى، وانثنيت أقدّم رجلا وأؤخّر أخرى، فبينما أنا أسعى
وأقعد وأهبّ، وأركد، إذ قابلني شيخ يتأوّه أهة
الثكلان، وعيناه تهملان، فما شغلني ما أنا فيه من داء
الذيب، والجوى المذيب، عن تعاطي مداخلته والطمع
في مخاتلته، فقلت له يا هذا إن لبكائك سرًّا ووراء

غرًّا

تحرّقك لسرًّا فأطلعني على برحائك، واتّخذني
من نصحائك، فإنّك ستجد منّي طبًّا آسيا، أو عونا
مواسيا، فقال والله ما تأوّهي لعيش فات، ولا من دهر
آفات، بل لانقراض العلم ودروسه، وأفول أقماره
وشموسه، فقلت وأيّ حادثة نجمت، وقضيّة استعجمت،
حتى هاجت لك الأسف، على من فقد وسلف، فأبرز
رقعة من كمّه، وأقسم بأبيه وأمّه، لقد أرتها يا علام المدارس
فما أمازوا عن الأعلام الدوارس، واستنطق لها أحبار
المحابر، فخرسوا ولا خرس سكّان المقابر، فقلت أرنيها
فلعلّي أغني فيها، فقال ما أبعدت في المرام، فربّ رمية
من غير رام، فتناولتها فإذا المكتوب فيها خفيف

أيّها العالم الفقيه الذي فاق ذكاءً فما له من شبيه
أفتنا في قضيّة حار عنها كلّ قاض وحار كلّ فقيه
رجل مات عن أخ مسلم حرّ تقيّ من أمّه وأبيه
وله زوجة لها أيّها الحبر أخ خالص بلا تمويه

محوت فرضها، وحاز أخوها ما بقي بالإرث دون أخته. فاشفنا بالجواب عما سألنا فهو نص لا خلف يوجد فيه.
فلما قرأت شعرها، ولمحت سرها، قلت له على الخبير بها سقطت، وعند ابن بجدتها حططت. إلا أني مضطرم الأحشاء، مضطر إلى العشاء، فأكرم مثواي ثم استمع فتواي. فقال لقد أنصفت في الاشتراط، وتجافيت عن الاشتطاط. فمر معي إلى من يعي، لتظفر بما تبتغي وتنقلب كما ينبغي. قال فصاحبته إلى ذراه كما حكم الله، فأدخلني بيتا أحرج من التابوت، وأوهن من بيت العنكبوت. إلا أنه جبر ضيق ربعه، بسعة ذرعه، فحكمني في القرى، وأطايب ما يشترى. فقلت أريد أزهى راكب على أشهى مركوب، وأنفع صاحب مع أضر مصحوب. فأفكر ساعة طويلة، ثم قال لعلك تعني بنت نخلة، مع لباء سخلة. فقلت إياهما عنيت، ولأجلهما تعنيت. فنهض نشيطا، ثم ربض مستشطا، وقال اعلم أصلحك الله أن الصدق

نباهة، والكذب عاهة. فلا يحملنك الجوع الذي هو شعار الأنبياء، وحلية الأولياء، على أن تلحق بمن مان، وتتخلق بالخلق الذي يجانب الإيمان. فقد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، وتأبى الدنية ولو اضطرت إليها. ثم إني لست لك بزبون، ولا أغضي على صفقة مغبون. وها أنا قد أنذرتك قبل أن يهتك الستر ويتعقد بيننا الوتر. فلا تلغ نذير الإنذار، وحاذر من المكاذبة حذار. فقلت له والذي حرم الربوا، وأحل أكل اللبا، ما فهت بزور، ولا دليتك بغرور. وستخبر حقيقة الأمر، وتحمد بذل اللبا والتمر. فهش هشاشة المصدوق، وانطلق يغذ إلى السوق. فما كان بأسرع من أن أقبل بهما وبدلح، ووجهه من التعب يتلج. فوضعهما لدي، ووضع الممتن علي، وقال اضرب الجيش بالجيش، تحظ بلذة العيش. فخررت عن ساعد النهم، وحملت حملة الفيل المغتلم، وهو يلحظني كما يلحظ الحنق خصمه، ويود من الغيظ لو أختنق. حتى إذا أهلكت التوءمين، وغادرتهما

أثراً بعد عين ❊ أفردتُ حيرةً في اظلال الأبيات ❊ وفكرةً في جواب الأبيات ❊ فما لبث أن قام وأحضر الدوات والأقلام ❊ وقال قد ملأت الجراب ❊ فأملِ الجواب ❊ وإلا فهبها أن نكلت لإعزام ما أكلت ❊ فقلت له ما عندي إلا التحقيق ❊ فاكتب وبالله التوفيق ❊ خفيف

قل لمن يلغز المسائل إني ❊ كاشفٌ سرها الذي تخفيه ❊
إن ذاك الميت الذي قدم الشرع ❊ أخا عرسه على ابن أبيه ❊
رجلٌ زوج ابنه عن رضاه ❊ بحماةٍ له ولا غرو فيه ❊
ثم مات ابنه وقد علقت منه ❊ بابنٍ يسرّ ذويه ❊
فهو ابن ابنه بغير مراءٍ ❊ وأخو عرسه بلا تمويه ❊
وابن الابن الصريح أدنى إلى الجد ❊ وأولى بإرثه من أخيه ❊
فلذا حين مات أوجب للزوجة ❊ ثمن التراث تستوفيه ❊
وحوى ابن ابنه الذي هو في الأصل ❊ أخوها من أمها ما بقيه ❊
وتخلى الأخ الشقيق من الإرث ❊ وقلنا يكفيك أن تبكيه ❊
هاك مني الفتيا تحتذيها ❊ كل قاضٍ يقضي وكل فقيه ❊

فلما أثبت الجواب ❊ واستثبت منه الصواب ❊ قال لي أهلك والليل فشمّر الذيل ❊ وبادر السيل ❊ فقلت إني بدار غربة ❊ وفي أبوابي أفضل قربة ❊ لا سيما وقد أغدف جنح الظلام ❊ وسحّ الرعد في الغمام ❊ فقال اعزب عافاك الله إلى حيث شئت ❊ ولا تطمع في أن تبيت ❊ فقلت ولم ذاك ❊ مع خلوّ ذراك ❊ قال لأني أنعمت النظر في لقائك ما حضر ❊ حتى لم تبق ولا تذر ❊ وأبيتك لا تنظر في مصلحتك ❊ ولا تراعي حفظ صحتك ❊ ومن أمعن فيما أمعنت ❊ وبطّن ما بطّنت ❊ لم يخلص من كظةٍ مدنفة ❊ أو هيضةٍ متلفة ❊ فدعني بالله كفافاً ❊ واخرج عني ❊ ما دمت معافى ❊ فوالذي يحيي ويميت ❊ ما لك عندي مبيت ❊ فلما سمعت أليّته ❊ وبلوت بليته ❊ خرجت من بيته بالرغم ❊ وتزوّد الغم ❊ تجودني السماء ❊ وتخبطني الظلماء ❊ وتنبحني الكلاب ❊ وتتقاذف بي الأبواب ❊ حتى ساقني إليك لطف القضاء ❊ فشكراً ليده البيضاء ❊ فقلت له أعجب

بلقيا نبأت المتاح الى قلبي المرتاح ثم أخذ ينتن في حكايا
وتمط مضحكاته بمبكياته الى أن عطس أنف الصباح
وهتف داعي الفلاح فناب لإجابة الداعي ثم عطف
الى وداعي فعقته عن الانبعاث وقلت له الضيافة
ثلث فأنشد وخرج ثم أتم المخرج وأنشد إذ عرج

لا تزر من تحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ثم لا تنظر العيون إليه

قال الحرث بن همام فودعته بقلب أمي الفرج ووددت
لو أن أسلك بطيته الصبح

المقامة السادسة عشرة المغربية

حكى الحرث بن همام قال شهدت صلاة المغرب في بعض
مساجد المغرب فلما أديتها بفضلها وشفعتها بنفلها
أخذ طرفي رفقة قد انتبذوا ناحية وامتازوا صفوة
صافية وهم يتعاطون كاس المنافثة ويقتدحون
زناد المباحثة فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد
وأدب يستزاد فسعيت إليهم سعي المتطفل عليهم وقلت

لهم أتقبلون نزيلا يطلب جنى الأسمار لا جنى الثمار
ويبغي ملح الحوار لا ملحا الحوار فحلوا الى الحباء وقالوا
مرحبا فلم أجلس إلا لمحة بارق خاطف أو نغبة طائر
خائف حتى غشينا جواب على عاتقه جراب فحيانا
بالكلمتين وحيا المسجد بالتسليمتين ثم قال يا أولي
الألباب والفضل اللباب أما تعلمون أن أنفس
القربات تنفيس الكربات وأمتن أسباب النجاة مواساة
ذوي الحاجات وإني ومن أحلني ساحتكم وأتاح لي
استماحتكم لشريد محل قاص وبريد صبية خماص فهل
في الجماعة من ينعشنا بمجاعة فقالوا له يا هذا إنك
حضرت بعد العشاء ولم يبق إلا فضالات العشاء فإن
كنت بها قنوعا فما نجد لها منوعا فقال إن أخا الشدائد
ليقنع بلفاظات الموائد ونفاضات المزاود فأمر كل منهم
عبده أن يزوده ما عنده فأتحفه الضيف وشكر عليه
وجلس يرقب ما يحمل إليه وقمنا نحن الى استثارة ملح

الأدب وعيونه، واستنباط معينه من عيونه، إلى أن جلنا
فيما لا يستحيل بالانعكاس، كقولك: ساكب كاس، فتداعينا
إلى أن نستنتج له الأفكار، ونفترع منه الأبكار، على أن
ينظم البادي ثلاث جمانات في عقده، ثم يتدرج الزائد
من بعده، فإن ربع ذو ميمنة في نظمه، ويستتبع صاحب ميسرة
على زعمه، قال الراوي: وكنا قد انتظمنا عدد أصابع الكف
وتألفنا ألفة أصحاب الكهف، فابتدر لعظم محنتي
صاحب ميمنتي، وقال: لم أخا مل، وقال ماسه: كبر
رجاء أجر ربك، وقال الذي يليه: من يرب إذا بر ينم
وقال الآخر: سكت كل من نم لك تكس، وأفضت النوبة
إلي، وقد تعين نظم السباعي علي، فلم يزل فكري
يصوغ ويكسر، ويثري ويعسر، وفي ضمن ذلك أستطعم
فلا أجد من يطعم، إلى أن ركد النسيم، وحصحص التسليم، فقلت
لأصحابي: لو حضر السروجي هذا المقام، لشفى الداء العقام
فقالوا: لو أنزلت هذه بإياس، لأمسك على ياس، وجعلنا

نفيض

نفيض في استصعابها، واستغلاق بابها، وذلك
الزور المعتري يلحظنا لحظ المزدري، ويؤلف الدرر
ونحن لا ندري، فلما عثر على افتضاحنا، ونضوب
ضحضاحنا، قال: يا قوم إن من العناء العظيم استيلاد
العقيم، والاستشفاء بالسقيم، وفوق كل ذي علم عليم
ثم أقبل علي وقال: سأنوب منابك، وأكفيك ما نابك
وأكفيك ما نابك، فإن شئت أن تنثر ولا تعثر فقل
مخاطبا لمن ذم البخل، وأكثر العذل: لذ بكل مؤمل
إذا لم وملك بدل، وإن أحببت أن تنظم فقل
للذي تعظم:

أس أرملا إذا عرا ... وارع إذا المرء أسا

أسند أخا نباهة ... أبن إخاء دنسا

اسل جناب غاشم ... مشاغب إن جلسا

أسر إذا هب مرا ... وارم به إذا رسا

اسكن تقو فعسى ... يسعف وقت نكسا

قال: فلما سحرنا بآياته، وحسرنا ببعد غاياته، مدحناه

حتى استعفى ومحناه الى ان استكفى ثم تمّر ثيابه
وازدفر جرابه ونهض ينشد ... لله درّ عصابة
صدق المقال مقاولا ... فاقوا الانام فضائلا
ماثرا وفواضلا ... حاورتهم فوجدت
سحبانا لديهم باقلا ... وحللت فيهم سائلا
فلقيت جودا سائلا ... اقسمت لو كان الكرام
حيا لكانوا وابلا ... ثم خطا قيد رمحين
وعلا مستعيذا من الحين وقال يا عزّ من عدم الالـــ
وكثر من سلب المال ان الغاسق قد وقب ووجه
المحجّة قد انتقب وبيني وبين كني ليل دامس وطريق
طامس فهل من مصباح يؤمنني العثار ويبين
لي الآثار قال فلما جيء بالملتمس وجلى الوجوه ضوء
القبس رايت صاحب صيدنا فاذا هو ابو زيدنا
فقلت لاصحابي هذا الذي اشرت اليه انه اذا انطق اصاب
وان استمطر صاب فاتلعوا نحوه الاعناق واحدقوا

به الاحداق وسالوه ان يسامرهم ليلته على ان يجبروا
عيلته فقال حبا لما احببتم ورحبا بكم اذ رحّبتم غير
اني قصدتكم واطفالي يتضورون من الجوع ويدعون
لي بوشك الرجوع وان استراثوني خامرهم الطيش
ولم يصف لي العيش فدعوني لاذهب فاسدّ مخمصتهم
واسيغ غصتهم ثم انقلب اليكم على الاثر مناهبا
للسمر الى السحر فقلنا لاحد الغلمة اتبعه الى فئته
ليكون اسرع لفيئته فانطلق معه مضطبنا جرابه
ومحثحثا ايابه وابطا بطاء حاور رحله ثم عاد الغلام
وحده فقلنا ما عندك من الحديث عن الخبيث قال
اخذ بي في طرق متعبة وسبل متشعبة حتى افضينا
الى دويرة خربة فقال ههنا مناخي ووكر افراخي
ثم استفتح بابه واختلج مني جرابه وقال لعمري لقد
خففت عني واستوجبت الحسنى مني فهاك نصيحة من
نفائس النصائح ومغارس المصالح وانشد متقارب

إذا ما حويت جنى نخلة فلا تقربنها إلى قابل

وإما سقطت على بيدر فخوصل من السنبل الحاصل

ولا تلبثن إذا ما لقطت فتنشب في كفة الحابل

ولا توغلن متى ما سبحت فإن السلامة في الساحل

وخاطب بهات وجاوب بسوف وبع آجلا منك بالعاجل

ولا تكثرن على صاحب فما مل قط سوى الواصل

ثم قال أخزنها في تامورك، واقتد بها في أمورك، وبادر إلى صحبك في كلاءة ربك، فإذا بلغتهم فأبلغهم تحيتي، واتل عليهم وصيتي، وقل لهم عني إن التهور في المخافات لمن أعظم الآفات، ولست ألغي احتراسي، ولا أجلب الهوس إلى راسي. قال الراوي فلما وقفنا فحوى شعره على نكره ومكره تلاومنا على تركه والاغترار بإفكه، ثم تفرقنا بوجوه باسرة وصفقة خاسرة.

المقامة الثانية عشرة القهقرية

حدث الحرث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين ومطامح العين فتية عليهم سيما

الحجى، وطلاوة نجوم الدجى، وهم في مماراة مشتدة الهبوب، ومباراة مستنطرة الألهوب، فهزني لقصدهم هوى المحاضرة، واستحلاء جنى المناظرة، فلما انحفت بزهطهم، وانتظمت في سمطهم، قالوا أنت ممن يبلي في الهجاء، ويلقي دلوه في الدلاء، فقلت بل أنا من نظارة الحرب لا من أبناء الطعن والضرب، فاضربوا عن حجاجي، وأفاضوا في التحاجي، وكان في مجوحة حلقتهم وإكليل رفقتهم شيخ قد برته الهموم، ولوحته السموم، حتى عاد أنحل من قلم، وأنحل من حلم، إلا أنه كان يبدي العجاب إذا أجاب، ويبذ سحبان كلما أبان، فأعجبت بما أوتي من الإصابة والتبريز على تلك العصابة، وما زال يفضح كل معمى، ويصمي في كل مرمى، إلى أن خلت الجعاب، ونفد السؤال والجواب، فلما رأى تفاضل القوم، واضطرارهم إلى الصوم، عرض بالمطارحة، واستأذن في المفاتحة، فقالوا الحبذا ومن لنا بذا، فقال أتعرفون رسالة أرضها سماؤها، وصبحها

ومساؤها تجنح على متوالي الحين، وتحلك في لونين، وصلت إلى جهتين، وبدت ذات وجهين، إن بزغت من مشرقها، فناهيك برونقها، وإن طلعت من مغربها، فبالعجب لها، قال فكأن القوم رموا بالصمات، وحقت عليهم كلمة الإنصات، فما نبس منهم إنسان، ولا فاه لأحد منهم لسان، فحين رآهم بكمًا كالأنعام، وصموتًا كالأصنام، قال لهم قد أجلتكم أجل العدة، وأرخيت لكم طول المدة، ثم ههنا مجمع الشمل، وموقف الفصل، فإن سمحت خواطركم مدحنا، وإن صلدت زنادكم قدحنا، فقالوا له والله ما لنا في لجة هذا البحر مسبح، ولا في ساحله مسرح، فأرح أفكارنا من الكد، وهنّئ العطية بالنقد، واتخذنا إخوانًا يثبون إذا وثبت، وينبون متى استنبت، فأطرق ساعة ثم قال سمعًا لكم وطاعة، فاستملوا مني، وانقلوا عني الإنسان صنيعة الإحسان، ورب الجميل فعل الندب، وشيمة الحر ذخيرة الحمد، وكسب الشكر استثمار السعادة، وعنوان

الكرم، تباشير البشر، واستعمال المداراة يوجب المصافاة، وعقد المحبة يقتضي النصح، وصدق الحديث حلية اللسان، وفصاحة المنطق سحر الألباب، وشرك الهوى آفة النفوس، وملل الخلائق، وسوء الطمع يباين الورع، والتزام الحزم زمام السلامة، وتطلب المثالب شر المعايب، وتتبع العثرات يدحض المودات، وخلوص النية خلاصة العطية، وتهنئة النوال ثمن السؤال، وتكلف الكلف يسهّل الخلف، وتيقن المعونة يسنّي المؤونة، وفضل الصدر سعة الصدر، وزينة الرعاة مقت السعاة، وجزاء المدائح بثّ المنائح، ومهر الوسائل تشفيع المسائل، ومجلبة الغوائل استغراق الغاية، وتجاوز الحد يكل الحد، وتعدّ الأدب يحبط القرب، وتناسي الحقوق ينشئ العقوق، وتحاشي الريب يرفع الرتب، وارتفاع الأخطار باقتحام الأخطار، وتنوّه الأقدار، وشرف الأعمال في تقصير الآمال، وإطالة

الفكرة تنقح الحكمة ورأس الرياسة تهذيب السياسة
ومع اللجاجة تلغى الحاجة وعند الأوجال تتفاضل
الرجال وبتفاضل الهمم يتفاوت الفهم وبترك التفريط
يهن التدبير وبخلل الأحوال تستبين الأهوال و
بموجب الصبر ثمرة النصر واستحقاق الأمجاد بحسب
الاجتهاد ووجوب الملاحظة كفاء المحافظة وصفاء
الموالي بتخلي المروءات بحفظ الأمانات واختبار
الإخوان بتخفيف الأحزان ودفع الأعداء بكف الأوداء
وامتحان العقلاء بمقارنة الجهلاء وبنظر العواقب تؤمن
المعاطب واتقاء الشنعة بنشر النعمة وفتح الجفا ينافي
الوفا وجوهر الأحرار عند الأسرار ثم قال هذه ما تالفظر
تحتوي على أدب وعظة فمن ساقها هذا المساق فلا
مراء ولا شقاق ومن رام عكس قالبها وأن يردها على
عقبها فليقل الأسرار عند الأحرار وجوهر الوفاء ينافي
الجفاء وفتح النعمة بنشر الشنعة ثم على هذا المنهج

فلبسجها

فلبسجها ولا يرهبها حتى يكون خاتمة فقرها وآخرة
دررها ورب الإحسان صنيعة الإنسان قال الراوي
فلما صدع برسالته الفريدة وأملوحته المفيدة علمنا
كيف يتفاضل الإنشاء وأن الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء ثم اعتلق كل منا بذيله وفلذ له فلذة من نيله
فأبى قبول فلذتي وقال لست أرزي تلامذتي فقلت لم
كن أبان زيد على شحوب سحنتك ونضوب ماء وجنتك
فقال أنا هو على تحولي وتحولي وتقشف محولي فأخذت
في تعريفه على تشريفه وتغربيه فحوقل واسترجع
ثم أنشد من قلب موجع **كامل** سل الزمان علي عضبه
ليروعني وأحد غربه واستل من جفني كراه مراغما
وأسال غربه وأجالني في الأفق أطوي شرقه وأجوب
غربه فبكل جو طلعة في كل يوم لي وغربه وكذا المغرب
شخصه متغرب ونواه غربه ثم ولى يجر عطفيه ويخطر
بيديه ونحن بين ملتفت إليه ومتهافت عليه ثم لم نلبث

ان حللنا الحاء. وتفرقنا ايادي سبا

المقامة الثامنة عشرة السنجارية

حكى الحرث بن همام قال اقفلت ذات مرة من الشام. انحو مدينة السلام. مع ركب من بني نمير. اولي خبر ومير. ومعنا ابو زيد السروجي. غفلة العجلان. وسلوة الثكلان. واعجوبة الزمان. والمشار اليه بالبنان في لسان. فصادف نزولنا سنجار. ان اولم بها احد التجار. فدعا الى مادبته الجفلى من اهل الحضارة والفلاة. حتى سرت دعوته الى القافلة. وجمع فيها بين الفريضة والنافلة. فلما اجبنا مناديه. وحللنا ناديه. احضر من اطعمة اليد والبد. ما حلا في الفم وحلي بالعين. ثم قدم جاما كانما جمد من الهواء. او جمع من الهباء. او صيغ من نور الفضاء. او قشر من الدرة البيضاء. وقد اودع لطائف النعيم. وضمخ بالطيب العميم. وسيق اليه شرب من تسنيم. وسفر عن مرأى وسيم. وارج نسيم. فلما اصطفت لحضرة الشهوات. وفرهت الى مجره اللهوات. وشارف

ان يتن على مر الغارات. وينادي عند نضب الكلارات. نشر ابو زيد كالمجنون. وتباعد عنه تباعد الضب من النون. فراودناه على ان يعود. وان لا يكون كقدار في ثمود. فقال والذي يحشر الاموات من الرجام. لا عدت او يرفع الجام. فلم نجد بدا من انالة فهده. وابرار حلفه. فاشلناه والعقول معه شائلة. والدموع عليه سائلة. فلما فاء الى مجثمه. وخلص من مأثمه. سالناه لم قام. ولاي معنا. استرفع الجام. فقال ان الزجاج نمام. واني آليت منذ اعوام. ان لا يضمني ونموما مقام. فقلنا وما سبب يمينك الضرى. واليتك الحرى. فقال كان لي جار لسانه يتقرب. وقلبه عقرب. ولفظه شهد ينقع. وخبئه سم منقع. فملت لمجاورته الى محاورته. واغريت بمكاشرته في معاشرته. واستهوتني خضرة دمنته. واغرتني خدعة يمنه. بما نمنمه. فارحته وعندي انه جار مكاشر. فبان انه عقاب كاسر. وآنسته على انه محب مؤانس

فوضح أنه جاب موالس ٭ وما لحنه ٭ ولا أعلم أنه عند

نقده ممن يفرح بفقده ٭ وعاقرته ٭ ولم أدر أنه عند فره

ممن يطرب لمفره ٭ وكانت عندي جارية ٭ لا يوجد لها في

الكلام مجارية إن سفرت خجلت النيران ٭ وصليت القلوب

بالنيران ٭ وإن بسمت أزرت بالجمان ٭ وبيع المرجان

بالمجان ٭ وإن رنت هيجت البلابل ٭ وحققت سحر بابل ٭

وإن نطقت عقلت لب العاقل ٭ واستنزلت العصم من

المعاقل ٭ وإن قرأت شفت المفؤود ٭ وأحيت الموؤود ٭ وخلتها

أوتيت من مزامير آل داود ٭ وإن غنت ظل معبد لها عبدا ٭

وقيل سحقا لإسحق وبعدا ٭ وإن زمرت أضحى زنام عندها

زنيما ٭ بعد أن كان لجيله زعيما ٭ وبالإطراب زعيما ٭ وإن

رقصت أمالت العمائم عن الرؤوس ٭ وأنستك رقص الحبب

في الكؤوس ٭ فكنت أرى معها حمر النعم ٭ وأحلى بها أحد

النعم ٭ وأحجب مرآها عن الشمس والقمر ٭ وأذود ذكراها عن

شرائع السمر ٭ وأنا مع ذلك ألح من أن تُرى برثاها رحج ٭

أو يوبكهن بها سطيح ٭ أو ينم عليها برق مليح ٭ فاتفق

لوشل الحظ المنحوس ٭ ونكد الطالع المنحوس ٭ أن أنطقني

بوصفها حميا المدام ٭ عند أجارد الندام ٭ ثم ثاب الفهم بعد

أن صرد السهم ٭ فأحسست الخبال والوبال ٭ وضيعت ما

أودع ذلك الغربال ٭ بيد أني عاهدته على عكم ما الفظته ٭

وأن يحفظ السر ولو احفظته ٭ فزعم أنه يخزن الأسرار كما

يخزن اللئيم الدينار ٭ وأنه لا يهتك الأستار ٭ ولو عرض

لأن يلج النار ٭ فما غبر على ذلك الزمان ٭ إلا يوم أو يومان ٭

حتى بدا لأمير تلك المدرة ٭ وواليها ذي المقدرة ٭ أن

يقصد باب قيله ٭ مجددا عرض خيله ٭ ومستمطرا عارض نيله ٭

وارتاد أن تصحبه تحفة تلائم هواه ٭ ليقدمها بين يدي

نجواه ٭ وجعل يبذل الجعائل لروّاده ٭ ويسني الرغائب

لمن يظفره بمراده ٭ فاستشف ذلك الجار الختار ٭ إلى بذوله

وعصى في إذاعة العار ٭ عذل عذوله ٭ فأتى الوالي ناشرا

أذنيه ٭ وأشار بما كنت أستره إليه ٭ فما راعني إلا انتياب

صاغيته إليّ • وانثيال حفدته عليّ • يسومني إيثاره بالدرة
اليتيمة • على أن تحكم عليه في القيمة • فغشيني من الهم ما غشي
فرعون وجنوده من اليم • ولم أزل أدافع عنها ولا يغني
الدفاع • وأستشفع إليه ولا يجدي الاستشفاع • وكلما رأى
مني ازدياد الاعتياص • وارتياد المناص • تجرّم وتضرّم
وحرق عليّ الأرّم • ونفسي مع ذلك لا تسمح بمفارقة
يدي • ولا بأن أنزع قلبي من صدري • حتى آل الوعيد
إيقاعًا • والتقريع قراعًا • فقادني الإشفاق من الحين •
إلى أن فضضته سواد العين بصفرة العين • ولم يحظ الواشي
بغير الإثم والشين • فعاهدت الله تعالى مذ ذلك العهد •
ألّا أخاطر نمّامًا من بعد • والزجاج مخصوص بهذه الطباع •
الذميمة • وبه يضرب المثل في النميمة • فقد جرى عليه سبيل
يميني • ولذاكم التنبّل لم تمتدّ إليه يميني • طويل
فلا تعذلوني بعدما قد شرحته • على أن حرمتني اقتطاف القطائف
فقد بان عذري في صنيعي فإنني • سأرتق فتقي من تليدي وطارفي •

على أثمار زودتكم من فكاهة • ألذّ من الحلو لدى كل عارف •
قال الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره • وقبلنا عذاره • وقلنا
له قدمًا • وقذت النميمة خير البشر • حتى انتشر عن حمّالة
الحطب • ما انتشر • ثم سألناه عما أحدث جاره القتّات •
ودخلة المفتات • بعد أن راش له نبل المعائب • وجذم
حبل الرغائب • فقال أخذ في الاستخذاء والاستكانة •
والاستشفاع إليّ بذوي المكانة • وكنت حرّجت على نفسي
أن يسترجعه أنسي • أو يرجع إليّ أمسي • فلم يكن له مني سوى
الرد • والإصرار على الصد • وهو لا يكتئب من التجني • ولا
ينثني من وقاحة الوجه • بل يلظّ بالوسائل • ويلحف
المسائل • فما أنقذني من إبرامه • ولا أبعد نيل مرامه •
إلا أبيات نفث بها الصدر الموتور • والخاطر المبتور •
فإنها كانت مدحرة لشيطانه • ومجنّة له في أوطانه •
وعند إنشادها بتّ طلاق الجور • ودعا بالويل والثبور •
وأبلس من نشر وصلى المقبور • كما أبلس الكفار من أصحاب

فناشدناه ان ينشدنا اياها : وينشقنا رياها : فقال اجل
خلق الانسان من عجل : ثم انشد لا بر و بر بخل : ولا
بثيه وحل : ونديم محضته صدق ودي اذ توهمته صديقا حميما :
ثم اوليته قطيعة قال حين الفيته صديدا حميما :
خلته قبل ان يجرب الفا ذا ذمام فبان جلفا ذميما :
وتخيرته كليما فامسى منه قلبي بما جناه كليما :
وتظننته معينا رحيما فتبينته لعينا رجيما :
ورأيته مريدا فجلى عنه سبكي له مريدا لئيما :
وتوسمت ان يهب نسيما : فابى لا يهب الا سموما :
بت من لسعه الذي اعجز الراقي سليما وبات مني سليما :
وغدا امره غدا افترقنا مستقيما والجسم مني سقيما :
لم يكن رابعا خصيبا ولكن كان بالشر رابعا لي خصيما :
قلت لما بلوت لؤمه كان عديما ولم يكن لي نديما :
بغض الصبح حين نم الى قلبي لان الصباح يلقى نموما :
ودعاني الى هوى الليل اذ كان سواد الدجى رقيبا كتوما :

ولكني

ولكني من يتقي ولو فاه بالصدق اثاما فيما اتاه ولوما : قال
فلما سمع رب المنزل قريضه وسجعه : واستملح تقريظه وسمعه :
بواه مهاد كرامته : وصدره على تكرمته : ثم استحضر عشر
صحاف من الغرب : فيها حلواء القند والضرب : وقال لها لا
يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة : ولا يسع ان يجعل
البري كذي الظنة : وهذه الآنية تنزل منزلة الابرار : في
صون الاسرار : فلا تولها الابعاد : ولا تلحق هودا بعاد : ثم
امر خادمه : بنقلها الى مثواه : ليحكم فيها بهواه : فاقبل علينا
ابو زيد : وقال اقرؤا سورة الفتح : وابشروا باندمال القرح : فقد
جبر الله بكلكم : وسنى اكلكم : وجمع في ظل الحلوا شملكم :
وعسى ان تكرهوا شيئا : وهو خير لكم : ولما هم بالانصراف مال
الى استهداء الصحاف : فقال للاديب ان من دلائل الظرف
سماحة المهدي بالظرف : فقال كلاهما والغلام فاحذف
الكلام : وانهض بسلام : فوثب في الجواب : وشكر شكر الروض
للسحاب : ثم اقتادنا ابو زيد الى حوانيته : وحكمنا في حلوائه :

وجعل يقلب الأواني بيده، وينفض عددها إلى عدده، ثم
قال لست أدري أأشكو ذلك لتمام أم أشكر، وأتناسى
فعلته أم أذكر، فإنه وإن كان أسلف الجريمة، ونمنم النميمة،
فمن غنمه املكت هذه الذمة، وبسببه انحازت اهل الغنيمة،
وقد خطر ببالي أن أرجع إلى شبابي، وأقنع بما تسنى لي،
وأن لا أتعب نفسي ولا أجمالي، وأنا أودعكم وداع محافظ،
وأستودعكم خير حافظ، ثم استوى على راحلته، راجعا في
حافرته، ولاويا إلى نافرته، فغادرنا بعد أن وخدت عنسه،
وزايلنا أنسه كدست غاب صدره، أو ليل فل بدره

المقامة التاسعة عشرة النصيبية

روى الحرث بن همام قال
أمحل العراق ذات العوام، لاخلاف أنواء الغيم، وتحدث
الركبان بريف نصيبين، وبلهنية أهلها المخصبين،
فاقتعدت مهريا، وأعتقلت سمهريا، وسرت تلفظني أرض
إلى أرض، ويجذبني رفع من خفض، حتى بلغتها نقضا على
نقض، فلما ألقيت بمغناها الخصيب، وضربت في مرعاها

بنصيب، نويت أن ألقي بها جرابي، وأتخذ أهلها
جيراني، إلى أن تحيي السنة الجماد، ويتمهد أرض قومي
المهاد، فوالله ما تمضمضت مقلتي بنومها، ولا تمخضت
ليلتي عن يومها، أو ألفيت أبا زيد السروجي، يجول في رحاب
نصيبين، ويخبط بها خبط المصابين، والمصيبين، وهو
ينثر من فيه الدرر، ويجتلب بكفيه الدرر، فوجدت بجهاد
قد حاز مغنما، وقدحي الفذ قد صار توأما، ولم أزل أتبع
ظله أينما انبعث، والتقط لفظه كلما نفث، إلى أن عراه مرض
امتد مداه، وعرقه مداه حتى كاد يسلبه ثوب المحيا، ويسلمه
إلى أبي يحيى، فوجدت لفوت ملقاه، وانقطاع سقياه،
ما يجد المبعد عن مرامه، والمرضع عند فطامه، ثم أرجف
بأن رهنه قد غلق، ومخلب الحمام به قد علق، فغلق صحبه
لإرجاف المرجفين، وانثالوا إلى عقوته موجفين، متقارب

حيارى بميدهم شجوهم كأنهم ارتضعوا الخندريسا
أسالوا الغروب وعطوا الجيوب وصكوا الخدود وشجوا الرؤسا

يودّون لو سالمه المنون، وغالت نفائسهم والنفوس

قال الراوي وكنت فيمن التفّ بأصحابه، وأغذّ إلى بابه

فلمّا انتهينا إلى فنائه، وتصدّينا لاستشفاء أنبائه، برز

إلينا فتاه، مفترّة شفتاه، فاستطلعناه طِلع الشيخ

في شكاته، وكنه قوى حركاته، فقال قد كان في قبضة المرض

وعُركة الوعك، إلى أن شفّه الدنف، واستشفّه التلف

ثم منّ الله تعالى بتقويض دنائه، فأفاق من إغمائه، فارجعوا

أدراجكم، وأنضوا انزعاجكم، وكان قد غدا وراح و

ساقاكم الراح، فأعظمنا بشراه، واقترحنا أن نراه،

فدخل مؤذناً بنا، ثم خرج آذناً لنا، فلقينا منه لقاً،

ولمّا أن طلعنا، وجلسنا محدقين بسريره، محدّقين إلى أساريره

فقلّب طرفه في الجماعة، ثم قال احتملوها بنت الساعة، وأنشد

سريع

عافاني الله وشكراً له، من علّة كادت تعفّيني،

ومنّ بالبرء على أنّه، لا بدّ من حتف سيُرديني،

ما بيننا ساني ولكنّه، إلى تقضّي الأكل يُنسيني،

إن حُمّ لم يغن حميم ولا حِمى كليب منه يحميني،

وما أبالي أدنا يومه، أم أخّر الحين إلى حين،

فأيّ فخر في حياة أرى، فيها البلى يأتمّ تبليني،

قال فدعونا له بامتداد الأجل، وارتداد الوجل، ثم تداعينا

إلى القيام لاتقاء الإبرام، فقال كلّا بل البثوا بياض يومكم

عندي لتشفوا بالمفاكهة وجدي، فإنّ مناجاتكم قوت

نفسي، ومغناطيس أنسي، فتحرّينا مرضاته، وتحامينا معاصاته

وأقبلنا على الحديث، نمخض زبده، ونلغي زبده إلى أن حان

وقت المقيل، وكلّت الألسن من القال والقيل، وكان يوماً

حامي الوديقة، يانع الحديقة، فقال إنّ النعاس قد مال الأعناق

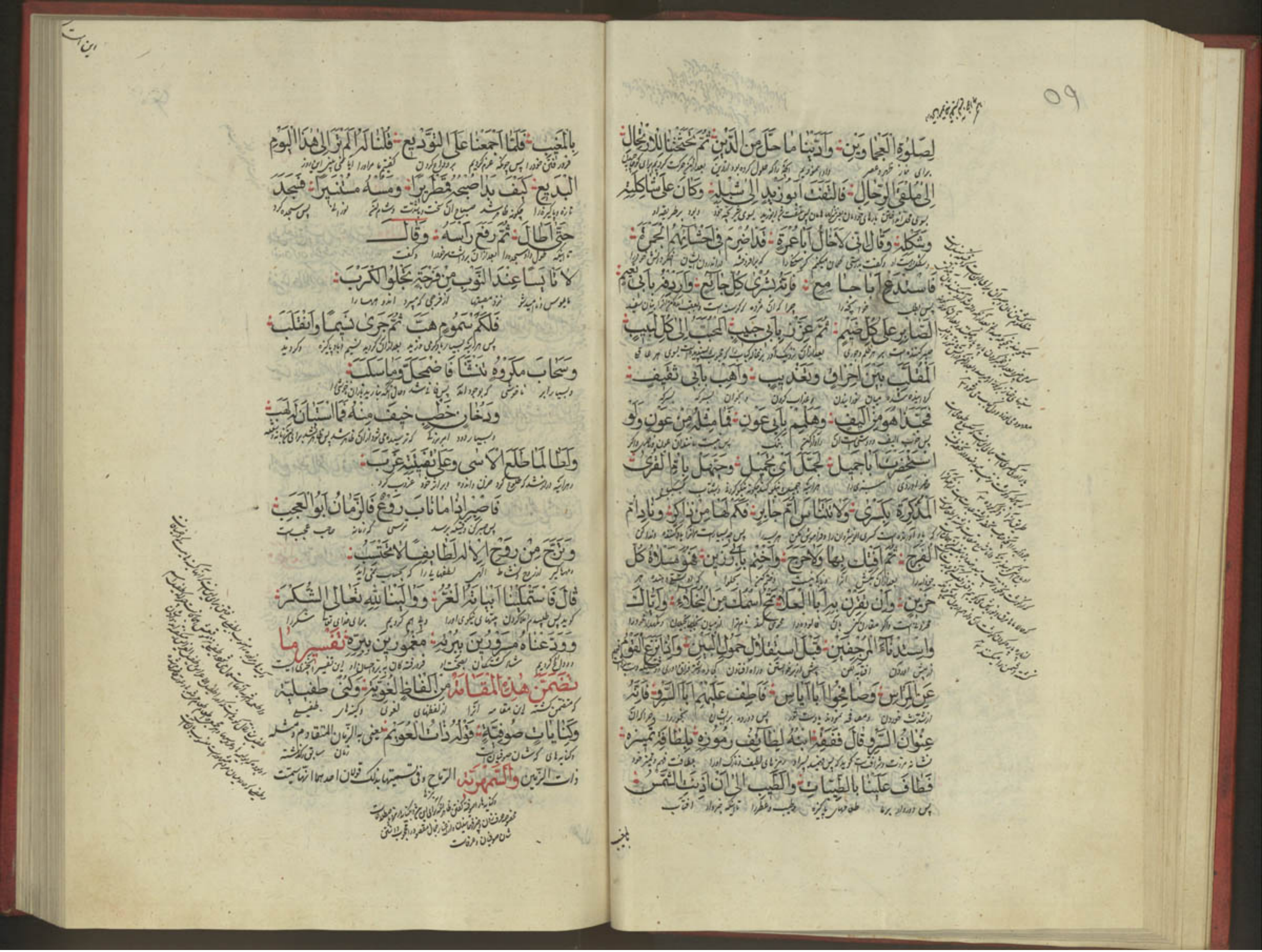
وراود الآماق، وهو خصم ألدّ، وخطب لا يُردّ، فصِلوا الرحلة

بالقيلولة، واقتدوا فيه بالآثار المنقولة، قال الراوي فاتّبعنا

ما قال، وقِلنا وقال، فضرب الله على الآذان، وأفرغ السِّنة في

الأجفان، حتى خرجنا من حكم الوجود، وصرنا بالهجود عن

النجود، فما استيقظنا إلا والحرّ قد باخ، واليوم قد شاخ، فتكرّعنا،



لصلوة العجاوين. وأدنينا ما حل من الدين. ثم تحثحثنا للارتحال
الى ملقى الرحال. فالتفت أبو زيد الى شبله. وكان على شاكلته
وشكله. وقال اني لأخال أبا عمرة. قد أضرم في أحشائهم الجمرة.
فاستدع أبا جامع. فانه تشري كل جائع. وأردفه بأبي نعيم
الصابر على كل ضيم. ثم عزز بأبي حبيب المحبب الى كل لبيب
المقلب بين احراق وتعذيب. وأهب بأبي ثقيف.
فحبذا هو من أليف. وهلم بأبي عون. فما مثله من عون. ولو
استحضرت أبا جميل. لجمل أي تجميل. وجهل بأم القرى
المذكرة بكسرى. ولا تنس أم جابر. فكم لها من ذاكر. وناد أم
الفرج. ثم ائتنا بها ولا حرج. واختم بأبي رزين. فهو سلوة كل
حزين. وان تقرن برا أبا العلاء. تحم اسمك من البخلاء. وإياك
واستدناء المرجفين. قبل استقلال حمول البين. واذا نزع القوم
عن المراس. وصافحوا أبا آياس. فاطف عليهم أبا السرو فانه
عنوان السرو. قال ففقه ابنه لطائف رموزه. بلطافة تمييزه.
فطاف علينا بالطيبات. والطيب الى أن أذنت الشمس

بالمغيب

بالمغيب. فلما أجمعنا على التوديع. قلنا له ألم تر الى هذا اليوم
البديع. كيف بدا أصبحه مقطريا. ومساه مستنيرا. فسجد
حتى أطال. ثم رفع رأسه. وقال

لا تأيسا عند النوب. من فرجة تجلو الكرب
فلكم سموم هب. ثم جرى نسيما وانقلب
وسحاب مكروه تنشا. فاضمحل وما سكب
ودخان خطب خيف منه. فما استبان له لهب
ولطالما طلع الأسى. وعلى تفيئته غرب
فاصبر اذا ما ناب روع. فالزمان أبو العجب
وترج من روح الإله. لطائفا لا تحتسب

قال فاستملينا أبياته الغر. وأولينا الله تعالى الشكر.
وودعناه مسرورين ببره. مغمورين ببره.

تفسير ما تضمنت هذه المقامة من ألفاظ لغوية. وكنى طفيلية
وكنايات صوفية. قوله ذات العويم يعني به الزمان المتقادم ومثله
ذات الزنين **والتمهرية** الرماح وفي تسميتها بذلك قولان أحدهما أنها سميت

يصلاتهما من قولهم اسهر الشيء اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج ردينة وكانا جميعا

يقومان الرماح فنسبت اليهما وقوله نقضا على نقض اي جهزول على جهزول والجران

باطن العنق وقيل من تعمد السياط وقوله فضرب الله على الآذان اي انامنا ومنه قوله عز وجل

فضربنا على آذانهم في الكهف اي انمناهم وقيل في تفسيره منعناهم السمع وقوله نكر عنا

لصلاة العجماوين اي غسلنا الكارضنا وهو كناية عن الوضوء والعجماوان صلاتا الظهر والعصر

سميتا بذلك لاسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلوة النهار عجماء وقوله هلم اي تعال هلم

وهي تات بمعنى هات ومعناها اقبل والافصح ان يوحد لفظها مع الذكر والمؤنث والاثنين

والجمع وبه نطق القران في قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا ومن العرب من يقول للمذكر

الواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللمؤنث الواحدة هلمي وللاثنتين هلما وللجميع هلممن

وقوله حي هلا اي عجل يقال حي هلا بفلان بتسكين اللام وفتحها وتنوينها وباثبات النون معها

ومنه قول ابن مسعود رض في عمر بن الخطاب اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر وفي حيهل لغات اذكرها هنا

عن ذكرها اذ ليس هذا موضع شرحها فهذا تفسير الالفاظ اللغوية واما تفسير الكنى الطفيلية والكنايات

الصرفية فابو يحيى كنية الموت وابو عمرة كنية الجوع ويكنى ايضا ابو مالك وابو جابر مع الخوان وابو نعيم

الخبز الحواري وابو حبيب الجدي وابو ثقيف الخل وابو عون الملح وابو جميل البقل وام القرى

الكبساج وام جابر الهريسة وام الفرج الجوذابة وابو رزين الخبيص وابو العلاء الفالوذق وابو ايس

الغسول

الغسول والمرحفان الطمث والاربق وابو تسرا النجور

المقامة العشرون الفارقية

حكى الحرث بن همام قال يممت ميافارقين

مع رفقة موافقين لا يمارون في المناجاة ولا يدرون

ما طعم المداجاة فكنت بهم كمن لم يرم من وجاره ولا ظعن

عن الفه وجاره فلما انخنا بها مطايا التسيار وانتقلنا

عن الاكوار الى الاوكار تواصينا بتذكار الصحبة و

تناهينا عن التقاطع في الغربة واتخذنا ناديا نعتمره طرفي النهار

ونتهادى فيه طرف الاخبار فبينا نحن في بعض الايام وقد

انتظمنا في سلك الالتئام اذ وقف علينا ذو مقول جريء

وجرس جهوري فحيا تحية نفاث في العقد قناص للاوابد

والنقد ثم قال

عندي يا قوم حديث عجيب فيه اعتبار للبيب الاريب

رايت في ريعان عمري اخا باس له حد الحسام القضيب

يقدم في المعرك اقدام من يوقن بالفتك ولا يستريب

فيفرج الضيق بكراته حتى يرى ما كان ضنكا رحيب

ما بارز الاقران الا انثنى عن موقف الطعن برمح خضيب

ولاسيما بفتح مستصعب مستغلق الباب منيع المهيب
الا ونودي حين يمّمه نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة بتنا نميس في برد الشباب القشيب
يرتشف الغيد ويرشفنه وهو لدى الكل المفدّى الحبيب
فلم يزل ينزو به دهره ما فيه من بطش وعود صليب
حتى اصارته الليالي لقى يعافه من كان منه قريب
قد اعجز الراقي تحليل ما به من الداء واعيى الطبيب
وصارم البيض وصارمنه من بعد ما كان المجاب المجيب
واضّ كالمنكوص في خلقه ومن يعش يلق دواهي المشيب
وها هو اليوم مسجّى فمن يرغب في تكفين هذا الغريب
ثم انه اعلن بالنحيب وبكا بكاء المحب على الحبيب ولما
رقأت دمعته وانفثأت لوعته قال يا مجمع الروّاد
وقدوة الاجواد والله ما نطقت ببهتان ولا اخبرتكم
الا عن عيان ولو كان في عصاي سير ولعيني مطر لما استأثرت
بما دعوتكم اليه ولما وقفت موقف الدال عليه ولكن كيف

الطيران بلا جناح وهل على من لا يجد من جناح قال الراوي
فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون ويتخافون فيما يأتون
فتوهم انهم على صرف حرمان او مطال ليّان ففرط منه
ان قال يا ملامع القاع ويرامع البقاع ما هذا الارتياب
الذي باءه الحياء حتى كانكم كلفتم مشقة لا شقة او
استوهبتم بلد لا بردة او هزّتم لكسوة البيت لا لتكفين
الميت اف لمن لا تندى صفاته ولا يرشح حصاته فلما
بصرت الجماعة بدلالته ومرارة مذاقته رفاه كل منهم
ببلة واحتمل طله خوف سبلة قال الحارث بن همام وكان
هذا السائل واقفا خلفي ومحتجبا بظهري عن طرفي فلما
ارضاه القوم ببرهم وحق علي التأسي بهم خلعت خاتمي
من خنصري ولفت اليه بصري فاذا هو الشيخنا السروجي
بلا فرية ولا مرية فايقنت انها الكذوبة تكذبتها واحبولة
نصبها الا اني طويته على غرّه وصنت شغاه عن قرّه
فخصصته بالخاتم وقلت ارصده لنفقة المأتم فقال واها

لك فما أضرم شعلتك وأكرم فعلتك ثم انطلق يسعى

فلما نزعت إلى العرفان منّته وامتحان دعوى جنّته

فقرعت ظنبوبي وألهبت ألهوبي حتى أدركته على غلوة

واجتليته في خلوة فأخذت بمجامع أردانه وعقلته عن

سنن ميدانه وقلت له والله ما لك مني ملجأ ولا منجى

أو تريني ميتك المسجّى فكشف عن سرابيله وأشار إلى

غرموله فقلت له قاتلك الله فما أكيدك بالنهى وأجلبك

على اللهى ثم عدت إلى أصحابي عود الرائد الذي لا يكذب

أهله ولا يبرقش قوله فأخبرتهم بالذي رأيت وما ورّيت

ولا واريت فقهقهوا من كيت وكيت ولعنوا ذلك الميت

المقامة الحادية والعشرون الرازية

حدّث الحرث بن همام

قال عنيت مذ أحكمت تدبيري وعرفت قبيلي من دبيري

بأن أصغي إلى العظات وألغي الكلم المحفظات لأتحلّى

بمحاسن الأخلاق وأتخلّى مما يسم بالإخلاق فما زلت

آخذ نفسي بهذا الأدب وأخمد به جمرة الغضب حتى

صار

صار التطبع فيه طباعا والتكلف له هوى مطاعا فلما

حللت بالري وقد حللت حبى الغي وعرفت الحي من اللي

رأيت بها ذات بكرة زمرة إثر زمرة وهم منتشرون انتشار

الجراد ومستنّون استنان الجياد ومتواصفون واعظا

يقصدونه ويحلّون ابن سمعون دونه فلم يكادني لاستماع

المواعظ واختبار الواعظ أن أقاسي اللاعظ واحتمل الضاغط

فصحبت أصحاب المطاوعة وانخرطت في سلك الجماعة حتى

أفضينا إلى نادٍ جمع الأمير والمأمور وحشد النبيه والمغمور

وفي وسطها هالة ووسط هالته شيخ قد تقوّس واقعنسس

وتقلنس وتطلّس وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور

ويلين الصخور فسمعته يقول وقد افتتنت به العقول ابن

آدم ما أغراك بما يغرّك وأضراك بما يضرّك وألهجك بما يطغيك

وأبهجك بمن يطريك تعنى بما يعنيك وتهمل ما يعنيك

وتنزع في قوس تعدّيك وترتدي الحرص الذي يرديك

لا بالكفاف تقتنع ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات تستمع

ولا بالوعيد ترتدع دأبك أن تتقلب مع الأهواء و
تخبط خبط العشواء وهمك أن تدأب في الاحتراث
وتجمع التراث للوراث يعجبك التكاثر بما لديك ولا
تذكر ما بين يديك وتسعى أبدا لغاربك ولا تبالي
ألك أم عليك أتظن أن ستترك سدى وأن لا تحاسب
غدا أم تحسب أن الموت يقبل الرشا أو يميز بين
الأسد والرشا كلا والله لن يدفع المنون مال ولا بنون
ولا ينفع أهل القبور سوى العمل المبرور فطوبى لمن سمع
ووعى وحقق ما ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم أن
الفائز من ارعوى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن
سعيه سوف يرى ثم أنشد إنشاد وجل بصوت زجل

طويل

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى إذا سكن المثري الثرى وثوى به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا بما تقتني من أجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فإنه بمخلبه الأشغى يغول ونابه
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره فكم خامل أغنى عليه ونابه

وعاص

وعاص هوى النفس الذي ما أطاعه أخو ضلة إلا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الإله وخوفه لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يضاهي الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صابه
وأن قصارى مسكن الحي حفرة سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله وأبدى التلافي قبل غلاق بابه

قال فظل القوم بين عبرة يديرونها وتوبة يظهرونها
حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت
الأصوات والتأم الإنصات واستكنت العبرات والعبات
استصرخ مستصرخ بالأمير الحاضر وجعل يجأر إليه
من عامله الجائر والأمير صاغ إلى خصمه لاه عن كشف
ظلمه فلما يئس من رفقه استنهض الواعظ للنصح فنهض
نهضة الشهم وأنشد معرضا بالأمير

عجبا لراج أن ينال ولاية حتى إذا ما نال بغيته بغى
يسدي ويلحم في المظالم والعنا فيزيدها طورا وطورا مو الغا

ما إن يبالي حين يتّبع الهوى ... فيها أصلح دينه أم أوتغا

يا ويحه لو كان يوقن أنه ... ما حال إلا تحوّل لما طغى

أو لو تبيّن ما دنا لمن صغى ... سمعا إلى إفك الوشاة لما صغى

فانقد لمن أضحى الزمام بكفّه ... وتغاض إن ألغى اللغابة أو لغا

وارع المرار إذا دعا لذريعة ... وردا الأجاج إذا حماك السيغا

واحمل أذاه وإن أمضّك مسّه ... وأسال غرب الدمع منك وأفرغا

فليفضحلنّ الدهر منه إذا نبا ... عنه وشبّ لكيده نار الوغى

وليتركن ليد الشمات إذا بدا ... متخليا من شغله متفرغا

ولتأوين له إذا ما خدّه ... أضحى على ماترب الهوان ممرّغا

هذا له ولسوف يوقف موقفا ... فيه يرى رب الفصاحة ألثغا

وليحشرن أذل من فقع الفلا ... ويحاسبن على النقيص والثغا

ويؤاخذن بما اجتنى ومن اجتبى ... ويطالبن بما احتلى وبما ارتغى

ويناقشن على الدقائق مثلما ... قد كان يفعل بالورى بل أبلغا

حتى يعض على الولاية كفه ... ويود لو لم يبغ منها ما بغى

ثم قال أيها المتوشح بالولاية المترشح للرعاية

دع الإدلال بدولتك والاغترار بصولتك فإن الدولة ريح قُلّب والقدرة برق خُلّب وإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته وأشقاهم في الدارين من ساءت رعايته فلا تك ممن يذر الآخرة ويلغيها ويحب العاجلة ويبتغيها ويظلم الرعية ويؤذيها وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها فوالله ما يغفل الديان ولا تهمل يا إنسان بل ستوضع لك الميزان وكما تدين تدان قال فوجم الوالي لما سمع وامتقع لونه وانتقع وجعل يتأفف من الإمرة ويردف الزفرة بالزفرة ثم عمد إلى الشاكي فأشكاه وإلى المشكو فأشجاه وألطف الواعظ وحباه وعزم عليه أن يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا والظالم محصورا وبرز الواعظ يتهادى بين رفقته ويتباهى بفور صفقته واعتقبته أخطو متقاصرا وأرنو لمحا باصرا فلما استشف ما أخفيه وفطن لتقلّب وجهي فيه قال خير دليليك من أرشد ثم اقترب مني وأنشد أنا الذي تعرفه يا حارث

حدث ملوك فكه منافث ۞ اطرب ما لا تطرب المثالث ۞
طورا اخو جد وطورا عابث ۞ ما غيرتني بعدك الحوادث ۞
ولا التحى عودي خطب كارث ۞ ولا فرى نابي حد فارث ۞
بل مخلبي بكل صيد ضابث ۞ وكل سرح فيه ذئبي عائث ۞
حتى كانني للانام وارث ۞ سامهم وحامهم ويافث ۞

قال الحرث بن همام فقلت له تالله انك لابو زيد ولقد قمت لله ولا عمرو بن عبيد فهش هشاشة الكريم اذا أم وقال

اسمع يا ابن ام ۞ عليك بالصدق ولو انه احرقك الصدق ۞ بنار الوعيد ۞ وابغ رضا الله فاغبى الورى ۞ من اسخط المولى وارضى العبيد ۞

ثم انه ودع اخدانه ۞ وانطلق يجر اردانه ۞ فطلبناه من بعد بالري ۞ واستنشرنا خبره من مدارج الطي ۞ فما فينا من عرف قراره ۞ ولا درى اي الجراد عاره ۞

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

حكى الحرث بن همام قال اويت في بعض الفترات ۞ الى سقي الفرات ۞ فلقيت بها كتابا ابرع من بني الفرات ۞ واعذب اخلاقا من الماء

الفرات ۞ فاطفت بهم لتهذيبهم لا لذهبهم ۞ وكاثرتهم لادبهم لا لمادبهم ۞ فجالست منهم اضراب القعقاع بن شور ۞ وصلت بهم الى الكور بعد الحور ۞ حتى انهم اشركوني في المرتع والمربع ۞ واحلوني محل الانملة من الاصبع ۞ واتخذوني ابن انسهم عند الولاية والعزل ۞ وخازن سرهم في الجد والهزل ۞ فاتفق ان ندبوا في بعض الاوقات ۞ لاستقراء الرزداقات ۞ فاختاروا من جوار المنشآت ۞ جارية حالكة الشيات ۞ تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ۞ وتنساب في الحباب كالحباب ۞ ثم دعوني الى الموافقة ۞ واستدعوني للمرافقة ۞ فلما توركنا على المطية الدهماء ۞ وسطنا الولية الماشية على الماء ۞ الفينا بها شيخا عليه سربال ۞ وسب بال ۞ فعافت الجماعة محضره ۞ وعنفت من احضره ۞ وهمت بابرازه من السفينة ۞ لولا ما تاب اليها من السكينة ۞ فلما لمح منا استثقال ظله ۞ واستبراد طله ۞ تعرض للمنافثة فصمت ۞ وجدل بعد ان عطس فما سمت ۞ فاخرد ينظر فيما الف ۞

خالِ البالِ ونتنظّرُ نُصرةَ المبغى عليه وجُلنا نحنُ في شُجونٍ

مِن جِدٍّ ومُجونٍ إلى أن اعترضَ ذِكرُ الكِتابتينِ وفضلِهما

وتبيانِ أفضلِهما فقال قائلٌ إنّ كتبةَ الإنشاءِ أنبلُ

الكُتّابِ ومالَ مائلٌ إلى تفضيلِ الحُسّابِ واحتدَّ الحِجاجُ

وامتدَّ اللَّجاجُ حتى لم يبقَ للجدالِ مطرحٌ ولا للمِراءِ مسرحٌ

قال الشيخُ لقد أكثرتُم يا قومُ اللغطَ وأثرتُم الصوابَ

والغلطَ وإنّ جليّةَ الحُكمِ عندي فارتضوا بنقدي

ولا تستفتوا أحداً بعدي اعلموا أنّ صناعةَ الإنشاءِ

أرفعُ وصناعةَ الحسابِ أنفعُ وقلمَ المكاتبةِ خاطبٌ

وقلمَ المحاسبةِ حاطبٌ وأساطيرَ البلاغاتِ تُنسخُ لتُدرسَ

ودساتيرَ الحُسباناتِ تُنسخُ وتُدرسُ والمُنشئُ جُهينةُ

الأخبارِ وحقيبةُ الأسرارِ ونجيُّ العُظماءِ وكبيرُ

النُّدماءِ وقلمُهُ لسانُ الدولةِ وفارسُ الجولةِ ولُقمانُ

الحكمةِ وتَرجمانُ الهِمّةِ وهو البشيرُ والنذيرُ والشفيعُ و

السفيرُ بهِ تُستخلصُ الصَّياصي وتُملكُ النّواصي ويُقتادُ

العاصي

العاصي ويُستدنى القاصي وصاحبُهُ بريءٌ من

التَّبِعاتِ آمنٌ كيدَ السُّعاةِ مُقرَّظٌ بينَ الجماعاتِ غيرُ

مُعرَّضٍ لنظمِ الجماعاتِ فلمّا انتهى في الفصلِ إلى هذا

الفصلِ لحظَ من لمحاتِ القومِ أنّه ازدرعَ حُبّاً وبُغضاً

وأرضى بعضاً وأحفظَ بعضاً فعقّبَ كلامَهُ بأن

قال إلّا أنّ صناعةَ الحسابِ موضوعةٌ على التحقيقِ

وصناعةَ الإنشاءِ مبنيّةٌ على التلفيقِ وقلمَ الحاسبِ

ضابطٌ وقلمَ المُنشئِ خابطٌ وبينَ إتاوةِ توظيفِ المعاملاتِ

وتلاوةِ طواميرِ السِّجلّاتِ بونٌ لا يُدركُهُ قياسٌ ولا

يعتورُهُ التباسٌ إذ الإتاوةُ تملأُ الأكياسَ والتلاوةُ تُفرِغُ

الرّاسَ وخراجُ الأوارجِ يُغني الناظرَ واستخراجُ المدارجِ

يُعنّي الناظرَ ثمّ إنّ الحَسَبةَ حفظةُ الأموالِ وحملةُ الأثقالِ

والنَّقلةُ الأثباتُ الثِّقاتُ وأعلامُ الإنصافِ والانتصافِ

والشهودُ المقانعُ في الاختلافِ ومنهم المستوفي الذي هو

يدُ السلطانِ وقُطبُ الديوانِ وقِسطاسُ الأعمالِ والمُهيمنُ

على العمال ✽ واليه المآب في السلم والهرج ✽ وعليه
المدار في الدخل والخرج ✽ وبه مناط الضر والنفع ✽
وفي يده رباط الاعطاء والمنع ولولا قلم الحساب ✽
لأودت ثمرة الاكتساب ✽ ولاتصل التغابن الى يوم
الحساب ✽ ولكان نظام المعاملات ✽ محلولا وجرح
الظلامات ✽ مطلولا ✽ وجيد التناصف مغلولا ✽ وسيف
التظالم مسلولا ✽ على ان يراع الانشاء ✽ متقول ✽ ويراع
الحساب متأول ✽ والمحاسب مناقش ✽ والمنشي ابو براقش ✽
ولكليهما حمة حين يرقى ✽ الى ان يلقى ويرقى ✽ واعنات
فيما ينتقي ✽ حتى يغشى ويرشى ✽ الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات وقليل ما هم قال الحرث بن همام فلما امتنع
الاسماع بملاق وراع ✽ استنباه فاسترأب ✽ وابى الانتساب ✽
ولو وجد منسابا الانساب ✽ فحصلت من لبسه على غمة ✽
حتى اذكرت بعد امة ✽ فقلت والذي سخر الفلك الدوار ✽
والفلك السيار انى لاجد ريح ابي زيد ✽ واني كنت اعهده

ذارو

ذا رواو ابد ✽ فتبسم ضاحكا من قولي ✽ وقال انا هو على استحالة
حالي وحولي ✽ فقلت لاصحابي هذا الذي لا يفري فريه ✽
ولا يباري عبقريه ✽ فخطبوا منه الود ✽ وبذلوا له الوجد ✽
فرغب عن الالف ✽ ولم يرغب في التحف ✽ فقال اما بعد ان
سحقتم حقي لاجل سحقي ✽ وكيف تم بالي لاخلاق بريالي ✽ فما اراكم
الا بالعين السخينة ✽ ولا لكم مني الا صحبة السفينة ✽ ثم انشد

اسمع اخي وصية من ناصح ✽ ما شاب محض النصح منه بغشه ✽
لا تعجلن بقضية مبتوتة ✽ في مدح من لم تبله او خدشه ✽
وقف القضية فيه حتى تجتلي ✽ وصفيه في حالي رضاه وبطشه ✽
ويبين خلب برقه من صدقه ✽ للشائمين ووبله من طشه ✽
فهناك ان تر ما يشين فواره كرما وان تر ما يزين فافشه ✽
ومن استحق الارتقاء فرقه ✽ ومن استحط فحطه في حشه ✽
واعلم بان التبر في عرق الثرى ✽ خاف الى ان يستثار بنبشه ✽
وفضيلة الدينار يظهر سرها ✽ من حكه لا من ملاحة نقشه ✽
ومن الغباوة ان تعظم جاهلا ✽ لصقال ملبسه ورونق رقشه ✽

أوَأن تُهينَ مهذَّباً في نفسِهِ ... لِدُروسِ بِزَّتِهِ ورَثِّ فِراشِهِ

ولَكَم أخي طِمرَينِ هِيبَ لِفضلِهِ ... ومُفوَّفِ البُردَينِ عِيبَ لِفُحشِهِ

وإذا الفتى لم يغشَ عاراً لم تكن ... أسمالُهُ إلّا مراقي عرشِهِ

ما إن يضُرُّ العضبَ كونُ قِرابِهِ ... خَلَقاً ولا البازي حقارةُ عُشِّهِ

ثمّ ما عتَّم أن استوقف الملّاح، وصعِد من السفينة وساح، فندِم كلٌّ منّا على ما فرط في ذاتِهِ، وأغضى جفنه على قذاتِهِ، وتعاهدنا على ألّا نحتقر شخصاً لرثاثة بُردتِهِ، وألّا نزدري سيفاً مخبوّاً في غمدِهِ.

المقامة الثالثة والعشرون البغدادية

حكى الحارث بن همّام قال: نبا بي مألف الوطن في شرخ الزمن، لخطبٍ خشي، وخوفٍ غشي، فأرقتُ كأس الكرى، ونصّصتُ ركاب السُّرى، وجُبتُ في سيري وعوراً لم تُدمِّثها الخُطى، ولا اهتدت إليها القطا، حتى وردت حِمى الخلافة، والحرم العاصم من المخافة، فنزعت إهاب الرَّوع واستشعاره، وتسربلت لباس الأمن وشعاره، وقصرت همّي على لذّةٍ أجتنيها، ومُلحةٍ أجتليها، فبرزت يوماً إلى الحريم لأروض

طرفي

طرفي، وأُجيل في طُرَفِهِ طَرْفي، فإذا فرسانٌ متتالون، وشيخٌ طويل اللسان، قصير الطيلسان، قد لبَّب فتىً جديد الشباب، خلَق الجلباب، فركضت إثر النظّارة، حتى وافينا باب الإمارة، وهناك صاحب المعونة مرتبعاً في دستِهِ، ومروّعاً في هيبتِهِ، فقال له الشيخ: أعزّ الله الوالي، وجعل كعبه العالي، إنّي كفلت هذا الغلام فطيماً، وربّيته يتيماً، ثم لم آلُهُ تعليماً، فلمّا مهر وبهر، جرّد سيف العدوان وشهر، ولم أخَلْهُ يلتوي عليّ، وينتفخ حين يُروى منّي ويلتقح. فقال له الفتى: علامَ عثرتَ منّي، حتى تنشر هذا الخزي عنّي، فوالله ما سترتُ وجه برّك، ولا هتكت حجاب سرّك، ولا شققت عصا أمرك، ولا ألغيت تلاوة شكرك. فقال له الشيخ: ويلك، وأيّ ريبٍ أخزى من ريبك، وهل عيبٌ أفحش من عيبك، وقد ادّعيت سحري، واستلحقت شعري، وانتحلت شعري واسترقته، واستراق الشعر عند الشعراء أفظع من سرقة البيضاء والصفراء، وغيرتهم على بنات الأفكار

كعبرتهم على البنات الأبكار. فقال الوالي للشيخ وهل

حين سرق سلخ أم مسخ أم نسخ. فقال والذي جعل الشعر

ديوان العرب. وترجمان الأدب. ما أحدث سوى أن

بتر شمل شرجه. وأغار على ثلثي سرجه. فقال له أنشد

أبياتك برمتها. ليظهر ما احتازه من جملتها. فأنشد كامل

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى

وقرارة الأكدار دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا

بعدًا لها من دار. وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدا

لجهام الغرار غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدى

بجلائل الأخطار كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا

متجاوز المقدار قلبت له ظهر المجن وأولغت فيه المدى

وترت لإخذ الثار فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدى

من غير ما استظهار واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى

وتفاهة الإسرار وارقب إذا ما سالمت من حربها كيد العدى

وتوثب الغدار واعلم بأن خطوبها تفجا ولو طال المدى

دون

ووهت سري الأقدار. فقال له الوالي ثم ماذا صنع هذا.

قال أقدم للؤمه في الجزاء. على أبيات لسداسية الأجزاء.

فحذف منها جزءين. ونقص من أوزانها وزنين. حتى صار

الوزن فيها رزيين. فقال بين ما أخذ. ومن ابن فلذ فقال

أرعني سمعك. وأخل للتفهم عنى روعك. حتى تتبين

كيف أصلت علي. وتقدر قدر اجترامه إلي. ثم أنشد

وأنفاسه تتصعد. يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى.

دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا.

وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدا.

غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدى.

كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا.

قلبت له ظهر المجن وأولغت فيه المدى.

فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدى.

واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى.

وارقب إذا ما سالمت من حربها كيد العدى.

واعلم بأن خطوبها أنجحا ولو طال المدى فالتفت الوالي
إلى الغلام وقال تبًّا لك من خرّيج مارق وتلميذ
سارق فقال الفتى برئت من الأدب وبنيه ولحقت
بمن يناويه ويقوّض مبانيه إن كانت أبياته مما لي
على مثل ألف نظمي وإنما اتفق توارد الخواطر
كما قد يقع الحافر على الحافر قال فكأن الوالي
جوّز صدق زعمه فندم على بادرة ذمّه فظلّ يفكّر
فيما يكشف له عن الحقائق ويميّز به الفائق من المائق
فلم ير إلا أخذهما بالمناضلة ولزّهما في قرن المساجلة
فقال لهما إن أردتما افتضاح العاطل وإيضاح الحق
من الباطل فتراسلا في النظم وتباريا وتجاولا في حلبة
الإجازة وتجاريا ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى
من حيّ عن بيّنة فقالا له بلسان واحد وجواب
متوارد قد رضينا برأيك فمُرنا بأمرك فقال إني مولع
من أنواع البلاغة بالتجنيس وأراه لها كالرئيس

فانظما

فانظما الآن عشرة أبيات تلحمانها بوشيه وترصّعانها
بتجنيسه وضمّناها شرح حالي مع إلف بديع الصفة
ألمى الشفة مليح التثنّي كثير التيه والتجنّي مغرى بتناسي
العهد وإطالة الصدّ وإخلاف الوعد وأنا له كالعبد
قال فبرز الشيخ مجلّيا وتلاه الفتى مصلّيا وتجاريا بيتا
فبيتا على هذا النسق إلى أن كمل نظم الأبيات واتّسق وهي

طويل

وأحوى حوى رقّي برقّة لفظه وغادرني إلف
السهاد بغدره تصدّى لقتلي بالصدود وإنني لفي
أسره مذ حاز قلبي بأسره أصدّق منه خوف ازوراره
وأرضى استماع الهجر خشية هجره وأستعذب التعذيب
منه وكلّما أجدّ عذابي جدّ بي حبّ برّه تناسى ذمامي
والتناسي مذمّة وأحفظ قلبي وهو حافظ سرّه وأعجب
ما فيه التباهي بعجبه وأكبره عن أن أفوه بكبره له منّي المدح
الذي طاب نشره ولو كان عدلا ما تجنّى وقد جنى على
وغيري يجتني رشف ثغره ولولا تثنّيه تثنّيت عنه

بدارا الى من اجتلى نور بدره • واني على تطريف امري وامره
ارى المر حلوا في نفاذي لامره • فلما انشدها الوالي
مستسلمين • بهت لذكائهما المتغايرين • وقال اشهد بالله
انكما فرقدا سماء • وكزندين في وعاء • وان هذا الحدث لينفق
مما اتاه الله • ويستغني بوجده عمن سواه • فتب ايها الشيخ
من اتهامه • وثب الى اكرامه • فقال الشيخ هيهات ان ترجع
مقتي • او تعلق برتقتي • وقد بلوت كفرانه للصنيع • ومنيت
منه بالعقوق الشنيع • فاعترضه الفتى • وقال يا هذا ان اللجاج
شوم • والخرق لوم • وتحقيق الظنة اثم • واعنات البري ظلم •
وهبني اقترفت جريمة • واجترحت كبيرة • اما تذكر اذ انشدتني
لنفسك • في ابان انسك • كامل • سامح اخاك اذا خلط •
منه الاصابة بالغلط • وتجاف عن تعنيفه ان زاغ
يوما او قسط • واحفظ صنيعك عنده • شكر الصنيعة
ام غمط • واطعه ان عاصى وهن • ان عز وادن اذا شحط •
واقن الوفاء ولو اخل • بما اشترطت وما اشترط •

واعلم

واعلم بانك ان طلبت • مهذبا رمت الشطط •
من ذا الذي ما ساء قط • ومن له الحسنى فقط •
اوما ترى المحبوب والمكروه لزا في نمط •
كالشوك يبدو في الغصون مع الجنى الملتقط •
ولذاذة العمر الطويل يشوبها نغص الشمط •
ولو انتقدت بني الزمان وجدت اكثرهم سقط •
قال فجعل الشيخ ينتفض انتفاض الصل • ويحملق حملقة
البازي المطل • ثم قال والذي زين السماء بالشهب • وانزل
الماء من السحب • ما روعي عن الاصطلاح • الا لتوقي الافتضاح •
فان هذا الفتى اعتاد ان امونه • واراعي شئونه • وقد كان الدهر
يسح فلم اكن اشح • فاما الان والوقت عبوس • وحشو
العيش بوس • حتى ان يدي هذه غارة • وبيتي لا تطور به فارة
قال فرق لمقالهما • قلب الوالي • واوى لهما من غير الليالي •
وصبا الى اختصاصهما بالاسعاف • وامر للنظارة بالانصراف •
قال الراوي وكنت متشوفا الى مرتقى الشيخ لعلي اعلم علمه • اذا

عاينت وسمه، فلم يكن للزحام يسفر عنه، ولا يفرج لي
فأدنو منه، فلما تقضت الصفوف، واحتفل الوقوف،
توسمته، فإذا أبو زيد والفتى فتاه، فعرفت مغزاه فيما
أتاه، وكدت أنقض عليه لأستعرف إليه، فزجرني بإيماض
طرفه، واستوقفني بإيماء كفه، فلزمت موقفي، وأخرت
منصرفي، فقال الوالي: ما مرامك، ولأيما سبب مقامك؟
فابتدره الشيخ وقال: إنه أنيسي، وصاحب ملبوسي،
فانبسط عند هذا القول بتأنيسي، ورخص في جلوسي،
ثم أفاض عليهما خلعتين، ووصلهما بنصاب من العين،
واستعهدهما أن يتعاشرا بالمعروف، إلى إظلال اليوم
المخوف، فنهضا من ناديه، مشيدين بشكر أياديه، و
تبعتهما لأعرف مثواهما، وأتزود من نجواهما، فلما أخرجنا
حمى الوالي، وأفضينا إلى الفضاء الخالي، أدركني أحد جلاوزته،
مهيبا بي إلى حوزته، فقلت لأبي زيد: ما أظنه استحضرني
إلا ليستخبرني، فماذا أقول، وفي أي واد معه أجول؟ فقال

بيّن له غباوة قلبه، وتلاعبي بلبه، ليعلم أن ريحه لاقت
إعصارا، وجدوله صادف تيارا، قلت: أخاف أن يتقد
غضبه، فيلفحك لهبه، أو يتشرى طلبه، فيسري إليك
بطشه، فقال: إني أرحل الآن إلى الرها، وأنى يلتقي
سهيل والسها، فلما حضرت الوالي وقد خلا مجلسه،
وانجلى تعبسه، أخذ يصف أبا زيد وفضله، ويذم الدهر
له، ثم قال: نشدتك الله ألست الذي أعاره الدست؟
فقلت: والذي أجلسك في هذا الدست، ما أنا بصاحب
ذلك الدست، بل أنت الذي تم عليه الدست، فازورت
مقلتاه، واحمرت وجنتاه، وقال: ما أعجزني قط فضح
مريب، ولا تكشيف معيب، ولكن ما سمعت بأن شخصا
دلس بعد ما تطلس، فهذا تم له أن لبس، فاكتبه ذلك
الفريد، فقلت: أبو زيد، فقال: اثر بأبي كبد، لا أبو منه
بأبي زيد، أفتدري أين سكع ذلك اللكع؟ قلت: أشفق
منك لتعدي طوره، فظعن عن بغداد من فوره، فقال

لا قرّب الله له نوى ❊ ولا كلأه أين ثوى ❊ فما زلت أشدّ
من نكره ❊ ولا ذقت أمرّ من مكره ❊ ولولا حرمة أدبه ❊ لأوغلت
في طلبه ❊ إلى أن يقع فأوقع به ❊ وإني لأكره أن تشيع فعلته
بمدينة السلام ❊ فأفتضح بين الأنام ❊ وتحبط مكانتي عند
الإمام ❊ وأصير ضحكة الخاص ❊ والعام فعاهدني على أن
لا أفوه بما أعتمد ❊ ما دمت حلًّا بهذا البلد ❊ قال الحرث
بن همام ❊ فعاهدته معاهدة من لا يتأوّل ❊ ووفيت له كما
وفى السماول ❊ المقامة الرابعة والعشرون النحوية

حكى الحرث بن همام ❊ قال عاشرت بقطيعة الربيع ❊ في إبان
الربيع ❊ فتية وجوههم أبلج من أنواره ❊ وأخلاقهم أبهج
من أزهاره ❊ وألفاظهم أرق من نسيم أسحاره ❊ فاجتليت
منهم ما يزري على الربيع الزاهر ❊ ويغني عن رنات المزاهر ❊
وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد ❊ وحظر الاستبداد ❊
وأن لا ينفرد أحد منا بالتذاذ ❊ ولا يستأثر ولو برذاذ ❊
فأجمعنا في يوم سما دجنه ❊ ونمى حسنه ❊ وحكم بالاصطباح

مزنه على أن نلتهي بالخروج ❊ إلى بعض المروج لنسرح ❊
النواظر في النواظر ❊ ونصقل الخواطر بشيم المواطر ❊ فبرزنا
ونحن كالشهور عدّة ❊ وكندماني جذيمة مودة ❊ إلى
حديقة أخذت زخرفها ❊ وازّينت ❊ وتنوعت أزاهرها ❊
وتلوّنت ❊ ومعنا الكميت الشموس ❊ والسقاة الشموس ❊
والشادي الذي ❊ يطرب السامع ❊ ويلهيه ❊ ويقري كل
سمع ما يشتهيه ❊ فلما اطمأن بنا الجلوس ❊ ودارت
علينا الكؤوس ❊ وغل علينا ذو عليه طمر ❊ فجهمناه تجهّم
الغيد للشيب ❊ ووجدنا صفو يومنا قد شيب ❊ إلا أنه
سلّم تسليم أولي الفهم ❊ وجلس يفض لطائم النثر والنظم
ونحن نتزوى من انبساطه ❊ ونتبرى لطي بساطه ❊ إلى أن غنى
شادينا المغرب ❊ ومغردنا المطرب ❊ ألام سعاد
لا تصلين حبلي ❊ ولا تأوين لي مما ألاقي ❊ صبرت عليك
حتى عيل صبري ❊ وكادت تبلغ الروح التراقي ❊ وها أنا
قد عزمت على انتصاف ❊ أساقي فيه خلي ما يساقي ❊ فإن

فإن وصلا الدهر فوصل وإن صرما فصرم كالطلاق
قال فاستفهمنا الغارب بالمناجي لم نصب الوصل
الأول ورفع الثاني فأقسم بتربة أبويه لقد نطق
بما اختاره سيبويه فتشعبت آراء الجمع في تجويز
النصب والرفع فقال فريق رفعهما هو الصواب
وقالت طائفة لا يجوز فيهما إلا الانتصاب و
استبهم على آخرين الجواب فاستعر بينهما الاصطخاب
وذلك الواغل يبدي ابتسام ذي معرفة وإن لم يفه
ببنت شفة حتى إذا سكنت الزماجر وصمت المزجور
والزاجر قال يا قوم أنا أنبئكم بتأويله وأميز صحيح
القول من عليله إنه يجوز رفع الوصلين ونصبهما
والمغايرة في الإعراب بينهما وذلكم بحسب الاختلاف
في الإضمار وتقدير المحذوف في هذا المضمار قال
ففرط من الجماعة إفراط في مماراته وانخراط إلى مباراته
فقال أما إذ دعوتم نزال وتلببتم للنضال فما كلمة هي

إن شئتم

إن شئتم حرف محبوب أو اسم لما فيه حرف حلوب
وأي اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم وأية هاء
إذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل وأين
تدخل السين فتعزل العامل من غير أن تجامل وما
منصوب أبدا على الظرف لا يخفضه سوى حرف وأي
مضاف أخل من عرى الإضافة بعروة واختلف حكمه
بين مساء وغدوة وما العامل الذي يتصل آخره بأوله
ويعمل معكوسه مثل عمله وأي عامل نائبه أرحب
منه وكرا وأعظم مكرا وأكثر لله تعالى ذكرا وفي أي
موطن تلبس الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال
بعمائم الرجال وأين يجب حفظ المراتب على المضروب
والضارب وما اسم لا يفهم إلا باستضافة كلمتين
أو الاقتصار منه على حرفين وفي وضعه الأول التزام
وفي الثاني إلزام وما وصف إذا أردف بالنون نقص
صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون

ونتعرّض للهون. فهذه ثنتا عشرة مسئلة، وفق عددكم، وزنة لددكم، ولو زدتم لزدنا، وإن عدتم عدنا. قال المخبر بهذه الحكاية: فورد علينا من أحاجيه اللاتي هالت لمّا انهالت، ما حارت له الأفكار وحالت. فلمّا أعجزنا العوم في بحره، واستسلمت تمائمنا لسحره، عدلنا من استثقال الرؤية، إلى استنزال الرواية عنه، ومن تبغّي التبرّم به، إلى ابتغاء التعلّم منه. فقال: والذي نزّل النحو في الكلام، منزلة الملح في الطعام، وحجب مطالعه عن بصائر الطغام، لا أنلتكم مراما، ولا شفيت لكم غراما، أو تخوّلني كلّ يد، وتختصّني كلّ منكم بيد. فلم يبق في الجماعة إلّا من أذعن لحكمه، ونبذ إليه خباة كمّه. فلمّا حصل تحت وكائه، أضرم شعلة ذكائه، فكشف عن أسرار ألغازه، وبدائع إعجازه، ما جلا به صدأ الأذهان، وجلّى مطلعه بنور البرهان. قال الراوي: فهمنا وعجبنا إذ أجبنا، وندمنا على ما ندمنا، وأخذنا نعتذر إليه

اعتذار

اعتذار الأكياس، ونعرض عليه ارتضاع الكاس. فقال: ما ربٌّ بلا حفاوة، ومشرب لم تزل عندي حلاوة. فأطلنا مراودته، وألبنا معاودته، ثمّ شمخ بأنفه صلفا، ونأى بجانبه أنفا. وأنشد: بسيط

نهاني الشيب عمّا فيه أفراحي ... فكيف أجمع بين الراح والراح

وهل يجوز اصطباحي من معتّقة ... وقد أنار مشيب الرأس إصباحي

آليت لا خامرتني الخمر ما علقت ... روحي بجسمي وألفاظي بإفصاحي

ولا اكتست لي بكاسات السلاف يد ... ولا أجلت قداحي بين أقداح

ولا صرفت إلى صرف مشعشعة ... همّي ولا رحت مرتاحا إلى راح

ولا نظمت على مشمولة أبدا ... شملي ولا اخترت ندمانا سوى الصاحي

محا المشيب مراحي حين خطّ على ... رأسي فأبغض به من كاتب ماحي

ولاح يلحى على جري العنان إلى ... ملهى فسحقا لمن لاح لاحي

ولو لهوت وفودي شائب لخبا ... بين المصابيح من غسّان مصباحي

فقوم سجاياهم توقير ضيفهم ... والشيب ضيف له التوقير يا صاح

مِثْلان

ثم انثنى انثناء الايم ۰ واجفل اجفال الغيم ۰
فعلمت انه سراج سروج ۰ وبدر الادب الذي يجتاب
البروج ۰ وكان قصاراي التحرق لبعده ۰ والتفرق من بعده ۰

تفسير ما اودع هذه المقامة من نكت العربية والاحاجي النحوية

اما صدر البيت الاخير من الاغنية الذي هو فان وصلا
الدهر فوصل ۰ فانه نظير قولهم المرء مجزي بعمله ان خيرا
فخير ۰ وان شرا فشر ۰ وهذه المسألة اودعها سيبويه كتابه
وجوز في اعرابها اربعة اوجه احدها ۰ وهو اجودها ۰ ان
تنصب خبر الاول ۰ وترفع الثاني ۰ ويكون تقديره ان كان
عمله شرا فجزاؤه شر فتنصب الاول على انه خبر كان وترفع
الثاني على انه خبر مبتدا محذوف ۰ وقد حذف في هذا
الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط الذي هو ان على تقديرهما
وحذف ايضا المبتدا لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه
لانه كثيرا ما يقع بعدها ۰ والوجه الثاني ان تنصبهما جميعا
ويكون تقدير الكلام ان كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا وان كان

كان عمله

عمله خيرا فهو يجزى خيرا ۰ وكان عمله شرا فهو يجزى شرا فتنصب
الاول على انه خبر كان ۰ وينتصب الثاني انتصاب المفعول به ۰
والوجه الثالث ان ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام
ان كان في عمله خير فجزاؤه خير فترتفع خبر الاول على انه اسم
كان وترتفع خبر الثاني على ما بين في شرح الوجه الاول ۰
وقد يجوز ان يرتفع خبر الاول على انه فاعل كان ۰ وتجعل
كان المقدرة ههنا هي التامة التي تأتي بمعنى حدث و
وقع فلا تحتاج الى خبر كقوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة
ويكون التقدير في المسألة ان كان خير فجزاؤه ۰ والوجه
الرابع وهو اضعفها ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه
في الوجه الثالث ۰ وتنصب الثاني على ما بين ذكره في
الوجه الثاني ۰ ويكون التقدير ان كان في عمله خير فهو
يجزى خيرا ۰ وعلى حسب هذا التفسير والمقدرات المحذوفات
فيه يجري اعراب البيت الذي غني به ومما ينتظم في هذا
السلك ۰ قولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف

وان خنجرا فخنجر وأما الكلمة التي هي حرف مجوب او اسم
لما فيه حرف حلوب فهي نعم ان اردت بها تصديق الاخبار
او العدة عند السؤال فهي حرف وان عنيت بها الابل
فهي اسم والنعم تذكر وتؤنث ويطلق على الابل وعلى كل
ماشية فيها ابل وفي الابل الحرف وهي الناقة الضامر
سميت حرفا لتشبيها لها بحرف السيف وقيل انها الضخمة
تشبيها لها بحرف الجبل وأما الاسم المتردد بين فرد
حازم وجمع ملازم فهو سراويل وقال بعضهم هو واحد
وجمعه سراويلات فعلى هذا القول هو فرد وكني عن ضمه
الخصر بانه حازم وقال آخرون هو جمع واحده سروال مثل
شملال وشماليل فهو على هذا القول جمع ومعنى قولنا ملازم
لا ينصرف وانما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع
ثالثه الف بعدها حرف مشدد او حرفان او ثلثة احرف
لثقله وتفرده دون غيره من الجموع بان لا نظير له في
الاسماء الاحاد وأما الهاء التي اذا الحقت اماطت

الثقل واطلقت المعتقل فهي الهاء اللاحقة بالجمع المقدم
ذكره كقولك صيارفة وصياقلة فيصرف هذا الجمع عند لحاق
الهاء به لانها قد اصارته الى مثال الاحاد نحو رفاهية وكراهية
فخف بهذا السبب وصرف لهذه العلة وقد كنى في هذه الاحجية
عما لا ينصرف بالملازم وأما السين التي تعزل العامل
من غير ان تحامل فهي السين التي تدخل على الفعل
المستقبل وتفصل بينه وبين ان التي كانت قبل دخولها
من ادوات النصب فيرتفع الفعل وتنتقل ان عن كونها
الناصبة للفعل الى ان تصير المخففة من الثقيلة وذلك
كقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى وتقديره علم انه
سيكون وأما المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه
سوى حرف فهو عند ولا تجره غير من خاصة واما قول العامة
ذهبت الى عنده فهو لحن وأما المضاف الذي من عري
الاضافة بعرفه واختلف حكمه بين مساءة وغدوة فهو لدن
ولدن من الاسماء الملازمة للاضافة وكلما يأتي بعدها

مجرورٌ بها الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم
اياها في الكلام ثم نونتها ايضا لتبين بذلك انها منصوبة
لا انها من نوع المجرورات التي لا تنصرف وعند بعض النحويين
ان لدن بمعنى عند والصحيح ان بينهما فرقا لطيفا وهو ان
عند يشتمل معناها على ما هو في ملكك ومكنتك
مما دنا منك وبعد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك
وقرب منك **واما العامل** الذي يتصل اخره با وله
ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسها اى وكلتاهما
من حروف النداء وعملهما في الاسم المنادى سيان وان كانت
يا اجول في الكلام واكثر في الاستعمال وقد اختار بعضهم ان
ينادى باى القريب فقط كالهمزة **واما العامل** الذي
ارحب منه وكرا واعظم مكرا واكثر لله تعالى ذكرا فاتى باء
القسم وهذه الباء على اصل حروف القسم بدلالة استعمالها
مع ظهور فعل القسم في قولك اقسم بالله ولدخولها ايضا
على المضمر كقولك بك لافعلن ثم ابدلت الواو منها في القسم

لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب معناهما لان الواو
تفيد الجمع والباء تفيد الالصاق والمعنيان متقاربان ثم
صارت الواو المبدلة من الباء ادور في الكلام واعلق بالافواه
ولهذا الغرض بانها اكثر الله تعالى ذكرا ثم ان الواو اكثر موطنا
من الباء لان الباء لا تدخل الا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو
تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة
باضمار رب وتنتظم ايضا مع نواصب الفعل وادوات العطف
فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر **واما** الموطن الذي
تلبس فيه الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم
الرجال فهو اول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين
الثلثة الى العشرة فانه يكون مع المذكر بالهاء ومع المونث بحذفها
كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما
والهاء في غير هذا الموطن من خصائص المونث كقولك قائم
وقائمة وعالم وعالمة فقد رايت كيف انعكس في هذا الموطن
حكم المذكر والمونث حتى انقلب كل منهما في ضد قالبه وبرز في بزة

صاحبه وأمّا الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب على
المضروب والضارب فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول
لتعذّر ظهور علامة الاعراب فيهما او في احدهما وذلك
اذا كان مقصورين مثل موسى وعيسى او من اسماء الاشارة
نحو ذاك وهذا فيجب لازالة اللبس اقرار كل منهما في رتبته ليعرف
الفاعل منهما بتقدّمه والمفعول بتأخره وأمّا الاسم الذي
لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على حرفين
فهو مهما وفيها قولان احدهما انها مركبة من مه التي هي بمعنى
اكفف ومن ما والقول الثاني وهو الصحيح ان الاصل فيها
ما فزيدت عليها ما اخرى كما تزاد ما على انّ فصار لفظها
ما ما فثقل عليهم توالي الكلمتين بلفظ واحد فابدلوا
من الف الاولى هاء فصار تمامها مهما ومهما من ادوات الشرط و
الجزاء ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى الا بايراد
كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل افعل وتكون حينئذ ملتزمًا
للفعل وان اقتصرت منها على حرفين وهما مه التي بمعنى اكفف

فهم المعنى وكنت ملتزمًا من خاطبته ان يكفّ وأمّا الوصف
الذي اذا اردف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوّم
بالدون وخرج من الزبون وتعرّض للهون فهو ضيف
اذا الحقته النون استحال الى ضيفن وهو الذي يتبع الضيف
ويتنزّل في النقد منزلة الزيف

المقامة الخامسة والعشرون

وتعرف بالكرجية

حكى الحرث بن همام قال شتوت بالكرج لدين اقتضيه
وارب اقضيه فبلوت من شتائها الكالح وصرّها
النافح ما عرّفني جهد البلاء وعكف بي على الاصطلاء
فلم اكن ازايل وجاري ومستوقد ناري الا لضرورة
ادفع اليها او اقامة جماعة احافظ عليها فاضطررت في يوم
جوّه مزمهرّ ودجنه مكفهرّ الى ان برزت من كناني
لمهمّ عناني فاذا شيخ عاري الجلدة بادي الجردة قد اعتمّ
بريطة واستثفر بفوطة وحواليه جمع كثيف الحواشي
وهو ينشد ولا يحاشي

يا قوم لا ينبئكم عن فقري ... اصدق من عريي اوان القرّ

فاعتبروا بما بدا من ضرّي

باطن حالي وخفي أمري ∴ وحاذروا انقلاب سلم الدهر
فإنني كنت نبيه القدر ∴ آوي إلى وفر وحد يفري
تبيد صفري وتبيد بيضي ∴ وتشتكي كومي غداة أقري
فجرد الدهر سيوف الغدر ∴ وشن غارات الرزايا الغبر
ولم يزل يسحتني ويبري ∴ حتى عفت داري وغاض دري
وبار شعري في الورى وشعري ∴ وصرت نضو فاقة وعسر
عاري المطا مجردا من قشري ∴ كأنني المغزل في الشعري
لا دفء لي في الصر والصنبر ∴ غير الضحى واصطلاء الجمر
فهل خضم ذو رداء غمر ∴ يسترني بمطرف أو طمر
طلاب وجه الله لا الشكر

ثم قال يا أرباب الثراء ∴ الرافلين في الفراء ∴ من أوتي خيرا فلينفق ∴ ومن استطاع أن يرفق فليرفق ∴ فإن الدنيا غدور ∴ والدهر عثور ∴ والمكنة زورة طيف ∴ والفرصة مزنة صيف ∴ وإني والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته ∴ وأعددت له الأهب قبل موافاته ∴ وها أنا اليوم يا سادتي

ساعدي

ساعدي وسادتي ∴ وجلدتي بردتي ∴ وحفنتي جفنتي ∴ فليعتبر العاقل بحالي ∴ وليبادر صرف الليالي ∴ فإن السعيد من اتعظ بسواه ∴ واستعد لمسراه ∴ فقيل له قد جلوت علينا أدبك ∴ فاجل لنا نسبك ∴ فقال تبا لمفتخر بعظم نخر ∴ إنما الفخر بالتقى ∴ والأدب المنتقى ∴ ثم أنشد

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه ∴ على ما تجلى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وإنما ∴ فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم إنه جلس محقوقفا ∴ واجرنثم مقفقفا ∴ وقال اللهم يا من عمر بنواله ∴ وأمر بسؤاله ∴ صل على محمد وآله ∴ وأعني على البرد وأهواله ∴ وأتح لي حرا يؤثر من خصاصة ∴ ويواسي ولو بقصاصة ∴ قال الراوي فلما جلى عن النفس العصامية ∴ والملح الأصمعية ∴ جعلت عيني تعجمه ∴ ومرامي لحظي ترجمه ∴ حتى استبنت أنه أبو زيد ∴ وأن تعريه أحبولة لصيد ∴ ولمح هو أن عرفاني قد أدركه ∴ ولم يأمن أن يهتكه ∴ فقال أقسم بالسمر والقمر ∴ والزهر والزهر ∴ إنه لن يستري إلا من طاب خيمه ∴ واشرأب

ماء المروءة اديمه، فعقلت ما عناه، وان لم يدر القوم
معناه، وساءني ما يعانيه من الرعدة، واقشعرار الجلدة،
فعمدت لفروة هي بالنهار رياشي، وفي الليل فراشي، فنضوتها
عني، وقلت له اقبلها مني، فما كذب ان امرّها وعيني
تراها، ثم انشد
لله من ألبسني فروة، أضحت من الرعدة لي جنة،
ألبسنيها واقيا مهجتي، وقيت شر الانس والجنة،
سيكتسي اليوم ثنائي وفي، غد سيكسى سندس الجنة،
قال فلما فتن قلوب الجماعة، باهتنانه في البراعة، القوا
عليه من الفرا المغشاة، والجباب الموشاة، ما آده ثقله،
ولم يكد يقله، فانطلق مبشرا بالفرج، مستقيا للكرج،
وتبعته الى حيث ارتفعت التقية، وبدت الشمائل نقية،
فقلت له لشد ما قرسك البرد، فلا تعرّ من بعد، فقال
ويك ليس من العدل، سرعة العذل، فلا تعجل بلوم هو
ظلم، ولا تقف ما ليس لك به علم، فوالذي نور الشيبة،
وطيب تربة طيبة، لو لم اتعرّ لرحت بالخيبة، وصفر

العيبة، ثم نزع الى الفرار، وتبرقع بالاكفهرار، وقال
اما تعلم ان شنشنتي الانتقال من صيد الى صيد، و
الانعطاف من عمرو الى زيد، واراك قد عقتني وعققتني
وافتني اضعاف ما افدتني، فاعفني عافاك الله من لغوك
واسدد دوني باب جدلك ولهوك، فجذبت جذب المتلاعبة
وجمجمت بالمداعبة، وقلت له والله لو لم اوارك، واغطّ
على عوارك، لما وصلت الى صلتك، ولا انقلبت اكسى من
بصلة، فجازني على احساني اليك، وستري لك وعليك،
بان تنمي لي برد الفروة، او تعرفني كافاة الشتوة، فنظر
الى نظر المتعجب، وازمهر ازمهرار المتغضب، ثم قال اما
رد الفروة، فابعد من رد امس الدابر، والميت الغابر، واما
كافاة الشتوة، فسبحان من طبع على ذهنك، واوهى وعاء
خزنك، حتى انسيت ما انشدتك، بالدسكرة لابن سكرة،
بيت جاء الشتاء وعندي من حوائجه، سبع اذا القطر عن
حاجاتنا حبسا، كن وكيس وكانون وكاس طلى، بعد

الكباب وكنٍّ ناعمٍ وكِسا ۞ ثم قال الجواب يشفي حين
من جلباب بدني ۞ فاكتف بما وعيت ۞ وانكفِ فقد فارقت
وقد ذهبت فروتي لشتوتي ۞ وحصلت على الرعدة
طول شتوتي ۞

المقامة السابعة والعشرون الوبرية

حدث الحرث بن همام قال حللت في سوق الأهواز ۞
لابسا حلة الأعوان ۞ فلبثت فيها مدة أكابد شكله ۞
وأزجي أياما مسودة ۞ إلى أن رأيت تمادي المقام من
عوادي الانتقام ۞ فرمقتها بعين القالي ۞ وفارقتها
مفارقة الظلل البالي ۞ وظعنت عن وشلها كميش
الإزار ۞ راكضا إلى المياه الغزار ۞ حتى إذا سرت عنها
مرحلتين ۞ وبعدت سرى ليلتين ۞ تراءت لي خيمة مضروبة
ونار مشبوبة ۞ فقلت آتيهما لعلي أنقع صدى ۞ أو أجد
على النار هدى ۞ فلما انتهيت إلى ظل الخيمة ۞ رأيت غلمة
روقة ۞ وشارة مرموقة ۞ وشيخا عليه بزة سنية ۞ ولديه
فاكهة جنية ۞ فحييته ۞ ثم تحاميته ۞ فضحك إلي وأحسن

الرد علي ۞ وقال لا تجلس إلى من تروق فاكهته ۞ وتشوق
مفاكهته ۞ فجلست لاغتنام محاضرته لا لالتهام ما بحضرته
فحين سفر عن آدابه ۞ وكشر عن أنيابه ۞ عرفت أنه أبو زيد
بجنس ملحه ۞ وتبلج قلحه ۞ فتعارفنا حينئذ ۞ وحفت بي فرحة
ساعتئذ ۞ ولم أدر بأيهما أنا أصبغ فرحا ۞ وأوفى مرحا
أبإسفاره من دجنة إسفاره ۞ أم بخصب رحالة بعد
إمحاله ۞ وتاقت نفسي إلى أن أفض ختم سره ۞ وأبطن داعية
بره ۞ فقلت له من أين إيابك ۞ وإلى أين انسيابك ۞ وبم
امتلأت عيابك ۞ فقال أما المقدم فمن طوس ۞ وأما
الجنة التي أصبتها فمن رسالة اقتضبتها ۞ فسألته أن ينفث في
دخلته ۞ ويسرد علي رسالته ۞ فقال دون مرامك حرب البسوس
أو تصحبني إلى السوس ۞ فصاحبته إليها قهرا ۞ وعكفت بها
عليه شهرا ۞ وهو يعللني بكاسات التعليل ۞ ويجرني أعنة
التأميل ۞ حتى إذا حرج صدري ۞ وعيل صبري ۞ قلت له إنه
لم يبق لك علة ۞ ولا لي في المقام تعلة ۞ وفي غد أزجر غراب

البين، وارحل عنك بخفي حنين. فقال حاش لله أن
أخلفك أو أخالفك. وما أرجأت أن أحدثك إلا لأبثك
وإذا كنت قد استربت بعدتي. واعتراك الظن السوء بما عدتي.
فاصغ لقصص سيرتي الممتدة. وأضفها إلى أخبار الفرج
بعد الشدة. فقلت له هات، فما أطول ليلك. وأهول
حيلك. فقال اعلم أن الدهر العبوس لقاني لي طوس.
وأنا يومئذ فقير وقمر. لا فتيل لي ولا نقير. فألجأني
صفر اليدين. إلى التطوق بالدين. فادنت لسوء الاتفاق
ممن هو عسر الأخلاق. ولو همت لسنى النفاق. فتوسعت
في الإنفاق. فما أفقت حتى بهظني دين لزمني حقه.
ولازمني مستحقه. فحرت في أمري. واطلعت غريمي على
عسري. فلم يصدق على إملاقي. ولا نزع عن إرهاقي.
بل جد في التقاضي. ولج في اقتيادي إلى القاضي. وكلما
خضعت له بالكلام. واستنزلت منه رفق الكرام. ورغبته
في أن ينظر لي بمياسرة. أو ينظرني إلى ميسرة. قال لا تطمع

في الأنظار

في الأنظار. واحجان النضار. فوحقك ما ترى ما لك
الخلاص. فلما رأيت اجتداد لدده. وأن لا مناص لي
من يده. شاغبته. ثم واثبته ليرافعني إلى والي الجرائم.
لا إلى الحاكم في المظالم. لما كان بلغني من إفضال الوالي
وفضله. وتشدد القاضي وبخله. فلما حضرنا باب أمير
طوس. آنست أن لا بأس ولا بوس. فاستدعيت دواة
وبيضاء. وأنشأت لكبره رسالة رقطاء. وهي أخلاق
سيدنا تحب. وبعقوته يلب. وقربه تحف. ونأيه
تلف. وخلته نسب. وقطيعته نصب. وغربه
ذلق. وشهبه تأتلق. وظلفه زان. وقويم
نهجه بان. وذهنه قلب وجرب. ونعته شرق
وغرب. سيد قلب. سبوق مبر. فطن مغرب
عزوف عيوف. مخلف متلف. أغر فريد. نابه فاضل
ذكي أنوف. مفلق إن بان خطب إذا ناب هياج وجل
خطب مخوف. مناظم شرف. تألف وشؤبوب حبائه.

بكف • ونائل يديه فاض • وشح قلبه غاض • وخلف سخائه
يجتلب • وذهب عبابه يجترب • من لف لفه فلج و
غلب • وتاجر بابه جلب وخلب • كف عن هضم بري
وبري من دنس غوي • وقرن لسانه بعز • ونكب عن
مذهب كز • ليس بوثاب عند نهزة شر • بل يعف عفة
بر • فلذا يحب ويستحق عفاته • شغفا به فلبابه خلاب
أخلاقه غر برق • وفوقه فوق إذا ناضله غلاب • سمح
بهش • وذو تلاف إن هفا خل فليس بحقده بوثاب • لا
بأخل • بل باذل لخرق إذا يعتري بزه لا بليه باب • إن عض
أزل فل غرب عضاضه بمنابه • فانحت منه • ناب
وجدير بمن لب وفطن • وقرب وشطن • أن أذعن لقهر يع
زمن • وجار بزمن مذ رضع ثدي كبائه خص بأقاضيه
تهانيه • نعش وفرج • وصافى فابهج • ونافس فأزعج • وفاه
بحق أبلج • أنعم من سبلي • وقرظ إذ هز وبلي • وتوج صفا
بحب عفاته • فلأخلاقه ابهجه • بممتد ظل خصبه • فإنه

بر بمن أنس ضوء شهبه • زان مرأى ناظره • بلبس خوف
ريبه • فليهن سيدنا فوزه بمفاخر ما ثلث • وجلت و
فوته بصنائع نمت ونمت • ويلائم قرب حضرته غوث
رقه • بحظ من حظوته • فإنه تليد ندب • وشريد جذب و
جريح نوب أثرت • وناظم قلائد تستريب • إذا جاش
لخطبه • فلا يوجد قائل • ثم قس ثمه باقل • فإن حبر قلت
حبر • ثم نمت • وخلت رياضا قد نمت • هذا ثم شربه بض
وقوته قرض • وقلقه عسق • وجلبابه خلق • وقد قلق لبوغ
غريم غاشم • لسحته بحق لازم • فإن من سيدنا بكفه
بهبات كفه • توشح بمجد فاق • وباء بأجر فكى مرونا ف
لا خلت سجايا خلقه • برفد شائم برقه • بمن رب أزلي •
حي أبدي • قال فلما استشف الأمير لالئها • ولمح السر المودع
فيها • أوعز في الحال بقضاء ديني • وفصل ما بين خصمي وبيني •
ثم استخلصني لكاثرته • واختصني بأثرته • فلبثت بضع سنين
أنعم في ضيافته • وأرتع في ريف رأفته • حتى إذا غمرني

مواهبه. وأطال ذيلي ذاهبه. تلطّف في الارتحال
على ما ترى من حسن الحال. قال فقلت له شكر المنن
أتاح لك لقيان السمح الكريم. وأنقذك من ضغطة الغريم
فقال الحمد لله على سعادة الجدّ. والخلوص من الخصم الألدّ.
ثم قال أيّما أحبّ إليك. أن أحذيك من العطاء. أم أتحفك
بالرسالة الرقطاء. فقلت إملاء الرسالة أحبّ إليّ.
فقال وهو وحقّك أخفّ عليّ. فإنّ تخلية ما يلج في
الآذان. أهون من تخلية ما يخرج من الأردان. ثم كأنّه
أنف واستحيى. فجمع لي بين الرسالة والحذيا. فقربت
منه بتهمين. وفصلت منه بغنمين. وأبت إلى وطني
قرير العين. بما جرت من الرسالة والعين.

المقامة السابعة والعشرون وتعرف بالوبرية

حكى الحرث بن همام قال ملت في ريّق زماني الذي غبر
إلى مجاورة أهل الوبر. لآخذ أخذ نفوسهم الأبيّة وألسنتهم
العربيّة. فتمرّست بتميم من لا يألو جهدا وجعلت أضرب

في الأرض غورا ونجدا. إلى أن اقتنيت هجمة من الراعية.
وثلّة من الثاغية. ثم أويت إلى عرب أرادف أقيال.
وأبناء أقوال. فأوطنوني أمنع جناب. وفلّوا عنّي حدّ
كلّ ناب. فما تأوّبني عندهم همّ. ولا قرع صفاتي سهم. إلى
أن أضللت في ليلة منيرة البدر. لقحة غزيرة الدرّ. فلم أطب
نفسا بإلغاء طلبها. وإلقاء حبلها على غاربها. فتذرّيت
فرسا محضارا. واعتقلت لدنا خطّارا. وسريت ليلتي جمعاء.
أجوب البيداء. وأتقرّى كلّ شجراء ومرداء. إلى أن نشر الصبح
راياته. وحيعل الداعي إلى صلاته. فنزلت عن متن المركوبة.
لأداء المكتوبة. ثم جلت في صهوتها. وفررت عن شحوتها.
وسرت لا أرى أثرا إلا اقتفوته. ولا نشزا إلا اعلوته. ولا واديا
إلا اجتزعته. ولا راكبا إلا استطلعته. وجدّي مع ذلك
يذهب هدرا. ولا أجد لورده صدرا. إلى أن حانت صكّة
عُمَيّ. ولفح هجير يذهل غيلان عن ميّ. وكان يوما أطول
من ظلّ القناة. وأحرّ من دمع المقلاة. فأيقنت أنّي إن لم

أستكنّ من الوقدة، وأستجمّ من الرقدة، إذ نفني اللغوب
وعلقت بي شعوب، فعجت إلى سرحة كثيفة الأغصان
وريقة الأفنان، لأغور تحتها إلى المغربان، فوالله
ما استروح نفسي ولا استراح فرسي حتى نظرت إلى
سانح في هيئة سائح، وهو ينتحي نحوي، ويشتكل إلى بقعتي
فكرهت انعياجه إلى معاجي، واستعذت بالله من شر
كل مفاجي، ثم ترجّيت أن يتصدى منشدا أو يبدي
مرشدا، فلما اقترب من رحلي، وكاد يحلّ بساحتي ألفيته
شيخنا السروجي، متشحا بجراب، ومضطبنا أهبة
بجواب، فآنسني إذ ورد، وآنسني ما شرد، ثم استوضحته
من أين أثره، وكيف عجره وبجره، فأنشد بديها ولم يقل
إيها:

قل لمستطلع دخيلة أمري ... لك عندي كرامة وعزازة
أنا ما بين جوب أرض فأرض ... وسرى في مفازة فمفازة
زادي الصيد والمطية نعلي ... وجهازي الجراب والعكازة
فإذا ما هبطت مصرا فبيتي ... غرفة الخان والنديم جرازة

مضطبنا

ليس لي ما أساء إن فات وأحزن ... إن حاول الزمان ابتزازه
غير أني أبيت خلوا من الهمّ ... ونفسي عن الأسى منحازه
أرقد الليل ملء جفني وقلبي ... بارد من حرارة وحزازه
لا أبالي من أي كأس ترشفت ... ولا ما حلاوة من مرازة
لا ولا أستجيز أن أجعل الذلّ ... مجازا إلى حشى أجازه
وإذا مطلب كسا حلة العار ... فبعدا لمن يروم نجازه
ومتى اهتزّ للدناءة نكس ... عاف طبعي طباعه واهتزازه
فالمنايا ولا الدنايا وخير ... من ركوب الخنا ركوب الجنازة

ثم رفع إليّ طرفه، وقال لأمر ما جدع قصير أنفه، فأخبرته ناقتي
البارحة، وما عانيته في يومي والبارحة، فقال دع
الالتفات إلى ما فات، والطماح إلى ما طاح، ولا تأس إلى ما ذهب
ولو أنه واد من ذهب، ولا تمل من مال عن ريحك، وأضرم
نار تبار ريحك، ولو كان ابن بوحك أو شقيق روحك، ثم قال
هل لك في أن نقيل، ونتحامى القال والقيل، فإن الأبدان
أنضاء تعب، والهاجرة ذات لهب، ولن يصقل الخاطر

وينشط الفاتر، كقائلة الهواجر، خصوصاً في
شهري ناجر، فقلت ذاك إليك، وما أريد أن أشق
عليك، فافترش التراب، واضطجع، وأظهر أن قد هجع،
وارتقفت على أن أحرس، ولا أنعس، فأخذتني السنة،
لما أزمت الألسنة، فلم أفق إلا والليل قد تولّج، والنجم
قد تبلّج، ولا الزوجي ولا المسرج، فبتّ بليلة نابغية،
وأحزان يعقوبية، أساور الوجوم، وأساهر النجوم،
أفكر تارة في رحلتي، وأخرى في رجعتي، إلى أن وضح
لي عند افترار ثغر الضوء في وجه الجو، راكب يخد
في لدق، فألمعت إليه بثوبي، ورجوت أن يعرّج
إلى صوبي، فلم يعبأ بالماعي، ولا أوى للساعي، بل سار
على هينته، وأصماني بتهاونه، فأوفضت إليه لأستردفه،
وأحتمل تغطرفه، فلما أدركته بعد الأين، وجدت ناقتي
مطيّته، وضالّتي لقطته، فما كذبت أن أذريته عن سنامها،
وجاذبته طرف زمامها، وقلت أنا صاحبها ومضلّها،

ولي

ولي رسلها، فلا تكن كأشعب، فتتعب وتتعب، فأخذ
يلذع ويصيء، ويتفح ولا يستحيي، وبينا هو يمتز ويلين،
ويستأسد ويستلين، إذ غشينا أبو زيد لابساً جلد
النمر، وهاجماً هجوم السيل المنهمر، فخفت والله أن يكون
يومه كأمسه، وبدره مثل شمسه، فألحق بالقارظين،
وأصير خبراً بعد عين، فلم أر إلا أن أذكّره العهود المنسيّة،
وناشدته الله أوافى اليوم للتلافي، أم لما فيه إتلافي،
فقال معاذ الله أن أجهز على مكلومي، أو أصل حروري
بسمومي، بل وافيتك لأخبر كنه حالك، وأكون يميناً
لشمالك، فسكن عند ذلك جأشي، وانجاب استيحاشي،
وأطلعته طلع اللقحة، وتبرّم صاحبي بالفضحة، فنظر
إلى لبث لعريسة إلى الفريسة، ثم أشرع قبله الرمح،
وأقسم لمن أنار الصبح، لئن لم ينج منجا الذباب، ويرض
من الغنيمة بالإياب، ليوردن سنانه وريده، وليجعلن
بيد وليده، وودّ بيده، فنبذ زمام الناقة، وحاص وأفلت

ونسلها

وأفلت وله حصاص فقال أبو زيد تسلّمها وتسنّمها
فإنّها إحدى الحسنيين وويل أهون من ويلين
قال الحارث بن همام فحرت بين لوم أبي زيد وشكره
وزنة نفعه بضرّه فكأنّه نوجي بذات صدري أو
تكهّن ما خامر سرّي فقابلني بوجه طليق وأنشد
بلسان ذليق   يا أخي الحامل ضيمي دون إخواني
وقومي   إن يكن ساءك أمسي فلقد سرّك يومي
فاغتفر ذاك لهذا واطّرح شكوي ولومي   ثمّ قال أنّى
تنيق وأنت مئق فكيف نتّفق وولّى يفري أديم
الأرض ويركض طرفه أيّما ركض فما عدوت أن
اقتعدت مطيّتي وعدت لطيّتي حتّى وصلت إلى
حلّتي بعد اللّتيّا والّتي **تفسير ما أودع في هذه المقامة**
من الألفاظ اللغويّة والأمثال العربيّة **قوله** ريّق زماني
يعني أوّله وريّقه وقد يشدّد فيقال ريّق **قوله** أخذ أخذ
نفوسهم يعني اقتدى بهم يقال أخذ أخذه بكسر الهمزة وفتحها

والهجمة

والهجمة نحو المائة من الإبل **والثلّة** القطيع من الغنم
والراغية الإبل **والثاغية** الشاء ومنه قولهم ما له
راغية ولا ثاغية أي لا ناقة ولا شاة **قوله** أرداف أقيال
أي يخلفون الملوك إذا غابوا **قوله** أبناء أقوال أي مخلفون
فصحاء يقال للمنطيق إنّه ابن أقوال **وقوله** قد ثرت فرسا
محضارا الثور الوثوب على ظهر الفرس والمحضار والمحضير
الشديد العدو مأخوذ من الحضر **وقوله** أفري كلّ شجراء
ومرداء الأفري تتبّع الأرض والشجراء ذات الشجر والمرداء
الخالية من النبات ومنه اشتقاق الأمرد لخلوّ وجهه من
الشعر **وقوله** حيعل الداعي إلى صلاته يعني به قول المؤذّن
حيّ على الصلوة حيّ على الفلاح والمصدر منه الحيعلة
والحولقة والحمدلة والجعلفة والبسملة والحسبلة فالحولقة
حكاية قول لا حول ولا قوّة إلّا بالله والبسملة حكاية بسم الله
والحسبلة حكاية حسبنا الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله
والحمدلة حكاية قول الحمد لله والجعلفة حكاية قول جعلت

فذاك وقوله فترك عن متن الركوبة يعني الركوبة يقال
ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة وقد قرئ فمنها ركوبهم
والمهوة مقعد الفارس والجزع قطع الوادي عرضا
وقوله صكة عمي يعني به قائم الظهيرة وقد اختلف في
اصله فقيل كان عمي رجلا مغوارا فغزا قوما عند قائم
الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلا لكل من جاء
ذلك الوقت وقيل المراد به الظبي لانه يسدر في الهواجر
فيصطك بما يستقبله كاصطكاك الاعمى ثم صغر الاعمى
تصغير الترخيم فقيل عمي كما صغروا اسود وازهر فقالوا
سويد وزهير وقوله وكان يوما اطول من ظل القناة
يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف اليوم القصير
بابهام القطاة والعرب تزعم ان ظل الرمح اطول ظل و
منه قول الشاعر ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق
عنا واصطفاق المزاهر وقوله من دمع المقلاة المقلاة
هي التي لا يعيش لها ولد فدمعها ابدا حار لحزنها لانه يقال

ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل
للمدعو له اقر الله عينك ماخوذ من القر وهو البرد وقيل
للمدعو عليه اسخن الله عينه ماخوذ من السخانة فكانه دعا له
ان يرزق ما يقر عينه حتى لا يطمح الى مال غيره وكانت الجاهلية
تزعم ان المقلاة اذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها
والى هذا اشار بشر بن ابي خازم في قوله تظل مقاليت
النساء يطانه يقلن الا يلقى على المرء مئزر وقوله علقت
بي شعوب يعني المنية ولا يدخل هذا الاسم اداة التعريف
مثل دجلة وعرفة وقوله لاغورن تحتها الى المغيربان التغوير
النزول للقائلة كما ان التعريس النزول اخر الليل للتهويم
والاستراحة والمغيربان تصغير المغرب وكان قياس تصغيره
المغيرب الا ان العرب الحقت اخره الفا ونونا على طريق
الشذوذ وقوله مضطغنا اهبتي بجوائر الاضطغان
ان يحمل الشي تحت حضنه والاضطبان ان يجعله تحت
ضبنه والضبن ما بين الابط والكشح وكلاهما متقارب

واول مراتب الحمل الابط ثم الضبن وهو اسفل الابط ثم
الحضن وهو عند الجنب والتجواب مصدر جابه
جميع المصادر التي جاءت على وزن تفعال فهي بفتح التاء
الا قولهم تبيان وتلقاء وزاد بعضهم تنضال الاعشى و
قوله عجري وبجري يريد به جميع امري الظاهر والباطن
واصل العجر العقد الناتئة في العصب والبجر العقد الناتئة
في البطن وقوله ولم تفل ايها اي لم يلمزني بالكف يقال
للمستزاد ايه ولمن يستكف ايها وقوله لامر ما جدع قصير
انفه قصير هذا مولى جذيمة الابرش وكان جدع انفه بيده
حين قتلت الزباء مولاه ثم اتاها واوهمها ان عمرو بن
عدي ابن اخت جذيمة هو الذي جدع انفه انها ما له
بان ترغش خالد جذيمة اذ اشار عليه بقصدها فحظي بهذا
القول عندها حتى جهزته مرارا الى العراق فكان ياتيها
بالطرف منه الى ان استصحب في اخر نوبة الرجال في
صناديق وتوصل الى قتلها والاخذ بثار مولاه ههنا

وقصته

وقصته مشهورة وقوله ولو كان ابن بوحك يعني ولد
الصلب اشارة الى انه ولد في باحة الدار وهي عرصتها
وجمعها بوح وقيل ان البوح من اسماء الذكر وقوله في
شهري ناجر فتحصرا ناجر هما شهرا الحر وقيل انهما حزيران
وتموز وانكر ابو بكر محمد بن دريد هذا القول وقال هما طلوع
نجمين وقوله بت بليلة نابغية اومى به الى قول النابغة
فبت كاني ساورتني ضئيلة من الرقش في انيابها السم
ناقع وقوله المعث لبه بثوبي يعني الشرب يوم منه المع والمخ بمعنى
وقوله بلدغ ويصي هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو يقال
صاءت العقرب تصئ صئيا وصيئا بفتح الضاد وكسرها اذا
صوتت وكذلك الفرخ وما احسن قول ابن الرومي في هذا
المعنى   تشكى المحب وتشكو وهي ظالمة كالقوس تصمي
الرمايا وهي مرنان وقوله بزو ويلين هذا المثل يضرب
لمن يتعزز ثم يذل ويقال ان الجدي بزو وهو صغير فاذا
كبر لان وقوله لا يسا جلد النمر هذا المثل يضرب للمتقح

الجري لان التمر اجو سبيع واقلد احمنا لا للضيم ومن هذا
الاشتقاق قولهم تتمر اي صار مثل التمر وقوله الحق بالقارظين
الاصل في القارظ انه الذي يجني القرظ وهو النبات المدبوغ
به والقارظان المشار اليهما احدهما من عنزة والآخر من
النمر بن قاسط وكانا خرجا يجتنيان القرظ فلم يرجعا ولا
عرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى ايابه
واليهما اشار ابو ذويب في قوله   وحتى يؤوب القارظان
كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل وقوله حروري
بسموم الحرور الريح الحارة تهب ليلا والسموم الريح
الحارة تهب نهارا وقد يقام احدهما مقام الاخرى مجازا
وقال بعضهم الحرور يكون ليلا والسموم يختص بالنهار وقوله
ليث العريسة يعني مأوى السبع يقال فيه عريس وعريسة
باثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين و
عرينة فاما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الهاء وقوله
افلت وله حصاص هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة اشفى

عليها وكاد يهوي فيها والحصاص العدو وقيل العدو انه
الضراط وقوله اهون من ويلين هذا المثل يضرب لمن
نالته بعض المكروه ومثله قول الشاعر وبعض الشر اهون
من بعض وقوله انا تئق وانت مئق فكيف نتفق هذا
المثل يضرب للمتنافيين في الخلق فان التئق هو الممتلئ
غيظا ماخوذ من قولهم اتأقت الاناء اذا ملأته والمئق
هو الباكي فكان التئق يتسرع الى الشر لغيظه والمئق يضيق
ذرعا باحتماله ومثله قول بعضهم انا كالف وانت صلف
فكيف نأتلف وقوله لطيتي يعني لقصدي ووجهتي وقد
بني فيها طيتي بالتخفيف وقوله بعد اللتيا والتي اللتيا
تصغير التي وهو على غير قياس التصغير المطرد لان القياس
ان يضم اول الاسم اذا صغر وقد اقر هذا الاسم على فتحته
الاصلية عند تصغيره الا ان العرب عوضته عن ضم اوله
بان زادت الفا في آخره واجرت اسماء الاشارة عند تصغيرها
على حكمه فقالت في تصغير الذي والتي اللذيا واللتيا وفي تصغير

وفي تصغيره أوذاك ذيّا وذيّاك وقد اختلف في معنى تعبد
اللتيا والتي فقيل هما من أسماء الداهية وقيل المراد بهما
صغير المكروه وكبيره

المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية

أخبر الحرث بن همام قال استبضعت في بعض أسفاري
القند وقصدت به سمرقند وكنت يومئذ قويم
الشطاط جموم النشاط أرمي عن قوس المراح إلى غرض
الأفراح وأستعين بماء الشباب على ملاح الأتراب
فوافيتها بكرة عروبة بعد أن كابدت الصعوبة فعجت
وما ونيت إلى أن حصل البيت فلما نقلت إليه قندي
وملكت قول عندي عجت إلى الحمام على الأثر فأمطت
عني وعثاء السفر وأخذت في غسل الجمعة بالأثر ثم
بادرت في هيئة الخاشع إلى مسجدها الجامع لأحوي بين
التقرب من الإمام وتقرب أفضل الأنعام فحظيت بأن
جليت في الحلبة وتخيرت المركز لاستماع الخطبة ولم يزل
الناس يدخلون في دين الله أفواجا ويردون فرادى

وأزواجا حتى إذا اكتظ الجامع بحفله وأظل تساوي
الشخص وظله برز الخطيب في أهبته متهاديا خلف
عصبته فارتقى في منبر الدعوة إلى أن مثل بالذروة ثم
سلم مشيرا باليمين ثم جلس حتى ختم نظم التأذين ثم قام
وقال الحمد لله الممدوح الأسماء المحمود الآلاء الواسع
العطاء المدعو لحسم اللأواء مالك الأمم ومصور الرمم
وأهل السماح والكرم ومهلك عاد وإرم أدرك كل
سر علمه ووسع كل مصر حلمه وعم كل عالم طوله وهد
كل مارد حوله أحمده حمد موحد مسلم وأدعوه دعاء
مؤمل مسلم وهو الله لا إله إلا هو الواحد الأحد العادل
الصمد لا ولد له ولا والد ولا ردء معه ولا مساعد أرسل
محمدا للإسلام ممهدا وللملة موطدا ولأدلة الرسل
مؤكدا وللأسود والأحمر مسددا وصل الأرحام وعلم
الأحكام ووسم الحلال والحرام ورسم الإحلال والإحرام
كرم الله محله وكمل الصلوة والسلام له ورحم آله الكرماء

وأهله الرحماء ما همر ركام وهدر حمام وسرح سوام
وسطا حسام اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء واكدحوا
لمعادكم كدح الأصحاء واردعوا أهواءكم ردع الأعداء
وأعدّوا للرحلة إعداد السعداء وادّرعوا حلل الورع
وداووا علل الطمع وسوّوا أود العمل وعاصوا وساوس
الأمل وصوّروا لأوهامكم حؤول الأحوال وحلول
الأهوال ومساورة الأعلال ومصارمة المال والآل
واذكروا الحمام وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه
واللحد ووحدة مودعه والملك وروعة سؤاله
ومطلعه والمحوا الدهر ولؤم كرّه وسوء مجاله ومكره
كم طمس معلماً وأمرّ مطعماً وطحطح عرمرماً ودمّر ملكاً
مكرّماً همّه سلك المسامع وسحّ المدامع وإكداء المطامع
وإرداء المسمع والسامع عمّ حكمه الملوك والرعاع والمسود
والمطاع والمحسود والحسّاد والأساود والآساد
ما موّل الآمال وعكس الآمال ولا وصل إلا وصال وكلم

الاوصال

الأوصال ولا سرّ إلا وساء ولؤم وأساء ولا أصحّ
إلا وأدّى الداء وروّع الأوداء الله الله رعاكم الله الأمَ
مدّ أمد اللهو ومواصلة السهو وطول الإصرار وحمل
الآصار واطّراح كلام الحكماء ومعاصاة إله السماء
أما الهرم حصادكم والمدر مهادكم أما الحمام مدرككم
والصراط مسلككم أما الساعة موعدكم والساهرة
موردكم أما أهوال الطامّة لكم مرصدة أما دار العصاة
الحطمة الموصدة حارسهم مالك وروّادهم حالك
وطعامهم السموم وهواؤهم السموم لا مال أسعدهم ولا
ولد ولا عدد حماهم ولا عُدد ألا رحم الله امرأً ملك
هواه وأمّ مسالك هداه وأحكم طاعة مولاه وكدح لروح
مأواه وعمل ما دام العمر مطاوعاً والدهر موادعاً والصحة
كاملة والسلامة حاصلة وإلا دهمه عدم المرام وحصر
الكلام وإلمام الآلام وحموم الحمام وهدّ الحواس
ومراس الأرماس آهاً لها حسرة ألمها مؤلمة وأمدها

سرمد، ومُمارسها مُكمد، ما لِولهِه حاسِم، ولا لِسدمه
راحم، ولا لكَمِّه مما عراه عاصم، ألهمكم الله أحمد الإلهام
وورّاكم رداء الإكرام، وأحلّكم دار السلام، وأسأله
الرحمة لكم ولأهل ملة الإسلام، وهو أسمح الكرام
والمسلم والسلم. قال الحرث بن همام: فلما رأيت الخطبة
نخبة بلا سقط، وعروساً بغير نقط، دعاني الإعجاب
بنمطها العجيب، إلى استجلاء وجه الخطيب، فأخذت أتوسمه
جداً، وأقلب الطرف فيه مجداً، إلى أن وضح لي بصدق
العلامات، أنه شيخنا ذو المقامات، ولم يكن بد من
الصمت في ذلك الوقت، فأمسكت حتى تحلل من الفرض
وحل الانتشار في الأرض، ثم وجهت تلقاءه، وابتدرت
لقاءه، فلما لحظني حفّ في القيام، واحتفى في الإكرام، ثم
استصحبني إلى داره، وأودعني خصائص أسراره، وحين
انتشر جناح الظلام، وحان ميقات المنام، أحضر
أباريق المدام، مختومة بالفدام، فقلت أتحسوها

أمام النوم، وأنت إمام القوم؟ فقال: مه أنا بالنهار
خطيب، وفي الليل أطيب. فقلت: والله ما أدري
أأعجب من تسليك عن ناسك، ومسقط رأسك
أم من خطبتك مع أدناسك، ومدار كاسك. فأشاح
بوجهه عني، ثم قال اسمع مني: بسيط لا تبك إلفاً
نأى ولا داراً، ودر مع الدهر كيفما دارا، واتخذ الناس
كلهم سكناً، ومثّل الأرض كلها داراً، واصبر على خلق
من تعاشره، وداره فاللبيب من دارى، ولا تضع فرصة
السرور فما تدري أيوماً تعيش أم دارا، واعلم بأن
المنون جائلة، وقد أدارت على الورى داراً، وأقسمت
لا تزال قانصة، ما كر عصر الحياة أو دارا، فكيف ترجى
النجاة من شرك، لم ينج منه كسرى ولا دارا. قال فلما أعوزتنا
الكؤوس، وطربت النفوس، حرّجني اليمين الغموس،
على أن أحفظ عليه الناموس، فاتبعت مرامه، ورعيت
ذمامه، وأنزلته بين الملأ منزلة الفضل، وسدلت الذيل

على مجاري النيل ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبي الى أن
تهيأ إيابي ، فودعته وهو مصر على التدليس ومسر
حسو الخندريس

المقامة التاسعة والعشرون الواسطية

حكى الحارث بن همام قال الجأني حكم دهر قاسط الى
انتجاع ارض واسط ، فقصدتها وانا لا اعرف بها سكنا
ولا املك فيها مسكنا ، ولما حللتها حلول الحوت بالبيداء
والشعرة البيضاء في اللمة السوداء ، قادني التخطط الناقص
والحظ الناكص الى خان منزل شذاذ الآفاق واخلاط
الرفاق ، وهو لنظافة مكانه وظرافة سكانه يرغب
الغريب في اوطانه وينسيه هوى اوطانه فاستفردت
منه بحجرة ، ولم اناقش في اجرة ، فما كان الا كلحظ طرف
او خطو حرف ، حتى سمعت جاري بيت بيت يقول لنزيل
في البيت قم يا بني لا قعد جدك ولا قام ضدك و
استصحب ذا الوجه الندي واللون الذهبي والاصل
النقي والجسم النقي الذي قمص وكشر وسجن وشهر

وسقي

وسقي وفطم وادخل النار بعدما لطم ثم اركض الى
السوق ركض المشوق فقايض به اللاذع المليح المفسد
المصلح المكمد المفرح المحتلي المروح ذا الزفير المعروف
والحنين المشروف واللفظ المقلع والنسيل الممنع الذي
اذا طرق رعد وبرق وباح بالحرق ونفث في
الحرق ، قال فلما قرت شقشقة الهادر ولم يبق الا
صدر الصادر برز في تميس وما معه انيس فرايتها
عضلة تلعب بالعقول وتغري بالدخول في الفضول
فانطلقت في اثر الغلام لاختبر فحوى الكلام فلم يزل
يبغي سعي العفاريت وينتقد تصانيف الحوانيت
حتى انتهى عند لواح الى جار القداح فناول بائعها
رغيفا وتناول منه جرا لطيفا فعجبت من فطانة
المرسل والمرسل وعلمت انهما سرحبة وان لم اسل
وما كذب ان بادرت الى الخان منطلق العنان لانظر
كنه فهمي وهل قرطس في الكهن سهمي فاذا انا بالفرا

فارس : وأبو زيد بوصيد الخان : جالس مهاد بنا نزي الالتقاء : ونقارضنا تحية الاصدقاء : ثم قال ما الذي نابك : حتى زايلك جنابك : قلت دهر هاض : ووجود فاض : فقال والذي أنزل المطر من الغمام : وأخرج الثمر من الاكمام لقد فسد الزمان : وعم العدوان : وعدم المعوان : والله المستعان : فكيف أفلت : وعلى أي وصفيك أجفلت : فقلت اتخذت الليل قميصا : وأدلجت فيه خميصا : فأطرق ينكت في الارض : ويفكر في ارتياد القرض : والفرض : ثم اهتز هزة من أكنه قبض : أو نبذت له فرص : وقال قد علق بقلبي أن تصاهر من يواسي جراحك : ويريش جناحك : فقلت فكيف أجمع بين غل وقل : ومن الذي يرغب في ضل بن ضل : فقال أنا المشير بك والسفير اليك : والوكيل لك : وعليك مع أن دين القوم جبر الكسير : وفك الاسير : واحترام العشير : واستنصاح المشير : الا انهم لو خطب اليهم ابرهيم بن ادهم : أو جبلة بن

الايهم

الايهم لما زوجوه الا على خمسماة درهم : اقتداء بما مهر الرسول زوجاته : وعقد به انكحة بناته : على انك لن تطالب بصداق : ولا تلجا الى طلاق : ثم اني ساخطب في موقف عقدك : ومجمع حشدك : خطبة لم تفتق رتق سمع : ولا خطب بمثلها في جمع : قال الحرث بن همام : فازدهاني بوصف الخطبة المتلوة : دون الخطبة المجلوة : حتى قلت له قد وكلت اليك هذا الخطب : فدبره بتدبير من طب لمن حب : فنهض مهرولا ثم عاد متهللا : وقال ابشر باعتاب الدهر : واجتلاب الدر : فقد وليت العقد : واكفلت النقد : وكان قد : ثم اخذ في مواعدة الخان : واعداد حلواء الخوان : فلما مد الليل اطنابه : واغلق كل ذي باب بابه : اذن في الجماعة : الا احضروا في هذه الساعة : فلم يبق فيهم الا من لبى صوته : وحضر بيته : فلما اصطفوا لديه : واجتمع الشاهد والمشهود عليه : جعل يرفع الاصطرلاب

اهمل

ويضعه ويلحظ التقويم ويدعه إلى أن نعس القوم
وغشي النوم فقلت له يا هذا ضع الفأس في الرأس
وخلص الناس فنظر نظرة في النجوم ثم انتشط من عقله
الوجوم وأقسم بالطور والكتاب المسطور لينكشفن
سر هذا الأمر لينكشفن سر هذا الأمر المستور ولينشرن
ذكره إلى يوم النشور ثم اجثى على ركبته واسترعى
الأسماع لخطبته وقال الحمد لله الملك المحمود المالك
الودود ومصور كل مولود ومآل كل مطرود ساطح
المهاد وموطد الأطواد ومرسل الأمطار ومسهل
الأوطار عالم الأسرار ومدركها ومدمر الأملاك
ومهلكها ومكور الدهور ومكررها ومورد الأمور
ومصدرها عم سماحه وكمل وهطل ركامه وهمل
وطاع السؤل والأمل وأوسع المرمل والأرمل أحمده
حمداً ممدوداً مداه وأوحده كما وحد الأواه وهو الله
لا إله للأمم سواه ولا صادع لما عدله وسواه أرسل

محمداً

محمداً علماً للإسلام وإماماً للحكام ومسدداً للرعاع
ومعطل أحكام ود وسواع علم وعلم وحكم وأحكم
وأصل الأصول ومهد وأكد الموعود وأوعد أوصل
الله له الإكرام وأودع روحه السلام ورحم آله وأهله
الكرام ما لمع آل وملع رال وطلع هلال وسمع
إهلال اعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال واسلكوا
مسالك الحلال واطرحوا الحرام ودعوه واسمعوا
أمر الله وعوه وصلوا الأرحام وراعوها وعاصوا
الأهواء واردعوها وصاهروا أهل الصلاح والورع
وصارموا رهط اللهو والطمع ومصاهركم أطهر الأحرار
مولداً وأسراهم سؤدداً وأحلاهم مورداً وأصحهم موعداً
وها هو أمكم وحل حرمكم مملكاً عروسكم المكرمة
وما مهر لها كما مهر الرسول أم سلمة وهو أكرم صهر أودع
الأولاد وملك ما أراد وما سها مملكه ولا وهم ولا وكس
ملاحمه ولا وصم أسأل الله لكم أحماد وصاله ودوام

استعاده • والهم كان إصلاح حاله • والإعداد لمعاده • وله
الحمد السرمد • والمدح لرسوله محمد صلى الله عليه فلما فرغ
من خطبته البديعة النظام • العرية من الإعجام • وعقد
العقد على الخمس المئين • وقال لي بالرفاء والبنين • ثم
أحضر الحلواء التي كان أعدها • وأبدى لا بد عندها
فأقبلت إقبال الجماعة عليها • وكدت أهوي بيدي إليها •
فزجرني عن المؤاكلة • وأنهضني للمناولة • فوالله ما كان
بأسرع من تصافح الأجفان • حتى خر القوم للأذقان •
فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية • أو صرعى بنت خابية •
علمت أنها إحدى الكبر • وأم العبر فقلت له يا عدي
نفسه • وعبد فلسه • أأعددت للقوم حلوا أم بلوى •
فقال لم أعد خبيص النبج في صحاف الخلنج • فقلت أقسم
بمن أطلعها زهرا • وهدى بها السارين طرا • لقد جئت
شيئا نكرا • وأبقيت لك في المخزيات ذكرا • ثم حرت فكرة
في صبور أمره • وخيفة من عدوى عره • حتى طارت

نفسي شعاعا • وأرعدت فرائصي ارتياعا • فلما رأى
استطارة فرقي • واستشاطة قلقي • قال ما هذا الفكر
المرمض • والروع المومض • فإن يكن فكرك في أجلي من
أجلي • فأنا الآن أرتع وأطفر • وأقوى هذه البقعة مني
وأقفر • وكم مثلها فارقتها وهي تصفر • وإن يكن
نظرا لنفسك وحذارا من حبسك • فتناول فضالة
الخبيص • وطب نفسا عن القميص • حتى تأمن المستعدي
والمعدي • وتمهد لك المقام بعدي • وإلا فالمفر
المفر • قبل أن تسحب وتجر • ثم عمد لاستخراج ما في البيوت
من الأكياس والتخوت • وجعل يستخلص خالص كل
مخزون • ونخبة كل مذروع وموزون • حتى غادر
ما ألغاه مخه • كعظم استخرج محتقر • فلما هم بما اصطفاه
وزم • وشمر عن ذراعه وتحزم • أقبل علي إقبال من
لبس الصفاقة • وخلع الصداقة • وقال هل لك في
المصاحبة إلى البطيحة لأصلك بأخرى مليحة • فأقسمت

لم بالذي جعله مباركا اينما كان ولم يجعله ممن خان
في خان اتئد لا قبل لي بنكاح حرتين ومعاشرة ضرتين
ثم قلت له قول المتطبع بطباعه الكايل له بصاعه
قد كفتني الاولى فخرا فاطلب اخرى للاخرى فتبسم من
كلامي ودلف لالتزامي فلويت عنه عذاري وابديت
له ازوراري فلما ابصر بانقباضي وتجلى له اعراضي انشد

كامل

يا صارفا عني المودة والزمان له صروف
ومعنفي في فضح من جاورت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما اتيت فانني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم ارهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف
ما فيهم الا مخيف ان تمكن او مخوف
لا بالصفي ولا الوفي ولا الحيي ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذيب الضري على الخروف
وتركتهم صرعى كانهم سقوا كاس الحتوف

وتحكمت فيما اقتنوه يدي وهم رغم الانوف
ثم انثنيت بمغنم حلو المجاني والقطوف
ولطالما خلفت مكلوم الحشا خلفي يطوف
ووترت ارباب الارائك والدرانك والسجوف
ولكم بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيوف
ووقفت في هول تراع الاسد فيه عن الوقوف
ولكم سفكت وكم فتكت وكم هتكت حمى انوف
وكم ارتكاض موبق لي في الذنوب وكم خفوف
لكنني اعددت حسن الظن بالمولى الرؤوف

قال فلما انتهى الى هذا البيت لج في الاستعبار والظ
بالاستغفار حتى استمال هوى قلبي المنحرف و
رجوت له ما يرجى للمقترف المعترف ثم انه غيض دمعه
المنهمل وتابط جرابه واستبل وقال لابنه احمل لبا
والله الواقي قال المخبر بهذه الحكاية فلما رايت
انتساب الحية والحبية وانتهاء الداء الى الكية علمت

اخر الدواء الكي

انّ ربيبي في الخان، مجلبة للهوان، فضممت رحلي، وجمعت للرحلة ذيلي، وبتّ ليلتي اسري الى الطيب، واحتسب الله على الخطيب،

المقامة الثلثون الصورية

حكى الحرث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور، الى بلدة صور، فلما حصلت بها ذا رفغ وخفض، ومالك رفع وخفض، تقت الى مصر توقان السقيم، الى الاساة، والكريم الى المواساة، فرفضت عوائق الاقامة، واعروريت ظهر ابن النعامة، واجفلت نحوها اجفال النعامة، فلما دخلتها بعد معاناة الاين، ومداناة الحين، كلفت بها كلف النشوان بالاصطباح، والحيران بمتنفس الصباح، فبينما انا يوما بها اطوف، وتحتي فرس قطوف، اذ رأيت على جرد من الخيل، عصبة كمصابيح الليل، فسألت لابتغاء النزهة، عن العصبة والوجهة، فقيل اما القوم فشهود، واما المقصد فاملاك مشهود، فحدتني مبعثة النشاط،

على ان سرت مع الفراط، لا فوز بحلاوة اللقاط، واحوز حلواء السماط، فافضينا بعد مكابدة العناء، الى دار رفيعة البناء، وسيعة الفناء، تشهد لبانيها بالثراء والسناء، فلما نزلنا عن صهوات الخيول، وقدمنا الاقدام للدخول، رأيت دهليزها مجللا باطمار مخرقة، ومكللا بزخارف معلقة، وهناك شخص على قطيفة، فوق دكة لطيفة، فرابني عنوان الصحيفة، ومرأى هذه الطريقة، ودعاني النظر بتلك المناحس، الى ان عمدت لذلك الجالس، فعزمت عليه بمصرف الاقدار، ليعرفني من رب هذه الدار، فقال ما لها مالك معين، ولا صاحب مبين، انما هي مصطبة المقيفين، والمدروزين، ووليجة المشقشقين والمجلوزين، فقلت في نفسي انا لله على ضلة المسعى، وامحال المرعى، وهممت في الحال بالرجعى، لكنني استهجنت العود، من فوري، والقهقرة دون غوري، فولجت الدار،

متجرعًا الغصص، كما يلج العصفور القفص، فإذا فيها
أرائك منقوشة، وطنافس مفروشة، ونمارق مصفوفة،
وسجوف مرصوفة، وقد أقبل المملك يميس في بردته،
ويتبهنس بين حفدته، فحين جلس كأنه ابن ماء
السماء، نادى منادٍ من قبل الأحماء، وحرمة ساسان
أستاذ الأستاذين، وقدوة الشحاذين، لا عقد هذا
العقد المبجل، في ذا اليوم الأغر المحجل، إلا الذي
جال وجاب، وشبّ في الكدية وشاب، فأعجب
رهط الصهر، ما أشار إليه، وأذنوا في إحضار
المنصوص عليه، فبرز شيخ قد أمال الملوان قامته
ونوّر القتيان ثغامته، فتباشرت الجماعة بإقباله
وتبادرت إلى استقباله، فلما جلس على زربيته
وسكنت الضوضاء لهيبته، ازدلف إلى مسنده، ومسح
سبلته بيده، ثم قال الحمد لله المبتدئ بالإفضال
المبتدع بالنوال، المتقرب إليه بالسؤال، المؤمل

لتحقيق

لتحقيق الآمال، الذي شرع الزكوة في الأموال، وزجر عن
نهر السؤال، وندب إلى مواساة المضطر، وأمر بإطعام
القانع والمعتر، ووصف عباده المقربين في كتابه
المبين، فقال وهو أصدق القائلين، والذين في
أموالهم حق للسائل والمحروم، أحمده على ما رزق من طعمة
هنيئة، وأعوذ به من استماع دعوة بلا نيّة، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله يجزي المتصدقين
والمتصدقات، ويمحق الربوا ويربي الصدقات، وأشهد
أن محمدًا عبده الرحيم، ورسوله الكريم، ابتعثه لينسخ
الظلمة بالضياء، وينتصف للفقراء من الأغنياء،
فرفق صلى الله عليه وآله بالمسكين، وخفض جناحه
للمستكين، وفرض الحقوق في أموال المثرين،
وبيّن ما يجب للمقلين على المكثرين، صلى الله عليه
وآله صلوة تحظيه بالزلفة، وعلى أصفيائه أهل الصفة،
أما بعد فإن الله تعالى شرع النكاح لتعففوا وسنّ

معلوم

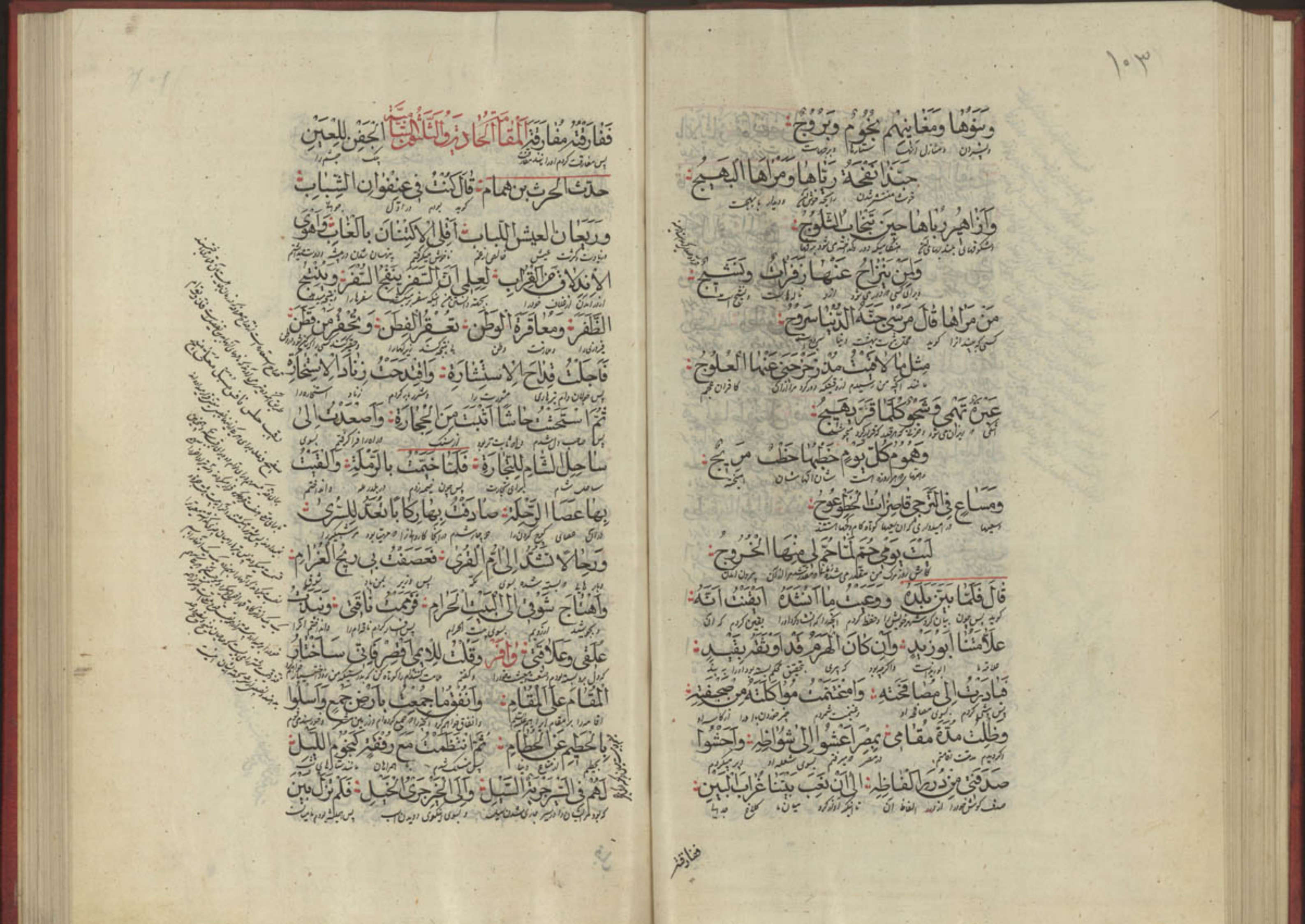
التناسل لكي تتضاعفوا فقال سبحانه لتعرفوا أنا
خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا وهذا أبو دراج ولاج بن خراج ذو الوجه
الوقاح والأفك الصراح والهرير والصياح
والإبرام والإلحاح يخطب سليطة أهلها وشريطة
بعلها قنبس بنت العنبس لما بلغه من التحافها
بالحافها وإسرافها في إسفافها وانكماشها على
معاشها وانتعاشها عند هراشها وقد بذل لها
من الصداق شدادا وعكازا وصقاعا وكرازا
فانكحوه إنكاح مثله وصلوا حبالكم بحبله وإن
خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله أقول قولي
هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وأسأله أن يكثر
في المصاطب نسلكم ويحرس من المعاطب شملكم فلما
فرغ من خطبته وأبرم للختن عقد خطبته تساقط
من النثار ما استغرق حد الإكثار وأغرى الشحيح

بالإيثار

بالإيثار ثم نهض الشيخ يسحب ذلاذله ويقدم أراذله
قال الحارث بن همام فتبعته لأنظر عجز القوم
وأكمل بهجة اليوم فعاج بهم إلى سماط قد زينته طهاته
وتناصفت في الحسن جهاته فحين ربض كل شخص في
ربضته وطفق يرتع في روضته انسللت من الصف
وفررت من الزحف فحانت من الشيخ لفتة إلى فطرة
فهجم بها طرفه علي فقال إلى أين يا برم هلا عاشرت
معاشرة من فيه كرم فقلت والذي خلقها طباقا
وطبقها إشراقا لا ذقت لماقا ولا لست رقاقا أو تخبرني
أين مدب صباك ومن أين مهب صباك فتنفس
الصعداء مرارا وأرسل البكاء مدرارا حتى إذا
استنزف الدمع واستنصت الجمع قال لي اسمع

نظم

مسقط الرأس سروج وبها كنت أموج
بلدة يوجد فيها كل شيء ويروج
وردها من سلسبيل وصحاريها مروج



وسنوها ومغاربهم نجوم وبروج
جنة لمحة رباها ومرآها البهج
وأزاهير رباها حين تختال الثلوج
ولمن يرتاح عنها زفرات ونشيج
من رآها قال مرسى جنة الدنيا سروج
مثل ما لاهمت مذ خرجني عنها العلوج
عين تهمي وشجو كلما قرّ يهيج
وهموم كل يوم خطبها خطب مريج
ومساع في التزجي قاصرات لا تعوج
ليت يومي حمّ لما حمّ لي منها الخروج

قال فلما بيّن ملحه ووعيت ما أنشده أيقنت أنه علامتنا أبو زيد وإن كان الهرم قد أوثقه بقيد فبادرت إلى مصافحته واغتنمت مؤاكلته من صحفه وظلت مدة مقامي بمصر أعشو إلى شواظه وأحشو صدفتي من درر ألفاظه إلى أن نعب بيننا غراب البين

ففارقته

ففارقته مفارقة الجفن للعين

المقامة الحادية والثلاثون

حدث الحرث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب وريعان العيش اللباب أقلي الاكتنان بالغاب وأهوى الانلاف من الأقراب لعلمي أن السفر ينفع السفر ويبلج الظفر ومعاقرة الوطن تعقر الفطن وتخفر من فطن فأجلت قداح الاستخارة وأقدحت زناد الاستشارة ثم استحثت حاشا انبت من التجارة وأصعدت إلى ساحل الشام للتجارة فلما خيمت بالرملة وألقيت بها عصا الرحلة صادفت بها ركابا بالمعد للسرى ورحالا تشد إلى أم القرى فعصفت بي ريح الغرام واهتاج شوقي إلى البيت الحرام فزممت ناقتي ونبذت علقي وعلاقتي وقلت للائمي أقصر فإني سأختار المقام على المقام وأنفق ما جمعت بأرض جمع وأسلو بالحطيم عن الحطام ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية السيل وإلى الخير جري الخيل فلم نزل بين

إدلاج وتأويب ❊ وإيجاف وتقريب ❊ إلى أن جنحنا
أيدي المطايا بالتحفة ❊ في إيصالنا إلى الجحفة ❊ فحللناها
متأهبين للإحرام ❊ متباشرين بإدراك المرام ❊ فلم يك
إلا أن أنخنا الركائب ❊ وحططنا الحقائب ❊ حتى طلع
من بين الهضاب ❊ شخص ضاحي الإهاب ❊ وهو ينادي
يا أهل ذا النادي ❊ هلم إلى ما ينجي يوم التنادي ❊ فانخرط
إليه الحجيج ❊ وانصلتوا واحتفوا به وأنصتوا ❊ فلما رأى
تأثفهم حوله ❊ واستعظامهم قوله ❊ تسنم إحدى الآكام ❊
ثم تنحنح مستفتحا للكلام ❊ وقال يا معشر الحجاج ❊ الناسلين
من الفجاج ❊ أتعقلون ما تواجهون ❊ وإلى من توجهون ❊
أم تدرون على من تقدمون ❊ وعلام تقدمون ❊ أتخالون
أن الحج هو اختيار الرواحل ❊ وقطع المراحل ❊ واتخاذ
المحامل ❊ وإنقار الزوامل ❊ أم تظنون أن النسك هو
نضو الأردان ❊ وإنضاء الأبدان ❊ ومفارقة الولدان ❊
والتنائي عن البلدان ❊ كلا والله بل هو اجتناب الخطيئة ❊

قبل

قبل اجتلاب المطية ❊ وإخلاص النية ❊ في قصد تلك
البنية ❊ وإمحاض الطاعة ❊ عند وجدان الاستطاعة ❊
وإصلاح المعاملات ❊ أمام إعمال اليعملات ❊ فوالذي
شرع المناسك للناسك ❊ وأرشد السالك في
الليل الحالك ❊ ما ينفع الاغتسال بالذنوب ❊ من
الانغماس في الذنوب ❊ ولا يعدل تعرية الأجسام ❊
بتعبئة الأجرام ❊ ولا تغني لبسة الإحرام ❊ عن التلبس
بالحرام ❊ ولا ينفع الاضطباع بالإزار ❊ مع الاضطلاع
بالأوزار ❊ ولا يجدي التقرب بالحلق ❊ مع التقلب
في ظلم الخلق ❊ ولا يرحض التنسك بالتقصير ❊ درن
التمسك بالتقصير ❊ ولا يسعد بعرفة ❊ غير أهل المعرفة ❊
ولا يزكو بالخيف من يرغب في الحيف ❊ ولا يشهد
المقام ❊ إلا من استقام ❊ ولا يحظى بقبول الحج ❊ من
زاغ عن المحج ❊ فرحم الله امرأ صفا ❊ قبل مسعاه إلى
الصفا ❊ وورد شريعة الرضا ❊ قبل شروعه على الأضاة ❊

وَنَزَعَ عَنْ تَلْبِيسِهِ ❊ قَبْلَ نَزْعِ مَلْبُوسِهِ ❊ وَفَاضَ بِمَعْرُوفِهِ ❊
قَبْلَ الْإِفَاضَةِ مِنْ تَعْرِيفِهِ ❊ ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ ❊ بِصَوْتٍ
أَسْمَعَ الصُّمَّ ❊ وَكَادَ يُزَعْزِعُ الْجِبَالَ الشُّمَّ ❊ وَأَنْشَدَ
مَا الْحَجُّ سَيْرُكَ تَأْوِيبًا وَإِدْلَاجًا ❊ وَلَا اعْتِيَامُكَ
أَجْمَالًا وَأَحْدَاجًا ❊ الْحَجُّ أَنْ تَقْصِدَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ❊ عَلَى تَجْرِيدِكَ
الْحَجَّ لَا تَقْضِي بِهِ حَاجًا ❊ وَتَمْتَطِي كَاهِلَ الْإِنْصَافِ مُتَّخِذًا ❊
رَدْعَ الْهَوَى هَادِيًا تَحْتُو مِنْهَاجًا ❊ وَأَنْ تُوَاسِيَ مَا أُوتِيتَ
مَقْدُرَةً ❊ مَنْ مَدَّ الْكَفَّ كَفًّا إِلَى جَدْوَاكَ مُحْتَاجًا ❊ فَهَذِهِ
إِنْ حَوَتْهَا حِجَّةٌ كَمُلَتْ ❊ وَإِنْ خَلَا الْحَجُّ مِنْهَا كَانَ إِخْدَاجًا ❊
حَسْبُ الْمُرَائِينَ غَبْنًا أَنَّهُمْ غَرَسُوا ❊ وَمَا جَنَوْا وَلَقُوا كَدًّا ❊
وَإِزْعَاجًا ❊ وَأَنَّهُمْ حُرِمُوا أَجْرًا وَمَحْمَدَةً ❊ وَالْعَمُوا الْجَمُوا أَعْرَاضَهُمْ ❊
مَنْ عَابَ أَوْ هَاجَا ❊ أَخِي فَبِعْ بِمَا تُبْدِيهِ مِنْ قُرَبٍ ❊ وَجْهَ
الْمُهَيْمِنِ وَلَا جَاهًا وَخَرَاجًا ❊ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ ❊
إِنْ أَخْلَصَ الْعَبْدُ فِي الطَّاعَاتِ أَوْ دَاجَى ❊ وَبَادِرِ الْمَوْتَ
بِالْحُسْنَى تُقَدِّمُهَا ❊ فَمَا يُنَهْنِهُ دَاعِي الْمَوْتِ إِنْ فَاجَا ❊

وَافْنِ التَّوَاضُعَ خُلْقًا لَا تُزَايِلُهُ ❊ عَنْكَ اللَّيَالِي وَلَوْ
أَلْبَسْنَكَ التَّاجَا ❊ وَلَا تَشِمْ كُلَّ خَالٍ لَاحَ بَارِقُهُ ❊ وَلَوْ تَرَاءَى
هَتُونَ السَّكْبِ ثَجَّاجَا ❊ مَا كُلُّ دَاعٍ بِأَهْلٍ أَنْ يُصَاخَ لَهُ
كَمْ قَدْ أَصَمَّ بِبَغْيٍ بَعْضُ مَنْ نَاجَى ❊ وَمَا اللَّبِيبُ سِوَى مَنْ بَاتَ
مُقْتَنِعًا ❊ بِبُلْغَةٍ تُدْرِجُ الْأَيَّامَ إِدْرَاجَا ❊ فَكُلُّ كُثْرٍ إِلَى
قُلٍّ مَغَبَّتُهُ ❊ وَكُلُّ ثَاوٍ إِلَى الْبَيْنِ وَإِنْ هَاجَا ❊ قَالَ
الرَّاوِي فَلَمَّا أَلْقَحَ عُقْمَ الْأَفْهَامِ ❊ بِنَسْجِ الْكَلَامِ اسْتَرْوَحْتُ
رِيحَ أَبِي زَيْدٍ ❊ وَمَادَنِي الِارْتِيَاحُ إِلَيْهِ أَيَّ مَيْدٍ ❊
فَمَكَثْتُ حَتَّى اسْتَوْعَبَ نَثَّ حِكْمَتِهِ ❊ وَانْحَدَرَ مِنْ أَكَمَتِهِ ❊
ثُمَّ دَلَفْتُ إِلَيْهِ لِأَتَصَفَّحَ صَفَحَاتِ مُحَيَّاهُ ❊ وَأَسْتَشِفَّ جَوْهَرَ
حُلَاهُ ❊ فَإِذَا هُوَ الضَّالَّةُ الَّتِي أَنْشُدُهَا ❊ وَنَاظِمُ الْقَلَائِدِ
اللَّاتِي أَنْشَدَهَا ❊ فَعَانَقْتُهُ عِنَاقَ اللَّامِ لِلْأَلِفِ ❊
وَنَزَّلْتُهُ مَنْزِلَةَ الْبُرْءِ عِنْدَ الدَّنِفِ ❊ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُلَازِمَنِي
فَأَبَى ❊ أَوْ يُزَامِلَنِي فَنَبَا ❊ وَقَالَ آلَيْتُ فِي حَجَّتِي هَذِهِ أَنْ
لَا أَحْتَقِبَ ❊ وَلَا أَعْتَقِبَ ❊ وَلَا أَكْتَسِبَ ❊ وَلَا أَنْتَسِبَ ❊

وَلَا أَرْتَفِقُ ۞ وَلَا أُرَافِقُ ۞ وَلَا أُوَافِقُ مَنْ يُنَافِقُ ۞
ثُمَّ ذَهَبَ يُهَرْوِلُ ۞ وَغَادَرَنِي أُوَلْوِلُ ۞ فَلَمْ أَزَلْ أُفَرِّرُ
نَظَرِي ۞ وَأَوَدُّ لَوْ يَمْشِي عَلَى بَصَرِي ۞ حَتَّى تَوَقَّلَ أَحَدَ
الْأَطْوَادِ ۞ وَوَقَفَ لِلْحَجِيجِ بِالْمِرْصَادِ ۞ فَحِينَ شَاهَدَ
إِيضَاعَ الرُّكْبَانِ فِي الْكُثْبَانِ ۞ وَقَرَعَ بِالْبَنَانِ عَلَى الْبَنَانِ ۞
وَانْدَفَعَ يُنْشِدُ ۞ لَيْسَ مَنْ زَارَ رَاكِبًا مِثْلَ سَاعٍ عَلَى الْقَدَمِ ۞
لَا وَلَا خَادِمٌ أَطَاعَ كَعَاصٍ مِنَ الْخَدَمِ ۞
كَيْفَ يَا قَوْمُ يَسْتَوِي سَعْيُ بَانٍ وَمَنْ هَدَمْ ۞
سَيُقِيمُ الْمُفَرِّطُونَ غَدًا مَأْتَمَ النَّدَمْ ۞
وَيَقُولُ الَّذِي تَقَرَّبَ طُوبَى لِمَنْ خَدَمْ ۞
وَيْكِ يَا نَفْسُ قَدِّمِي صَالِحًا عِنْدَ ذِي الْقِدَمْ ۞
وَازْدَرِي زُخْرُفَ الْحَيُوةِ فَوِجْدَانُهُ عَدَمْ ۞
وَاذْكُرِي مَصْرَعَ الْحِمَامِ إِذَا خَطْبُهُ صَدَمْ ۞
وَانْدُبِي فِعْلَكِ الْقَبِيحَ وَسُحِّي لَهُ بِدَمْ ۞
وَادْرِكِيهِ بِتَوْبَةٍ قَبْلَ أَنْ تَحْلَمَ الْأَدَمْ ۞

فعسى الله

فَعَسَى اللهُ أَنْ يَقِيكِ لَسَعِيرَ الَّذِي احْتَدَمْ ۞
يَوْمَ لَا عَثْرَةٌ تُقَالُ وَلَا يَنْفَعُ السَّدَمُ ۞
ثُمَّ إِنَّهُ أَغَدَّ غَضْبَ لِسَانِهِ ۞ وَانْطَلَقَ لِشَأْنِهِ ۞ فَمَا
زِلْتُ فِي كُلِّ مَوْرِدٍ أَرِدُهُ ۞ وَمُعَرَّسٍ أَتَوَسَّدُهُ ۞ أَتَفَقَّدُهُ
فَأَفْقِدُهُ ۞ وَأَسْتَنْجِدُ بِمَنْ يَنْشُدُهُ ۞ فَلَا يَجِدُهُ ۞ حَتَّى خِلْتُ
أَنَّ الْجِنَّ اخْتَطَفَتْهُ ۞ أَوِ الْأَرْضَ فَتَطَفَتْهُ ۞ فَمَا كَابَدْتُ
فِي الْغُرْبَةِ ۞ كَمَدِ الْكُرْبَةِ ۞ وَلَا مُنِيتُ فِي سَفْرَةٍ ۞ بِمِثْلِهَا مِنْ زَفْرَةٍ ۞

الْمَقَامَةُ الثَّانِيَةُ وَالثَّلٰثُونَ الْفِقْهِيَّةُ

حَكَى الْحَرِثُ بْنُ هَمَّامٍ ۞ قَالَ أَجْمَعْتُ حِينَ قَضَيْتُ مَنَاسِكَ
الْحَجِّ ۞ وَأَقَمْتُ وَظَائِفَ الْعَجِّ وَالثَّجِّ ۞ أَنْ أَقْصِدَ طَيْبَةَ ۞ مَعَ
رُفْقَةٍ ۞ مِنْ بَنِي شَيْبَةَ ۞ لِأَزُورَ قَبْرَ الْمُصْطَفَى ۞ وَأَخْرُجَ
مِنْ قَبِيلِ مَنْ حَجَّ وَجَفَا ۞ فَأُرْجِفَ بِأَنَّ الْمَسَالِكَ
شَاغِرَةٌ ۞ وَعَرَبَ الْحَرَمَيْنِ مُتَشَاجِرَةٌ ۞ فَحِرْتُ بَيْنَ إِشْفَاقٍ
يُثَبِّطُنِي ۞ وَأَشْوَاقٍ تُنَشِّطُنِي ۞ إِلَى أَنْ أُلْقِيَ فِي رُوعِي الْاسْتِسْلَامُ ۞
وَتَغْلِيبُ زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ۞ فَاعْتَمْتُ الْقِعْدَةَ

وأعددت العدة • وسرت والرفقة • لا نلوي على
عرجة • ولا نثني في تأويب • ولا دلجة • حتى وافينا
بني حرب • وقد آبوا من حرب • فأزمعنا أن نقضي ظل
اليوم • في حلة القوم • وبينما نحن نتخير المناخ • ونرود
الورد النقاخ • إذ رأيناهم يركضون • كأنهم إلى نصب
يوفضون • فرابنا انثيالهم • وسألنا ما بالهم • فقيل
قد حضر ناديهم • فقيه العرب • فأهرعهم لهذا السبب •
فقلت لرفقتي ألا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد
من الغي • فقالوا لقد أسمعت • إذ دعوت • ونصحت
فما ألوت • ثم نهضنا نتبع الهادي • ونؤم النادي •
حتى إذا أظللنا عليه • واستشرفنا الفقيه المنهود
إليه • ألفيته أبا زيد ذا الشقر والبقر • والفواقر
والفقر • وقد اعتم القفداء • واشتمل الصماء • وقعد
القرفصاء • وأعيان الحي به محتفون • وأخلاطهم
عليه ملتفون • وهو يقول سلوني عن المعضلات •

واستوضحوا مني المشكلات • فوالذي فطر السماء و
علم آدم الأسماء • إني لفقيه العرب العرباء • وأعلم
من تحت الخضراء • فصمد له فتى فتيق اللسان جريء الجنان •
وقال إني حاضرت فقهاء الدنيا • حتى انتخلت منهم مائة
فتيا • فإن كنت ممن يرغب عن نبات غمر • ويرغب منا
في سبر • فاستمع وأجب • لتقابل بما يجب • فقال والله
أكبر سيبين المخبر • وينكشف المضمر • فاصدع بما تؤمر •

قال ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله • قال
انتقض وضوؤه بفعله • النعل الزوجة •

قال فإن توضأ ثم اتكأه البرد • قال يجدد الوضوء من بعد •
البرد النوم •

قال أيمسح المتوضئ أنثييه • قال قد ندب إليه ولم يوجب عليه •
الأنثيان الأذنان •

قال أيجوز الوضوء بما يقذف الثعبان • قال وهل أنظف منه للعريان •
الثعبان جمع ثعب وهو مسيل الوادي •



٥ قال أيستباح ماء الضرير؟ قال نعم ويجتنب ماء البصير.
الضرير حرف الوادي والبصير الكلب.

٦ قال أيحل الطوف بالربيع؟ قال يكره ذلك للمحدث الشنيع.
الطوف التغوط والربيع النهر الصغير.

٧ قال أيجب الغسل على من أمنى؟ قال لا ولو ثنى.
أمنى نزل منى يقال منه منّى وأمنى وامتنى.

٨ قال فهل يجب على الجنب غسل فروته؟ قال أجل وغسل إبرته.
الفروة جلدة الرأس والإبرة عظم المرفق.

٩ قال فإن أخل بغسل فأسه؟ قال هو كما لو ترك غسل رأسه.
الفأس العظم المشرف على القفا.

١٠ قال فإن تيمم ثم رأى روضاء؟ قال بطل تيممه فليتوضأ.
الروض ههنا جمع روضة وهي الصبابة تبقى في الحوض.

١١ قال أيجوز أن يسجد الرجل في العذرة؟ قال نعم وليجانب القذرة.
العذرة فناء الدار.

١٢ قال فهل له السجود على الخلاف؟ قال لا ولا على أحد الأطراف.

الخلاف

الخلاف الكم.

١٣ قال فإن سجد على شماله؟ قال لا بأس بفعاله.
الشمال جمع شملة.

١٤ قال فهل يجوز السجود على الكراع؟ قال نعم دون الذراع.
الكراع ما استطال من الحرة.

١٥ قال أيصلي على رأس الكلب؟ قال نعم كسائر الهضب.
رأس الكلب ثنية معروفة.

١٦ قال ما تقول فيمن صلى وعانته بارزة؟ قال صلاته جائزة.
العانة جماعة من حمر الوحش.

١٧ قال فإن صلى وعليه صوم؟ قال يعيد ولو صلى مائة يوم.
الصوم ذرق النعام.

١٨ قال فإن حمل جروا وصلى؟ قال هو كما لو حمل باقلى.
الجرو الصغار من القثاء والرمان.

١٩ قال أتصح صلاة حامل القروة؟ قال لا ولو صلى فوق المروة.
القروة ميلغة الكلب.

٢٠ قال فإن قطر على ثوب المصلي نجو؟ قال يمضي في صلوته ولا غرو.

النجو السحاب الذي قد هراق ماءه.

٢١ قال أيجوز أن يؤم الرجال مقنع؟ قال نعم ومدرع.

المقنع لابس المغفر والمدرع لابس الدرع.

٢٢ قال فإن أمهم من في يده وقف؟ قال يعيد ولو أنهم ألف.

الوقف سوار من العاج أو الذبل، وأراد أنه لا يجوز للرجال الائتمام بالنساء.

٢٣ قال فإن أمهم من فخذه بادية؟ قال صلوته وصلوتهم ماضية.

الفخذ العشيرة، وبادية تسكن البدو، واختار بعض أهل اللغة تسكين الخاء منها ليحصل الفرق بينها.

٢٤ قال فإن أمهم الثور الأجم؟ قال صل وخلاك ذم.

الثور السيد والأجم الذي لا رمح معه.

٢٥ قال أيدخل القصر في صلوة الشاهد؟ قال لا والغائب الشاهد.

صلوة الشاهد صلوة المغرب سميت بذلك لأنها تقام عند طلوع النجم لأن النجم يسمى الشاهد.

٢٦ قال أيجوز للمعذور أن يفطر في شهر رمضان؟ قال ما رخص فيه إلا للصبيان.

المعذور المختون وهو أيضا المعذر.

٢٧ قال فهل للمعرس أن يأكل فيه؟ قال نعم بملء فيه.

المعرس

المعرس المسافر الذي ينزل من آخر الليل ليستريح ثم يرحل.

٢٨ قال فإن أفطر فيه العراة؟ قال لا تنكر عليهم الولاة.

العراة الذين تأخذهم العرواء وهي الحمى برعدة.

٢٩ قال فإن أكل الصائم بعدما أصبح؟ قال هو أحوط له وأصلح.

أصبح أي استصبح بالمصباح.

٣٠ قال فإن عمد لأن أكل ليلا؟ قال ليشمر للقضاء ذيلا.

الليل فرخ الحبارى وقيل هو ولد الكروان.

٣١ قال فإن أكل قبل أن تتوارى البيضاء؟ قال يلزمه والله القضاء.

البيضاء من أسماء الشمس.

٣٢ قال فإن استثار الصائم الكبد؟ قال أفطر ومن أحل الصيد.

الكبد القيء واستثاره استدعاه.

٣٣ قال هل يفطر بالحاج الطابخ؟ قال نعم لا بطاهي المطابخ.

الطابخ الحمى الصالب.

٣٤ قال فإن ضحكت المرءة في صومها؟ قال بطل صوم يومها.

ضحكت ههنا حاضت ومنه قوله تعالى فبشرناها بإسحق

٣٥

قال فإن ظهر الجدري على ضرتها: قال تفطر إن آذن بمضرتها:

الضرة أصل الإبهام وأصل الثدي أيضا:

٣٦

قال ما يجب في مائة مصباح: قال حقتان يا صاح: المصباح الناقة التي تصبح في المبرك:

٣٧

قال فإن ملك عشر خناجر: قال يخرج شاتين ولا يشاجر:

الخناجر النوق الغزار اللبن واحدها خنجر وخنجور:

٣٨

قال فإن سمح للساعي بحميمته: قال يا بشرى له يوم قيامته:

الساعي جابي الصدقة والحميمة خيار المال:

٣٩

قال أيستحق حملة الأوزار من الزكوة جزاء: قال نعم إذا كانوا غزى:

الأوزار السلاح وغزى جمع غاز:

٤٠

قال أيجوز للحاج أن يعتمر: قال لا ولا أن يختمر:

الاعتمار لبس العمارة وهي العمامة والاختمار لبس الخمار والحاج واحد وجمع

٤١

قال فهل له أن يقتل الشجاع: قال نعم كما يقتل السباع:

الشجاع الحية:

٤٢

قال فإن قتل زمارة النعامة في الحرم: قال عليه بدنة من النعم:

الزمارة النعامة واسم صوتها الزمار:

قال



٤٣

قال فإن رمى ساق حر فجدله: قال يخرج شاة بدله:

ساق حر ذكر القماري:

٤٤

قال فإن قتل أم عوف بعد الإحرام: قال يتصدق بقبضة من الطعام:

أم عوف الجرادة:

٤٥

قال أيجب على الحاج استصحاب القارب: قال نعم ليقودهم الى الماء:

القارب طالب الماء بالليل والحاج اسم الجمع والواحد

٤٦

قال ما تقول في الحرام بعد السبت: قال قد حل في ذلك الوقت:

الحرام المحرم والسبت حلق الرأس وحل من تحليل الحج:

٤٧

قال ما تقول في بيع الكميت: قال حرام كبيع الميت:

الكميت الخمر:

٤٨

قال أيجوز بيع الخل بلحم الجمل: قال لا ولا بلحم الحمل:

الخل ابن المخاض ولا يحل بيع اللحم بالحيوان سواء كان من جنسه او غير جنسه:

٤٩

قال أيحل بيع الهدية: قال لا ولا بيع السبية:

الهدية بالتشديد ما أهدي الى الكعبة ويقال فيها هدي بتسكين الدال وتخفيف الياء والسبية الخمر

٥٠

قال ما تقول في بيع العقيقة: قال محظور على الحقيقة:

العقيقة ما يذبح عن المولود في اليوم السابع من ولادته.

٥١
قال أيباع الصقر بالتمر. قال لا ومالك الخلق والأمر.
الصقر الدبس.

٥٢
قال أيجوز بيع الداعي على الراعي. قال لا ولا على الساعي.
الداعي بقية اللبن في الضرع والساعي جابي الصدقة.

٥٣
قال أيشتري المسلم سلب المسلمة. قال نعم ويورث عنه إذا مات.
السلب لحاء الشجر وهو أيضا خوص الثمام.

٥٤
قال هل يجوز أن يذبح الشافع. قال ما للجواز من دافع
الشافع الشاة التي معها سخلها.

٥٥
قال أيباع الإبريق على بني الأصفر. قال يكره كبيع المغفر.
الإبريق السيف الصقيل الكثير الماء وبنو الأصفر الروم.

٥٦
قال أيجوز أن يبيع الرجل صيفيته. قال لا ولكن ليبيع صفيته.
الصيفي الولد على الكبر والصفي الناقة الغزيرة الدر.

٥٧
قال فإن اشترى عبدا فبان بأمه جراح. قال ما في رده جناح.
الأم مجتمع الدماغ.

٥٨
قال أتثبت الشفعة للشريك في الصحراء. قال لا ولا للشريك في الصفراء.
الصحراء الأتان التي يمازج بياضها غبرة والصفراء ناقة أو أتان.

٥٩
قال أيحل أن يحمى ماء البئر والخلاء. قال إن كان في الفلاة فلا.
يحمى يمنع والخلاء الكلأ.

٦٠
قال ما تقول في ميتة الكافر. قال حل للمقيم والمسافر.
الكافر البحر والسمك الطافي فوق مائه.

٦١
قال أيجوز أن يضحى بالحول. قال هو أجدر بالقبول.
الحول جمع حائل.

٦٢
قال فهل يضحى بالطالق. قال نعم ويقرى عنها الطارق.
الطالق الناقة التي ترسل ترعى حيث ما شاءت.

٦٣
قال فإن ضحى قبل ظهور الغزالة. قال شاته لحم بلا محالة.
الغزالة الشمس وقال بعضهم طلعت الغزالة ولا يقال غربت وضلت
الجونة تسمى بها عند مغيبها لأنها تسود حين الغيب كما قال الشاعر شعر
يبادر الجونة أن تغيبا.

٦٤
قال أيحل الكسب بالطرق. قال هو كالقمار بلا فرق.

الطرق الضرب بالحصى وهو من افعال الكهنة

٦٥

قال أيسلم القائم على القاعد قال محظور فيما بين الاباعد

القاعد التي قعدت عن الحيض او عن الازواج

٦٦

قال أينام العاقل تحت الرقيع قال الحب يرى في البقيع

الرقيع السماء وعنى بالبقيع بقيع المدينة

٦٧

قال أيمنع الذمي من قتل العجوز قال معارضته في العجوز لا تجوز

العجوز الخمر وقتلها مزجها

٦٨

قال أيجوز ان ينتقل الرجل عن عمارة أبيه قال ما جوز لخامل ولا نبيه

العمارة القبيلة

٦٩

قال ما تقول في التهويد قال هو مفتاح التزهيد

التهويد التوبة ومنه قوله تعالى انا هدنا اليك

٧٠

قال ما تقول في صبر البلية قال اعظم بها من خطية

الصبر الحبس والبلية الناقة تحبس عند قبر صاحبها ولا تسقى ولا تعلف الى ان تموت وكانت الجاهلية تزعم ان صاحبها يحشر عليها

٧١

قال أيحل ضرب السفير قال نعم والحمل على المستشير

السفير

السفير ما تساقط من ورق الشجر والمستشير الجمل السمين وهو ايضا الجمل الذي يعرف اللاقح من الحائل

٧٢

قال أيعزر الرجل اباه قال يفعله البر ولا يأباه

التعزير التعظيم والنصرة

٧٣

قال ما تقول في من افقر اخاه قال حبذا ما توخاه

افقره اعاره ناقة يركب فقارها

٧٤

قال فان اعرى ولده قال يا حسن ما اعتمده

اعراه اعطاه ثمرة نخلة عاما

٧٥

قال فان اصلى مملوكه النار قال لا اثم عليه ولا عار

المملوك العجين الذي قد اجيد عجنه حتى قوي

٧٦

قال أيجوز للمرأة ان تصرم بعلها قال ما حظر احد فعلها

البعل النخل الذي يشرب بعروقه من الارض وصرامها قطع ثمرها

٧٧

قال هل تؤدب المرأة على الخجل قال اجل الخجل سوء احتمال الغنا ومنه قوله للنساء انكن اذا جعتن دقعتن وان شبعتن خجلتن

دقعتن لصقتن بالتراب والدقعا التراب

٧٨

قال ما تقول فيمن نحت اثلة اخيه قال اثم ولو اذن له فيه

تحت أثلته إذا اغتابه وقدح في عرضه

٧٩

قال أيحجر الحاكم على صاحب الثور قال نعم لما من غايلة الجور

الثور الجنون

٨٠

قال فهل له أن يضرب على يد اليتيم قال نعم إلى أن يستقيم

يقال ضرب على يده إذا حجر عليه

٨١

قال هل يجوز أن يتخذ له ربضا قال لا ولو كان له رضا

الربض الزوجة

٨٢

قال فمتى يبيع بدن السفيه قال حين يرى له الحظ فيه

البدن الدرع القصيرة

٨٣

قال فهل يجوز أن يبتاع له حشا قال نعم إذا لم يكن مغشا

الحش النخل المجتمع

٨٤

قال أيجوز أن يكون الحاكم ظالما قال نعم إذا كان عالما

الظالم الذي يشرب اللبن قبل أن يروب ويخرج زبده

٨٥

قال أينقضي حكم ليس له بصيرة قال نعم إذا حسنت منه السيرة

البصيرة الترس

قال

٨٦

قال فإن تعرى من العقل قال ذلك عنوان الفضل

العقل ضرب من الوشي

٨٧

قال فإن كان له زهو وجبار قال بلا إنكار ولا إكبار

الزهو البسر الملون والجبار النخل الذي قد فات اليد [illegible]

٨٨

قال أيجوز أن يكون الشاهد مريبا قال نعم إذا كان أريبا

المريب أن يكثر عنده اللبن الرائب

٨٩

قال فإن بان أنه لاط قال هو كما لو حاط

لاط الحوض إذا طينه

٩٠

قال فإن عثر على أنه غربل قال ترد شهادته ولا تقبل

غربل أي قتل ومنه قول الراجز ترى الملوك حوله مغربلة

٩١

قال فإن وضح أنه مابن قال هو وصف له زاين

المابن ههنا الذي يعول ويكفي المؤونة من يمون

٩٢

قال ما يجب على عابد الحق قال يحلف بالله الخلق

العابد ههنا الجاحد والحق الدين

٩٣

قال ما تقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا قال تفقأ عينه قودا ولا حدا

البلبل الرجل الخفيف

٩٤ قال فإن جرح قطاة امرأة فماتت: قال النفس بالنفس إذا فاتت:

القطاة ما بين الوركين:

٩٥ قال فإن ألقت الحامل حشيشاً من ضربه: قال ليكفر بالإعتاق عن ذنبه:

الحشيش بالحاء المهملة الجنين الملقى ميتاً:

٩٦ قال ما يجب على المختفي في الشرع: قال القطع لإقامة الردع:

المختفي نباش القبور:

٩٧ قال فإن سرق ثميناً من ذهب: قال لا قطع كما لو غصب:

الثمين الثمن كما يقال في النصف نصيف وفي السدس سديس:

٩٨ قال فإن بان على المرأة السرق: قال لا حرج عليها ولا فرق:

السرق الحرير الأبيض:

٩٩ قال أينعقد نكاح لم تشهده القواري: قال لا والخالق الباري:

القواري الشهود لأنهم يقرون الأشياء أي يتتبعونها:

١٠٠ قال ما تقول في عروس باتت بليلة حرة ثم ردت في حافرتها بسحرة: قال يجب لها نصف الصداق ولا تلزمها عدة الطلاق:

يقال

يقال باتت العروس بليلة حرة إذا امتنعت على زوجها: ومنه قول النابغة تمدح النوار بالتمنع:

نظم شمس موانع كل ليلة حرة: يخلفن ظن الفاحش المغيار:

فإن افتضها قيل باتت بليلة شيباء: ومنه قول الشاعر: نظم طبتوها ولم أطب بطيب: رب منع ألذ من إعطاء: بت في درعها وباتت ضجيعي: في بصير وليلة شيباء: والبصير في هذا البيت جمع بصيرة وهي القطعة من الدم: والرد في الحافرة بمعنى الرجوع في الطريق الأول: فكنى به عن طلاقها وردها إلى أهلها:

فقال له السائل: لله درك من بحر لا يغضغضه الماتح: وحبر لا يبلغ مدحه المادح: ثم أطرق إطراق المحيي: وأرم إرمام العيي: فقال له أبو زيد إيه يا فتى: فإلى متى: فقال إنه لم يبق في كنانتي مرماة: ولا بعد إشراق صبحك مماراة: فبالله أي ابن أرض أنت: فما أبين أحسن ما أبنت: فأنشد بلسان ذلق: وصوت صهصلق: أنا في العالم

مثله ولأهل العالم قبله غير أني كل يوم بين تغريب ورحلة والغريب الدار لو حل بطوبى لم يطب له ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هدي وهدى فاجعلنا ممن يهتدي ويهدي فساق إليه القوم ذوداً مع قينة وسألوه أن يزورهم الفينة بعد الفينة فنهض يمنيهم العود ويزجي الأمة والذود قال الحرث بن همام فاعترضته وقلت عهدي بك سفيها فمتى صرت فقيها فظل هنيهة يجول ثم أنشأ يقول متقارب

لبست لكل زمان لبوسا ولابست صرفيه نعمى وبوسى

وعاشرت كل جليس بما يلائمه لأروق الجليسا

فعند الرواة أدير الكلام وبين السقاة أدير الكؤوسا

وطوراً بوعظي أسيل الدموع وطوراً بلهوي أسر النفوسا

وأقري المسامع أما نطقت بيانا يقود الحرون الشموسا

وإن شئت أرعف كفي اليراع فساقط درا يحلي الطروسا

وكم مشكلات حكين السهاء خفاء فصرن بكشفي شموسا

وكم ملح لي خلبن العقول وأسأرن في كل قلب رسيسا

وعذراء هنت بها فانثنى عليها الثناء طليقا حبيسا

على أنني من زماني خصصت بكيد ولا كيد فرعون موسى

يسعر لي كل يوم وغى أطا من لظاها وطيسا وطيسا

ويدني إلي البعيد البغيض ويبعد عني القريب الأنيسا

ولولا خساسة أخلاقه لما كان حظي منه خسيسا

فقلت له خفض الأحزان ولا تلم الزمان واشكر لمن نقلك عن مذهب ابليس إلى مذهب ابن ادريس فقال دع الهتار ولا تهتك الأستار وانهض بنا لنضرب إلى مسجد يثرب فعسى أن نرخص بالمزار درن الأوزار فقلت هيهات أن أسير أو أفقه التفسير فقال تالله لقد أوجبت ذمما وطلبت أمما فها لكما تفي النفس وتنفي اللبس قال فلما أوضح المعمى وكشف عن الغمى شددنا الأكوار وسرت وسار ولم أزل من مزية مسامرته مدة مسايرته فيما أنساني طعم المشقة و

وددتُ معهُ بعدَ الشُّقةِ حتّى إذ دخلنا مدينةَ الرّسولِ
وفرَغنا من الزيارةِ بالسُّؤلِ أشأمَ وأعرقَ وغرّبَ وشرّقَ

المقامةُ الثالثةُ والثلاثونَ التفليسيّةُ

أخبرَ الحرثُ بنُ همّامٍ قالَ عاهدتُ اللهَ تعالى مذ يفعتُ
ألّا أؤخّرَ الصلوةَ ما استطعتُ فكنتُ أراعي أوقاتَ
الصلوةِ وأحاذرُ من مأثمِ الفواتِ وإذا أفقتُ في
رحلةٍ أو حللتُ بحِلّةٍ مرحتُ بصوتِ الداعي إليها
واقتديتُ بمن يحافظُ عليها فاتّفقَ حينَ دخلتُ تفليسَ
أن صلّيتُ مع زمرةٍ مفاليسَ فلمّا قضينا الصلوةَ
وأزمعنا الانفلاتَ برزَ الشيخُ بادي اللقوةِ بالي
الكسوةِ والقوّةِ فقالَ عزمتُ على من خُلِقَ من طينةِ الحريّةِ
وتفوّقَ درَّ العصبيّةِ إلّا ما تكلّفَ لي لُبثةً واستمعَ
منّي نفثةً ثمّ لهُ الخيارُ من بعدهِ وبيدهِ البذلُ والردُّ
فعقدَ لهُ القومُ الحُبا وركَدوا أمثالَ الرُّبا فلمّا آنسَ
حُسنَ إنصاتهم وركانةَ حصاتهم قالَ يا أولي الأبصارِ

الرامقةِ والبصائرِ الرائقةِ أما يغني عن الخبرِ العيانُ
وينبي عن النارِ الدخانُ شيبٌ لائحٌ ووهنٌ قادحٌ
وداءٌ واضحٌ والباطنُ فاضحٌ ولقد كنتُ واللهِ ممّن
ملكَ ومالَ ووليَ ووالَ ورفدَ ونالَ ووصلَ وصالَ
فلم تزلِ الجوائحُ تسحتُ والنوائبُ تنحتُ حتّى الوكرُ قفرٌ
والكفُّ صِفرٌ والشعارُ ضرٌّ والعيشُ مرٌّ والصِّبيةُ
يتضاغونَ من الطَّوى ويتمنّونَ مصاصةَ النوى
ولم أقم هذا المقامَ الشائنَ وأكشفْ لكمُ الدفائنَ
إلّا بعدما شقيتُ ولقيتُ وشبتُ ممّا لقيتُ فليتني
لم أكنْ بقيتُ ثمّ تأوّهَ تأوّهَ الأسيفِ وأنشدَ بصوتٍ
ضعيفٍ (سريع) أشكو إلى الرحمنِ سبحانهُ تقلّبَ الدهرِ وعدوانهُ
وحادثاتٍ قرعتْ مروتي وقوّضتْ مجدي وبنيانهُ
واهتصرتْ عودي ويا ويلَ من تهتصرُ الأحداثُ أغصانهُ
وأمحلتْ ربعي حتّى خلتْ من ربعيَ المُمحلِ جرذانهُ
وغادرتني حائراً بائراً أكابدُ الفقرَ وأشجانهُ

مِن بعد ما كنتُ أخا ثروةٍ يسحبُ في النعمة أردانَه

يخبطُ العافون أوراقَه ويحمدُ السارون نيرانَه

فأصبحَ اليومَ كأن لم يكن أعانَه الدهرُ الذي عانَه

وازورَّ من كان له زائراً وعافَ عافي العرفِ عرفانَه

فهل فتى يجبرُ ما يرى من ضُرّ شيخٍ دهرُه خانَه

فيفرجَ الهمَّ الذي همَّه ويصلحَ الشأنَ الذي شانَه

قال الراوي فصبَت الجماعةُ إلى أن تستثبتَه لتستنبشَ خباياه وتستنفضَ حقيبتَه فقالت له قد عرفنا قدرَ نثرك ورأينا درَّ نظمك فعرّفنا دوحةَ شعبتك واحسر اللثامَ عن نسبتك فأعرضَ إعراضَ من مُنيَ بالإعنات أو بُشّر بالبنات وجعل يلعنُ الضرورات ويتأفّف من تعكّس المروءات ثم أنشد بلفظٍ صادعٍ وجرسٍ خادعٍ **متقارب**

لعمرك ما كلُّ فرعٍ يدلُّ جناه اللذيذُ على أصلِه

فكُلْ ما حلا حين تُؤتى به ولا تسألِ الشهدَ عن نحلِه

وميّز إذا ما اعتصرتَ الكروم سُلافةَ عصرِك من خلِّه

لتُغلي وتُرخصَ عن خبرةٍ وتشري كلاً بشِرى مثلِه

فعارٌ على الفطنِ اللوذعيّ دخولُ الغميزةِ في عقلِه

قال فازدهى القومَ بذكائه ودهائه واختلبهم بحسن أدائه مع دائه حتى جمعوا له خبايا الخُبن وخفايا الثُّبن وقالوا له يا هذا إنك حُمتَ على بكيّةٍ بكيئة وتعرّضتَ لحلبةٍ خليّة فخذ هذه الصبابةَ وهبها لا خطاءً ولا إصابة فتقبّلها منزلةَ الكثر ووصلَ قولَه بالشكر ثم تولّى يجرُّ شقّه وينهبُ بالخبط طرقَه قال المخبر بهذه الحكاية فصُوِّر لي أنه محيلٌ لحليته متصنّعٌ في مشيته فنهضتُ أنهجُ منهاجَه وأقفو أدراجَه وهو يلحظني شزراً ويوسعني هجراً حتى إذا خلا الطريق وأمكنَ التحقيق نظرَ إليّ نظرَ من هشَّ وبشَّ ومحضَ بعد ما غشَّ وقال إني لإخالك أخا غربةٍ ووارد صحبة فهل لك في رفيقٍ يرفقُ بك ويرفقُ وينفق فقلتُ لو أتاني هذا الرفيقُ لوافاني التوفيق فقال لي قد وجدتَ فاغتبط واستكرمتَ فارتبط ثم ضحك

مليًّا وتمثّل لي بشرًا سويًّا فإذا هو شيخنا السروجي لا قلبس
بجسمه ولا شبهة في وسمه ففرحت بلقيته وكذب
لقوته وهممت بملامته على سوء مقامته فنحا فاه وانشد
قبل أن ألحاه

متقارب

ظهرت برثّ لكيما يقال فقير يحيّ الزمان المزجّي
وأظهرت للناس أن قد فلجت فكم نال قلبي به ما ترجّى
ولولا التأثّث لم يرث لي ولولا التفالج لم ألق فلجا

ثم قال إنه لم يبق ببلد الأرض مرتع ولا في أهلها مطمع
فإن كنت الرفيق فالطريق فسرنا منها متجرّدين وصاحبته
عامين أجردين وكنت على أن أصحبه ما عشت فأبى
الدهر المشتّت

المقامة الرابعة والثلثون الزبيدية

حكى الحرث بن همام قال لما جبت البيد إلى زبيد صحبني
غلام كنت ربّيته إلى أن بلغ أشدّه وثقّفته حتى أكمل
رشده وكان أنس بأخلاقي وخبر مجالب وفاقي فلم
يكن يتخطّى مرامي ولا يخطئ في المرامي لا جرم أن قربه التاث

بصفري

بصفري وأخلصته لحظري وسفري فألوى به الدهر المبيد
حين ضمّنا زبيد فلما شالت نعامته وسكنت نامته
بقيت عامًا لا أسيغ طعامًا ولا أريغ غلامًا حتى ألجأتني
شوائب الوحدة ومتاعب القومة والقعدة إلى أن
اعتاض عن الذاهب الحزن وأرتاد من هو سداد من عوز
فقصدت من يبيع العبيد بسوق زبيد وقلت أريد
عبدًا يعجب إذا قلّب ويحمد إذا جرّب وليكن ممن
خرّجه الأكياس وأخرجه إلى السوق الإفلاس فاهتزّ
كلّ منهم لمطلبي ووثب وبذل تحصيله عن كثب ثم دارت
الأهلّة دورها وتقلّبت كورها وحورها وما تحرّ
من وعودهم وعد ولا سنح لها رعد فلما رأيت النخاسين
ناسين أو متناسين علمت أن ليس كل من خلق يفري
وأن لن يحكّ جلدي مثل ظفري فرفضت مذهب
التفويض وبرزت إلى السوق بالصفر والبيض فبينما
أنا أستعرض الغلمان وأستعرف الأثمان إذ غار صنى

رجن
رجل قد اختطم بلثام : وقبض على زند غلام وهو يقول

الا مشتري مني غلاما صنعا : في خلقه وخلقه قد برعا :

بكل ما نيط به مضطلعا : يثقف إن قال وإن قلت وعى :

وإن تستبله عثرة يقل لعا : وإن تنمه النجي في النار سعى :

وإن تصاحبه ولو يوما رعى : وإن تقعده بطلف قنعا :

وهو على الكبر الذي قد جمعا : ما فاه قط كاذبا ولا ادعى :

ولا أجاب مطمعا حين دعا : ولا استجارت سرا أودعا :

وطالما أبدع فيما صنعا : وفاق في النظم وفي النثر معا :

والله لولا ضنك عيش صدعا : وصبية أضحوا عراة جوعا :

ما بعته بملك كسرى جمعا :

قال فلما تأملت خلقه القويم : وحسنه الصميم خلته : من ولدان جنة النعيم : وقلت ما هذا بشرا إن هذا : إلا ملك كريم : ثم استنطقته عن اسمه : لا لرغبة في علمه : بل لأنظر أين فصاحته من صباحته : وكيف لهجته من بهجته : فلم ينطق بحلوة : ولا مرة : ولا فاه فوه ابن أمة :

ولا حرة

ولا حرة فضربت عنه صفحا : وقلت قبحا لعيك وشحا : فغار في الضحك وأنحى : ثم انغض رأسه إلي وأنشد :

يا من تلهب غيظا أن لم أبح : باسمي له ما هكذا من ينصف :

إن كان لا يرضيك إلا كشفه : فاصخ له أنا يوسف أنا يوسف :

ولقد كشفت لك الغطاء فإن تكن : فطنا عرفت وما إخالك تعرف

قال فرى عني بشعره : وأسنى لي بسحره : حتى شدهت عن التحقيق : وأنسيت قصة يوسف الصديق : ولم يكن لي هم إلا سوم مولاه فيه : واستطلاع طلع الثمن لا وفيه : وكنت أحسب أنه سينظر شزرا إلي : ويغلي السيمة علي : فما حلوا لي حيث حلفت : ولا اعتاق بما به اعتلقت : بل قال إن العبد إذا نزر ثمنه : وخفت مؤنته تبركت به مولاه : ونحف عليه هواه : وإني لأوثر تحبيب هذا الغلام إليك : بأن أخفف ثمنه عليك : فزن مائتي درهم إن شئت : واشكر لي ما حييت : فنقدته المبلغ في الحال : كما ينقد في الرخيص الحلال : ولم يخطر لي ببال أن كل رخيص

قال: فلما تحققت الصفقة: وحقت الفرقة: هملت
عينا الغلام: ولا هُمول دمع الغمام: ثم أقبل على صاحبه
وقال هزج لحاك الله هل مثلي يباع: لكيما تشبع الكرش
الجياع: وهل في شرع الانصاف أنّي: أكلف خطة
لا يستطاع: وأن أبلى بروع بعد روع: ومثلي بعد
حين يبلى لا يراع: أما جربتني فخبرت مني: نصائح لم
يمازجها خداع: وكم أرصدتني شركا لصيد: فعدت
وفي حبائلي السباع: ونطت بي المصاعب فاستقادت:
مطاوعة وكان بها امتناع: وأي كريهة لم أبل فيها
وغنم لم يكن لي فيه باع: وما أبدت لي الأيام جرما:
فيكشف في مصارمتي القناع: ولم تعثر بحمد الله مني: على
عيب يكتم أو يذاع: فأنّى ساغ عندك نبذ عهدي:
كما نبذت براثنها الضباع: ولم سمحت قرونك بامتهاني:
وأن أشرى كما يشرى المتاع: وهلا صنت عرضي عن صوني:
حديثك يوم جدّ بنا الوداع: وقلت لمن يساوم في هذا:

سكاب

سكاب: فما يعار ولا يباع: فما أنا دون ذاك الطرف لكن
طباعك فوقها تلك الطباع: على أني سأنشد
عند بيعي: أضاعوني وأي فتى أضاعوا: قال فلما
وعى الشيخ أبياته: وعقل منها غاياته: تنفس الصعداء
وبكى حتى أبكى البعداء: ثم قال لي إني أجل الغلام هذا
محل ولدي: ولا أميزه عن أفلاذ كبدي: ولولا خلو
مراحي: وخبو مصباحي: لما درج عن عشّي إلى أن يشيع
نعشي: وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين: والموت
هين لبين: فهل لك في تسلية قلبه: وتسرية كربه:
بأن تعاهدني على الإقالة فيه: متى استقلت: وأن لا
تستثقلني إذا ثقلت: ففي الآثار المنقولة المدونة عن
النقلة: من أقال نادما بيعته: أقال الله عثرته: قال
الحرث بن همام: فوعدته وعدا أبرزه الحياء: وفي
القلب أشياء: فاستدنى الغلام إليه: وقبل ما
بين عينيه: وأنشد والدمع يرفض من جفنيه: خفض

فدتك النفس ما تلاقي من برحاء الوجد والاشتياق فما
تطول مدة الفراق ولا تنبو ركائب التلاقي فيحسن
عون القادر الخلاق ثم قال له استودعك من هو نعم
المولى وشمر ذيله وولى فلبث الغلام في زفير وعويل
ريثما يقطع مدى ميل فلما استفاق وكفكف دمعه
المهراق قال أتدري لم أعولت وعلام عولت قلت أظن
فراق مولاك هو الذي أبكاك فقال إنك لفي واد ولكم
بين مريد ومراد ثم أنشد لم أبك والله على ألف نزح
ولا على فوت نعيم وفرح وإنما مدمع أجفاني سفح على
غبي لحظه حين طمح وورطه حتى تعنى وافتضح وضيع
المنقوشة البيض الوضح ويلك أما ناجتك هاتيك الملح
بأنني حر وبيعي لم يبح إذ كان في يوسف معنى قد وضح
قال فتمثلت مقالته في مرآة المداعب ومعرض الملاعب
فتصلب تصلب المحق وبرئ من طينة الرق فجلنا
في مخاصمة اتصلت بملاكمة وأفضت إلى محاكمة فلما

فلما أوضحنا للقاضي الصورة وتلونا عليه السورة قال
ألا إن من أنذر فقد أعذر ومن حذر فكمن بشر ومن بصر
فما قصر وإن فيما شرحتماه لدليلا على أن هذا الغلام
قد نبهك فما ارعويت ونصح لك فما وعيت فاستر داء
بلهك واكتمه ولم نفسك ولا تلمه وحذار من اعتلاقه
والطمع في استرقاقه فإنه حر الأديم عن معرض للتقويم
وقد كان أبوه أحضره أمس قبيل أفول الشمس واعترف
بأنه فرعه الذي أنشاه وأن لا وارث له سواه فقلت
للقاضي أوتعرف أباه أخزاه الله فقال وهل يجهل
أبو زيد الذي جرحه جبار وعند كل قاض له أخبار
وأخبار فتحرفت وحوقلت وأفقت ولكن حين فات
الوقت وأيقنت أن لثامه كان شرك مكيدته وبيت
قصيدته فنكس طرفي ما لقيت وآليت أن لا أعامل
متلثما ما بقيت ولم أزل آتأوه لخسر صفقتي والافتضاح
بين رفقتي فقال لي القاضي حين رأى تغاضي وحر

ارتماضي بأهذا ما ذهب من مالك ما وعظك ولا
أجرم إليك من أيقظك فاتعظ بما نابك وكاتم أصحابك
ما أصابك وتذكر أبدا ما دهمك لتنفي الذكرى دراهمك
وتخلق بخلق من ابتلي فصبر وبجلت له العبر فاعتبر
فودعته لابسا ثوب الخجل والحزن ساحبا ذيلي الغبن
والغبن ونويت مكاشفة أبي زيد بالهجر ومصارمته
مدى الدهر فجعلت أتنكب عن ذراه وأتجنب أن أراه إلى
أن غشيني في طريق ضيق فحياني تحية شيق فما زدت
على أن عبست وما نبست فقال ما بالك شمخت بأنفك
على الفك فقلت أنسيت أنك احتلت وختلت و
فعلت فعلتك التي فعلت فاضطرب متهاربا ثم أنشد
متلافيا كامل يا من بدا منه صدود موحش وتجهم و
غدا بريش ملاوما من دونهن الأسهم ويقول هل حر
يباع كما يباع الأدهم أقصر فما أنا فيه بدعا مثل ما تتوهم
قد باعت الأسباط قبلي يوسفا وهم هم هذا وأقسم بالذي

يسري إليها المتمم والطائفين بها وهم شعث النواصي
سهم ما قمت ذلك الموقف المخزي وعندي درهم
فاعذر أخاك وكف عنه ملام من لا يفهم ثم قال
أما معذرتي فقد لاحت وأما دراهمك فقد طاحت
فإن كان اقشعرارك مني وازورارك عني لفرط شفقتك
على غير نفقتك فلست ممن يلسع مرتين ويوطي
على جمرتين وإن كنت طويت كشحك وأطعت شحك
لتستنقذ ما علق بأشراكي فلتبك على عقلك البواكي
قال الحرث بن همام فاضطرني بلفظه الخالب وسحره
الغالب إلى أن عدت له صفيا وبه حفيا ونبذت
فعلته ظهريا وإن كانت شيئا فريا

المقامة الخامسة والثلثون الشيرازية

روى الحرث بن همام قال
مررت في تطوافي بشيراز على ناد يستوقف المجتاز
ولو كان على أوفاز فلم أستطع تعديه ولا تخطى قدمي
في تخطيه فعجت إليه لأسبك سر جوهره وأنظر كيف ثمره

من زهر، فاذا اهله افراد، والعائج اليهم مفاد، و
بينما نحن في فكاهة اطرب من الاغاريد، واطيب من
حلب العناقيد، اذ اهتف بنا ذو طمرين، قد كاد يناهز
العمرين، فحيّى بلسان طليق، وابان مستطيق، ثم احتبى
حبوة المتندين، وقال اجعلنا اللهم من المهتدين،
فازدراه القوم لطمريه، ونسوا ان المرء باصغريه، واخذوا
يتداعون فصل الخطاب، ويتعدون عوده من الاحطاب،
وهو لا يفيض بكلمة، ولا يبين عن سمة، الى ان سبر
قرائحهم، وخبر سائلهم ورواجحهم، فحين استخرج دفائنهم،
واستثل كنائنهم، قال يا قوم لو علمتم ان وراء القدام
صفو المدام، لما احتقرتم ذا اخلاق، وقلتم ما له من
خلاق، ثم فجر ينابيع الادب، والنكت النخب، ما جلب
بدائع العجب، واستوجب ان يكتب بذوب الذهب،
فلما خلب كل خلب، وقلب اليه كل قلب، تحلحل
ليرحل، وتاهب ليذهب، فعلقت الجماعة بذيله،

وعاف مشرب سبله، وقالت له قد اريتنا وسم فضلك
فخبرنا عن فصلك ومحلك، فصمت صموت من افحم،
ثم اعول حتى رحم، قال الراوي فلما رايت شوب ابي
زيد وروبه، واسلوبه المالوف وصوبه، تاملت الشيخ
على سهومه محياه، وسهوكة رياه، فاذا هو اياه، فكتمت
سره كما يكتم الداء الدخيل، وسترت مكره وان لم يكن
يخيل، حتى اذا نزع عن اعواله، وقد عرف عثوري على
حاله، رمقني بعين مضحاك، ثم طفق ينشد بلسان
متباك، استغفر الله واعوذ من فرطات اثقلت
ظهريه، يا قوم كم من عاتق عانس، ممدوحة الاوصاف
في لا تدبيره، قتلتها لا ابتغي وارثا يطلب مني قودا او ديه،
وكلما استذنبت في قتلها، احلت بالذنب على الاقضيه،
ولم تزل نفسي في غمها، وقتلها الابكار متشبهه، حتى
نهاني الشيب لما بدا، في مفرقي عن تلكم المعصيه، فلم
ارق مذ شاب فودي دما، من عاتق يوما ولا مصبيه،

وها أنا الآن على ما ترى مني ومن حرفتي المكدية أربّ
بكرًا طال تعنيسها وحجبها حتى عن الأهوية وهي على العنس
مخطوبة لخطبة الغانية المغنية وليس يكفيني لتجهيزها
على الرضا بالدون إلا مائة واليد لا توكي على درهم
والأرض قفر والسماء مصحية فهل معين لي على نقلها
بالقبنة المهلبية فيغسل الهمّ بصابونه والقلب من
أفكاره المفنية ويقتني مني لثناء الذي تضوع رياه
مع الأدعية قال فلم يبق في الجماعة إلا من نديت
له كفه وانباع إليه عرفه فلما نجحت بغيته وكملت
منيته أخذ يثني عليهم بصالح ويشمّر عن ساق سارح
فتبعته لاستعرف ربيبة خدره ومن قبل في حدثان
أمره فكان وشك قيامي مثل له مرامي فازدلف مني
وقال أفقر عني قبل مثلي يا صاح مزج المدام ليس قتلي
بلهذم أو حسام والتي عنست هي البكر بنت الكرم لا البكر
من بنات الكرام وتجهيزها إلى الكاس والطاس فيا لي الذي

ترى ومقامي ففهم ما قلته وتحكّم في التغاضي إن شئت
أو في الملام ثم قال أنا عربيد وأنت رعديد وبيننا
بون بعيد ثم ودعني وانطلق وزودني نظرة
من ذي

المقامة السادسة والثلاثون الملطية

علق
أخبر الحرث بن همام قال أنخت بملطية مطية البين
وحقيبتي ملأى من العين فجعلت هجّيراي مذ ألقيت بها
عصاي أن أتورّد موارد المرح وأتصيد شوارد الملح
فلم يفتني بها منظر ولا مسمع ولا خلا مني ملعب ولا مربع
حتى إذا لم يبق لي فيها مأرب ولا في الثواء بها مرغب
عمدت لإنفاق الذهب في ابتياع الأهب فلما أكملت
الإعداد ونهبا الظعن منها أو كاد رأيت بثغر رهط
قد سبأوا قهوة وارتبأوا ربوة وندماتهم قيد الألحاظ
وفكاهتهم حلوة الألفاظ فنحوتهم طلبا للمنادمة لا للمدامة
وشغفا بممازجتهم لا بزجاجتهم فلما انتظمت عاشرهم
وأصحبت معاشرهم ألفيتهم أبناء علات وقد يف

فلوت إلا أن لحمة الأدب، قد ألفت شملهم ألفة
النسب، وساوت بينهم في الرتب، حتى لاحوا مثل
كواكب الجوزاء، وكالجملة المتناسبة الأجزاء، فأبهجني
الاهتداء إليهم، وأحمدت الطالع الذي طلعني عليهم،
فطفقت أفيض بقدحي مع قداحهم، وأستشفي براحهم
لا براحهم، حتى أدتنا شجون المفاوضة، إلى التحاجي بالملغا،
كقولك إذا عنيت به الكرامات: ما مثل النوم فات فأتانا،
نجلو النها والفطن، ونجني الشوك والثمر، وبينا نحن
ننشر القشيب والرث، وننثل الثمين والغث، طلع
علينا شيخ قد ذهب حبره وسبره، وبقي خبره وسبره،
فمثل مثول من يسمع وينظر، ويلتقط ما ينتثر، إلى أن
نفضت الأكياس، وحصحص الإياس، فلما رأى أجبال
القرائح، وإكداء الماتح والمائح، جمع أذياله وولانا
قذاله، وقال ما كل سوداء تمرة، ولا كل صهباء خمرة،
فاعتلقنا به اعتلاق الحرباء، بالأعواد، وضربنا دونه

وجهته بالإسداد، وقلنا له إن دواء الشوان أن يحاص،
وإلا فالقصاص القصاص، فلا تطمع في أن تجرح و
تشهر الفتق وتسرح، فلوى عنا نزر الجعا، ثم جثم بمكانه
راصعا، وقال أما إذا استثرتموني بالبحث، فاحكم حكم
سليمان في الحرث، اعلموا يا ذوي الشمائل الأدبية، و
الشمول الذهبية، أن وضع الأحاجي لامتحان الألمعية،
واستخراج الخبيئة الخفية، وشرطها أن تكون ذات مماثلة
حقيقية، وألفاظ معنوية، ولطيفة أدبية، فمتى نافت
هذا النمط، ضاهت السقط، ولم تدخل السفط، ولم أركم
حافظتم على هذه الحدود، ولا ميزتم بين المقبول والمردود،
فقلنا له صدقت وبالحق نطقت، فكل لنا من لبابك، واقض
علينا من عبابك، فقال أفعل لئلا يرتاب المبطلون،
ويظنوا بي الظنون، ثم قابل ناظورة القوم، فقال يا من
سما بذكاء في الفضل وأري الزناد:
ماذا يماثل قولي جوع أمد بزاد:



ثم ضحك الى الثاني وقال وانشد: يا ذا الذي فاق فضلاً ولم يدنسه شين

ما مثل قول المحاجي ظهر اصابته عين

ثم لحظ الثالث وانشا يقول: يا من نتائج فكره مثل النقود الجائزه

ما مثل قولك للذي حاجيته صادف جائزه

ثم التفت الى الرابع وقال: أيا مستنبط الغامض من لغز واضمار

الا اكشف لي ما مثل تناول الف دينار

ثم رمى الخامس ببصره وانشد: يا ايها الالمعي اخو الذكاء المجلي

ما مثل اهمل حلية بين هدب وعجل

ثم التفت الى السادس وقال: يا من يقصر عن مداه خطا مجاريه وضعفه

ما مثل قولك للذي اضحى يحاجيك اكفف

ثم خلج السابع بحاجبه وقال: يا من له فطنة تجلت ورتبة في الذكاء جلت

بين لما رأت ذا بيان ما مثل قول الشفيق اقلت

ثم انتصت الثامن وقال وانشد: يا من جدا نوء فضله مطلولة الازهار غضه

ما مثل قولك للمحاجي ذي الحجى ما اختار فضه

ثم خدج التاسع ببصره وقال: يا من يشار اليه في الفضل الزكي وفي البراعه

اوضح

اوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي دس جماعه

قال الراوي فلما انتهى الى هز منكبي وقال

يا من له النكت التي تشجي الخصوم بها وينكت

انت المبين فقل لنا ما مثل قولي خال اسكت

ثم قال قد انهلتكم وامهلتكم ولو شئتم ان اعللكم عللتكم

قال فالجانا لهب الغلل الى استسقاء العلل فقال لست

كمن يستأثر على نديمه ولا ممن يسمه في اديمه

ثم كر على الاول وانشد وقال

يا من اذا اشكل المعمى جلته افكاره الدقيقه

ان قال يوما لك المحاجي خذ نبلك ما مثل حقيقه

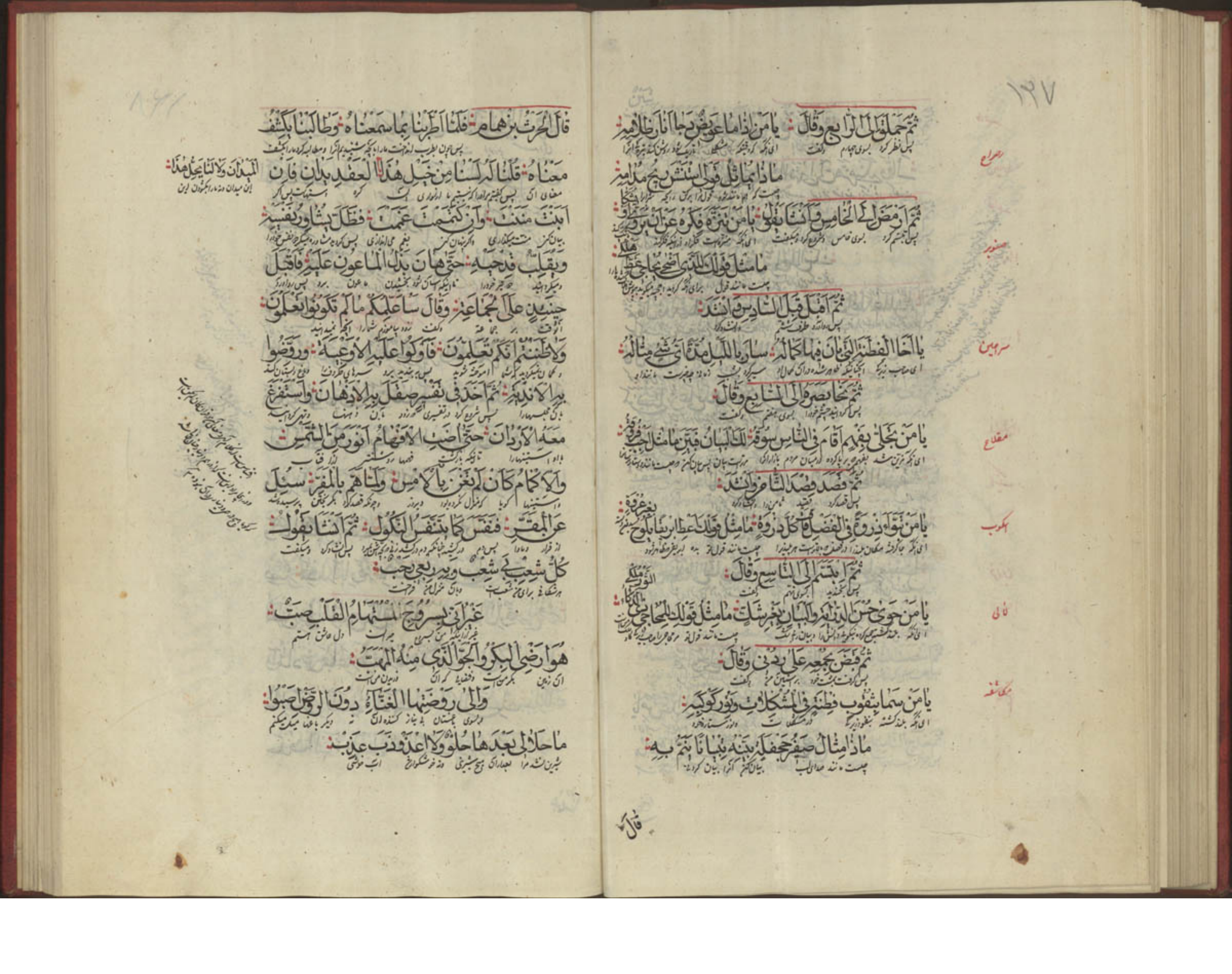
ثم ثنى جيده الى الثاني وقال: يا من بدا بيانه عن فضله مبينا

ماذا امثال قولهم حمار وحش زينا

ثم اوحى الى الثالث بطرفه وقال

يا من غدا في فضله وذكائه كالاصمعي

ما مثل قولك للذي حاجاك انفق تمتع



ثم حملق الى الرابع وقال: يا من اذا ما عوض جاء انار ظلامه:

ماذا يماثل قول المنتشي بيح مدامه:

ثم ارمض الى الخامس وانشأ يقول: يا من نزه فكره عن [illegible]

ما مثل قولك للذي اضحى يحاجي [illegible]

ثم اقبل قبل السادس وانشد:

يا اخا الفطنة التي بان فيها كماله: سار بالليل مدة اي شيء مثاله:

ثم نحا بصره الى السابع وقال:

يا من تجلى بفهم اقام في الناس سوقه: لك البيان فبين ما مثل [illegible]:

ثم قصد قصد الثامن وانشد:

يا من تبوأ ذروة في الفضل فاق كل ذروة: ما مثل قولك [illegible]:

ثم ابتسم الى التاسع وقال:

يا من حوى حسن البديهة والبيان بغير شك: ما مثل قولك للمحاجي [illegible]:

ثم قبض بجمعه على يدي وقال:

يا من سما بثقوب فطنته في المشكلات ونور كوكبه:

ماذا امثال صفير جحفلة بينه تبيانا اتيتم به:

قال

قال الحرث بن همام: فلما اطربنا بما سمعناه: وطالبناه بكشف
معناه: قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان: فان
ابنت منت: وان كتمت عممت: فظل يشاور نفسه
ويقلب قدحه: حتى هان بذل الماعون عليه: فاقبل
حينئذ على الجماعة: وقال ساعلمكم ما لم تكونوا تعلمون:
ولا ظننتم انكم تعلمون: فاوكوا عليه الاوعية: ورقصوا
به الاندية: ثم اخذ في تفسير صقل به الاذهان: واستفرغ
معه الاردان: حتى اضحت الافهام انور من الشمس:
والاكمام كان لم تغن بالامس: ولما همّ بالمفر: سئل
عن المقر: فتنفس كما يتنفس الثكول: ثم انشأ يقول:

كل شعب لي شعب وبه ربعي رحب:

غير اني بسروج مستهام القلب صب:

هي ارضي البكر والجو الذي منه المهب:

والى روضتها الغناء دون الروض اصبو:

ما حلا لي بعدها حلو ولا اعذوذب عذب:

قال الراوي فقلت لاصحابي هذا ابو زيد السروجي
الذي ادني مِلح الاحاجي واخذت اصف لهم حسن
توشيته وانقياد الكلام لمشيته ثم التفت
فاذا به قد طمر ونا بما قمر فعجبنا مما صنع ولم ندر
اين سكع

تفسير الاحاجي المودعة في هذه المقامة

وصقع
اما جوع امكر زاد فمثله طوامير واما ظهر اصابه عين
فمثله مطاعين واما صادف جائزة فمثله الفاصلة
واما تناول الف دينار فمثله هادنه واما اهمل حلبه
فمثله الغاشية واما الكفف الكفف فمثله مهمه
واما الشقيق فلك فمثله الاخطار واما ما اختار
فضة فمثله ابارقة لان الرقة من اسماء الفضة وقد
نطق بها النبي صلى الله عليه وآله فقال الرقة ربع العشر
واما دس جماعة فمثله طافية واما خالي اسكت فمثله
خالصه لانك اذا ناديت مضافا الى نفسك جاز لك
حذف الياء واثباتها ساكنة ومتحركة وقد حذف

هيهنا حرف النداء كما حذف في اصل الاحجية وصه
بمعنى اسكت واما اخذ ثلك فمثله هاتيك واما حمار
وحش زينا فمثله فرازين لان الفرا حمار الوحش
ومنه الخبر كل الصيد في جوف الفرا واما قوله انفق
نقمع فمثله منتقم لان الامر من مان يمون من
ومضارع وقمت تقم واما استنشق ريح مدامة
فمثله رحراح لان الامر من راح يراح را والخمر راح واما
غط هلكا فمثله صنبور لان البور هم الهلكى وفي
القران وكنتم قوما بورا واما سار بالليل مدة فمثله
سراحين واما احبب فروقه فمثله مقلاع لان الامر
من ومق يمق مق والقلاع الجبان يقال فلان هاع لاع
اذا كان جبانا جزوعا واما اعط ابريقا بلوح بغير عروة
فمثله اسكوب لان الاوس العطاء والامر منه اس
والكوب الابريق بغير عروة واما الثور ملكي فمثله
اللالي لان اللا على وزن القنا ثور الوحش واما صفر

جحفلة فمثله مكاشفة لان المكاء الصفير قال الله تعالى
وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية والاصل
في المكاء المد ولكنه قصر في هذه الاحجية كما حذف الهمزة
في القراء في احجية وكلا الامرين من قصر الممدود وحذف
الهمز المهموز

المقامة السابعة والثلثون الصعدية

جابر
حكى الحرث بن همام قال اصعدت الى صعدة وانا ذو
شطاط يحكي الصعدة واشتداد يبذ بنات صعدة
فلما رايت نضرتها ورعيت خضرتها سالت نحارير
الرواة عمن تحوي من السراة ومعادن الخيرات
لاتخذ جذوة في الظلمات ويحتذى في الظلامات فنعت
لي بها قاض رحيب الباع تميمي النسب والطباع
فلم ازل اتقرب اليه بالالمام واتفق عليه بالاجمام
حتى صرت صدى صوته وسلمان بيته وكنت مع
استثنار شهده واستشفاف رنده اشهد مشاجرة
الخصوم واسفر بين المخصوم منهم والموصوم فبينما

القاضي

القاضي جالس للاسجال في يوم المحفل والاحتفال
اذ دخل شيخ بالي الرياش بادي الارتعاش فتنصر المحفل
بنصر نقاد ثم زعم ان له خصما غير منقاد فلم يكن الا
كضوء شرارة او وحي اشارة حتى احضر غلام كانه ضرغام
فقال الشيخ ايد الله القاضي وعصمه من التغاضي
ان ابني هذا كالقلم الردي والسيف الصدي
يجهل اوصاف الانصاف ويرضع اخلاف الخلاف
ان اقدمت احجم واذا اعربت اعجم وان اذكيت اخمد
ومتى شوبت رمد مع اني كفلته مذ دب الى ان شب
وكنت له الطف من ربي ورب فاكبر القاضي ما شكا
اليه واطرق يرحم حواليه ثم قال اشهد ان العقوق
احد الثكلين ولرب عقم اقر للعين فقال الغلام
وقد امعضه هذا الكلام والذي نصب القضاة
للعدل وملكهم اعنة الفضل والفصل انه ما دعا
قط الا امنت ولا ادعى الا امنت ولا لبى الا واحرمت

ولا أودى إلا وأضرمت بيد أنه كمن يبغي بيض الأنوق
ويطلب الظربان من النوق فقال القاضي وبم أعنتك
وامتحن طاعتك قال إنه مذ صفر من المال ومني
بالإمحال يسومني أن أتلمظ بالسؤال واستمطر
سحب النوال ليفيض شربه الذي غاض وينجبر من حاله
ما انهاض وقد كان حين أخذني بالدرس وعلمني
أدب النفس أشرب قلبي أن الحرص متعبة والطمع
معتبة والشره متهمة والمسألة ملأمة ثم أنشدني
من فلق فيه ونخب قوافيه ارض بأدنى العيش
واشكر عليه شكر من القل كثير لديه وجانب الحرص
الذي لم يزل يحط قدر المترقي إليه وحام عن عرضك
واستبقه كما يحامي الليث عن لبدتيه واصبر على
ما ناب من فاقة صبر أولي العزم وأغمض عليه ولا ترق
ماء المحيا ولو خولك المسؤول ما في يديه فالحر من إن
قذيت عينه أخفى قذى جفنيه عن ناظريه ومن إذا

أخلق ديباجه لم يرد أن يخلق ديباجتيه قال
فعبس الشيخ واكفهر واندرأ على ابنه ونهر وقال
له صه يا عقوق يا من هو الشجا والشرق أتعلم أنك
البضاع وطرق الإرضاع لقد تحككت العقرب
بالأفعى واستنت الفصال حتى القرعى ثم كأنه
ندم على ما فرط من فيه وحدته المقة على تلافيه
فرنا إليه بعين عاطف وخفض له جناح ملاطف
وقال ويك يا بني إن من أمر بالقناعة وزجر عن
الضراعة هم أرباب البضاعة وأولو المكنة بالصناعة
فأما ذوو الضرورات فقد استثني بهم في المحظورات
وهبك جهلت هذا التأويل ولم يبلغك ما قيل
ألست الذي عارض أباه فيما قال وما حاباه لا تقعدن
على ضر ومسغبة لكي يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينك هل أرض معطلة من النبات كأرض حفها
الشجر وعد عما تشير الأغبياء به فأي فضل لعود ماله

ثم وارحل ركائبك عن ربع ظلمت به إلى الجناب
الذي يهمي به المطر، واستنزل الري من در السحاب
فإن بلت بذا كربه فلهنك الظفر، وإن رددت
فما في الرد منقصة، عليك قد رد موسى قبل
والخضر. فلما رأى القاضي تنافي قول الفتى وفعله
وتحليه بما ليس من أهله، نظر إليه بعين مغضب، وقال
أتميميا مرة، وقيسيا أخرى، أف لمن ينقض ما يقول
ويتلون كما تتلون الغول، فقال الغلام والذي جعلك
مفتاحا للحق، وفتاحا بين الخلق، لقد أنيت مذ
أسيت، وصدي ذهني مذ صديت، على أن أبا
الفتح، والعطاء السمح، وهل بقي من يتبرع باللهى
وإذا استطعم يقول ها، فقال له القاضي مه فمع الخواطي
سهم صائب، وما كل برق خالب، فميز البروق إذا شمت
ولا تشهد إلا بما علمت، فلما تبين للشيخ أن القاضي
قد غضب للكرام، وأعظم تبخيل جميع الأنام، علم أنه

سيستر

سيستر كلمته، ويظهر أكرومته، فما كذب أن نصب
شبكته، وشوى في الحريق سمكته، وأنشأ يقول:
يا أيهذا القاضي الذي علمه، وحلمه أرسخ من رضوى
قد ادعى هذا على جهله، أن ليس في الدنيا أخو جدوى
وما درى أنك من معشر عطاؤهم كالمن والسلوى
فجد بما يثنيه مستخزيا مما افترى من كذب الدعوى
وأنثني جذلان أثني بما أوليت من جدوى ومن عدوى
قال فهش القاضي لقوله، وأجزل له من طوله، ثم لفت وجهه
إلى الغلام، وقد نصل له أسهم الملام، وقال له أرأيت
بطل زعمك، وخطأ وهمك، فلا تعجل بعدها بذم،
ولا تنحت عودا قبل عجم، وإياك وتأبيك عن مطاوعة
أبيك، فإنك إن عدت لعقفه، حاق بك مني ما تستخفه
فسقط الفتى في يده، ولاذ بحقو والده، ثم نهض يحفد،
وتبعه الشيخ ينشد: من ضامه أو ضاره دهره فليقصد
القاضي في صعده، سماحه أزرى بمن قبله، وعدله أتعب من بعده

قال الراوي فحرت بين تعريف الشيخ وتنكيره، إلى أن أحوق لمسيره، فأجابت النفس باتباعه، ولو إلى رباعه، لعلي أظهر على أسراره، وأعرف شجرة نجاره، فنبذت العلق، وانطلقت حين انطلق، ولم يزل يخطو وأعتقب، ويبعد وأقترب، إلى أن تراءى الشخصان، وحق التعارف على الخلصان، فابتدح الاهتشاش، ورفع الارتعاش، وقال من كاذب أخاه فلا عاش، فعرفت أنه السروجي بلا محالة، ولا حول حالة، وابتدرت إليه لأصافحه، واستعرف سانحه، وبارحه، فقال دونك ابن أخيك البر، وتي كني ومر، فلم يبعد الفتى أن افتر، ثم فر كما فر، فغدوت وقد استنبت عنهما، ولكن أنى بهما.

المقامة الثامنة والثلثون المروية

حكى الحرث بن همام قال حبب إلي مذ سعت قدمي، ونفث قلمي، أن أتخذ الأدب شرعة، والاقتباس منه نجعة، فكنت أنقب عن أخباره، وخزنة أسراره، فإذا ألفيت منهم بغية الملتمس، وجذوة

المقتبس، شددت يدي بغرزه، واستنزلت منه زكاة كنزه، على أني لم ألق كالسروجي في غزارة السحب، ووضع الهناء مواضع النقب، إلا أنه كان أسير من المثل، وأسرع من القمر في النقل، وكنت لهوى ملاقاته، واستحلاء مقاماته، أرغب في الاغتراب، وأستعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب، فلما نطوحت إلى مرو ولا غرو، بشرني بملقاه زجر الطير، والفأل الذي هو بريد الخير، فلم أزل أنشد في المحافل، وعند تلقي القوافل، فلا أجد عنه مخبرا، ولا أرى له أثرا ولا عثرا، حتى غلب الياس الطمع، وانزوى التأميل وانقمع، فإني لذات يوم بحضرة والي مرو، وكان ممن جمع الفضل والثرو، إذ طلع أبو زيد في خلق مملاق، وخلق ملاق، فحيا الوالي تحية المحتاج، إلى رب التاج، ثم قال له اعلم وقيت الذم، وكفيت الهم، أن من عذقت به الأعمال، أعلقت به الآمال، ومن رفعت له الدرجات، رفعت إليه الحاجات، وإن السعد

من إذا قدر، وواتاه القدر، أدّى زكاة النِّعم كما يؤدّي
زكاة النَّعم، والتزم لأهل الحُرم، كما يلتزم للأهل والحرم،
وقد أصبحتَ بحمد الله عميد مصرك، وعماد عصرك، تُزجي
الركائبُ إلى حرمك، وتُرجى الرغائبُ من كرمك، وتُنزل
المطالبُ بساحتك، ويُستنزل الراحةُ من راحتك، وكان
فضل الله عليك عظيما، ثم إني شيخ ترب بعد الإتراب،
وعدم الإعشاب حين شاب، قصدتك من محلّة
نازحة، وحالة رازحة، آمل من بحرك دفعة، ومن جاهك
رفعة، والتأميل أفضل وسائل السائل، ونائل النائل،
فأوجب لي ما يجب عليك، وأحسن كما أحسن الله إليك،
وإياك أن تلوي عذارك، عمن زار دارك، وأمّ دارك، أو
تقبض راحك، عمن امتاحك، وامتار سماحك،
فوالله ما مجد من جمد، ولا رشد من حشد، بل اللبيب
من إذا وجد جاد، وإن بدئ بعائدة عاد، والكريم من إذا
استوهب الذهب لم يهب، ثم أمسك بوقف أكل غرسه

أن يهب

ويرصد

ويرصد مطيّة نفسه، وأحبّ الوالي أن نعلم هل تظفر
ثمد أم لقر يحيه مدد، فأطرق يروّي في استراء زنده،
واستشفاف فرنده، والتبس على أبي زيد سرّ صمته، و
سبب إرجاء صلته، فتوغّر غضبا، وأنشد مقتضبا،
لا تحقرنّ أبيت اللعن ذا أدب، لأن بدا خلق السربال
مبرونا، ولا تضع لأخي التأميل حرمته، أكان ذا لين
أم كان مسكينا، وانفح بعرفك من وافاك مختبطا، وانعش
بعونك من ألفيت مسكونا، فخير مال الفتى مال أشاد
له، ذكرا تناقله الركبان أو صيتا، وما على المشتري حمدا
بموهبة، غبن ولو كان ما أعطاه ياقوتا، لولا العذر
ضاق المروّ عن فطن، إذا اشرأب إلى ما جاوز القوتا، لكنه
لابتناء المجد جدّ، ومن جنت السماح ثنى نحو الغنا ليتا،
وما تنشّق نشر الشكر ذو كرم، إلا وأزرى بنشر المسك
مفتوتا، والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما، حتى لقد خيل
ذا ضبا وذا حوتا، والشحّ في الناس محبوب خلا نفر والجامد

الكف لا ينفك ممقوتا ⁂ وللشحيح على امواله علل ⁂ يوسعنه ابدا ذما وتبكيتا ⁂ فجد بما جمعت كفاك من نشب ⁂ حتى يرى مجتدي جدواك مبهوتا ⁂ وخذ نصيبك منه قبل رائعة ⁂ من الزمان تريك العود منحوتا ⁂ فالدهر انكد ان يستمر بحال ⁂ تكرهت تلك الحال ام شئتا ⁂ فقال له الوالي تالله لقد احسنت ⁂ فاي ولد الرجل انت ⁂ فنظر اليه عن عرض ⁂ ثم انشد وهو مغض ⁂ لا تسأل المرء من ابوه ⁂ ورز خلاله ⁂ ثم صله او فاصرم ⁂ فما يشين السلاف حين حلا ⁂ مذاقها كونها ابنة الحصرم ⁂ قال فقربه الوالي لبيانه الفاتن ⁂ حتى احله مقعد الخاتن ⁂ ثم فرض له من سيوب نيله ⁂ ما آذن بطول ذيله ⁂ وقصر ليله ⁂ فنهض عنه بردين ملاءين ⁂ وقلب جذلان ⁂ وتبعته حاذيا حذوه ⁂ وقافيا خطوه ⁂ حتى اذا خرج من بابه ⁂ وفصل عن غابه ⁂ قلت له ⁂ هنئت بما اوتيت ⁂ وملئت ما اوليت ⁂ فاسفر وجهه وتلالا ⁂ ووالى شكر الله تعالى ⁂ ثم خطر اختيالا ⁂ وانشد ارتجالا ⁂ من يكن نال ⁂

بالحماقة حظا ⁂ او سما قدره لطيب الاصول ⁂ فبفضلي انتفعت لا بفضولي ⁂ وبقولي ارتفعت لا بقبولي ⁂ ثم قال تعسا لمن جذب الادب ⁂ وطوبى لمن جد فيه ودأب ⁂ ثم ودعني وذهب ⁂ واودعني اللهب ⁂

المقامة التاسعة والثلثون الصحارية

اخبر الحرث بن همام ⁂ قال لهجت مذ اخضر ازاري ⁂ وبقل عذاري ⁂ بان اجوب البراري ⁂ على ظهور المهاري ⁂ انجد طورا ⁂ واسلك تارة غورا ⁂ حتى قلبت المعالم والمجاهل ⁂ وبلوت المنازل ⁂ والمناهل ⁂ وادميت السنابك ⁂ والمناسم ⁂ وانضيت السوابق ⁂ والرواسم ⁂ فلما مللت الاصحار ⁂ وقد سنح لي ارب بصحار ⁂ ملت الى اختيار التيار ⁂ واختبار الفلك السيار ⁂ فنقلت اليه اساودي ⁂ واستصحبت زادي ⁂ ومزاودي ⁂ ثم ركبت فيه ركوب حاذر ناذر ⁂ عاذل لنفسه وعاذر ⁂ فلما شرعنا في القلعة ⁂ ورفعنا الشرع للسرعة ⁂ سمعنا من شاطئ المرسى ⁂

حين دجى الليل وأغشى؛ هاتفا يقول؛ يا أهل ذا
الفلك القويم؛ المرجى في البحر العظيم؛ بتقدير العزيز العليم؛
هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؛ فقلنا ألا أقبسنا
نارك أيها الدليل؛ وأرشدنا كما يرشد الخليل الخليل؛
فقال أتستصحبون ابن سبيل؛ زاده في زبيل؛ وظله
غير ثقيل؛ وما يبغي سوى مقيل؛ فأجمعنا على الجنوح
إليه؛ وأن لا نبخل بالماعون عليه؛ فلما استوى على
الفلك؛ قال أعوذ بمالك الملك؛ من مسالك الهلك؛
ثم قال إنا روينا في الأخبار؛ المنقولة عن الأحبار؛ أن الله
ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء؛
أن يعلموا وأن معي لعوذة؛ على الأنبياء مأخوذة؛ وعندي
لكم نصيحة براهينها صحيحة؛ وما وسعني الكتمان؛ ولا من
خيمي الحرمان؛ فتدبروا القول؛ وتفهموا واعلموا بما
تعلمون؛ وعلموا؛ ثم صاح صيحة المباهي؛ وقال أتدرون
ما هي؛ هي والله حرز السفر عند مسيرهم في البحر؛ والجنة

من الغم؛ إذا جاش موج اليم؛ وبها استعصم نوح يوم الطوفان؛
ونجا ومن معه من الحيوان؛ على ما صدعت به آي القرآن؛
ثم قرأ بعد أساطير تلاها؛ وزخارف جلاها؛ وقال اركبوا
فيها بسم الله مجريها ومرسيها؛ ثم تنفس تنفس المغرمين؛
أو عباد الله المكرمين؛ وقال أما أنا فقد قمت فيكم مقام
المبلغين؛ ونصحت لكم نصح المبالغين؛ وسلكت بكم
محجة الراشدين؛ فاشهد اللهم وأنت خير الشاهدين؛
قال الحرث بن همام؛ فأعجبنا ببيانه البادي الطلاوة؛ و
عجبت لما صوبنا بالتلاوة؛ وأنس قلبي بجرسه؛ معرفة شمسه؛
فقلت له؛ بالذي سخر البحر اللجي؛ ألست السروجي؛ فقال
لي بلى؛ وهل يخفى ابن جلا؛ فأحمدت حينئذ السفر؛ و
سفرت له عن نفسي إذ سفر؛ ولم نزل نخير؛ والجو صحو والبحر
رهو؛ والعيش صفو؛ والزمان لهو؛ وأنا أجد للقيانه؛
وجد المثري بعقيانه؛ وأفرح بمناجاته؛ فرح الغريق
بمنجاته؛ إلى أن عصفت الجنوب؛ وعسفت الجنوب؛

ونبا السفر ما كان ۝ وجاءهم الموج من كل مكان ۝ فملنا
لهذا الحادث الثائر الى احدى الجزائر ۝ لنريح ونستريح
ريثما توافي الريح ۝ وتمادى اعتياص المسير ۝ حتى نفد
الزاد غير اليسير ۝ فقال لي ابو زيد انه لن يجتنى جنى العود ۝
بالقعود ۝ فهل لك في استثارة السعود ۝ بالصعود ۝
فقلت اني لك لأتبع من ظلك ۝ واطوع من نعلك ۝ فنهدنا
الى الجزيرة ۝ على ضعف المريرة ۝ لنرتاد في امتراء الميرة ۝
وكلانا لا يملك فتيلا ۝ ولا يهتدي فيها سبيلا ۝ ولا يهتدي
فيها فأقبلنا نجوس خلالها ۝ ونتفيأ ظلالها ۝ حتى افضينا
الى قصر مشيد ۝ له باب من حديد ۝ ودونه زمرة من عبيد ۝
فأسمناهم لنتخذهم سلما الى الارتقاء ۝ وارشية
للاستقاء ۝ فألفينا كلا منهم في مسلان كئيب ۝ وكرب
اسير ۝ فقلنا ايتها الغلمة ۝ لم هذه الغمة ۝ فلم يجيبوا النداء ۝
ولا فاهوا ببيضاء ۝ ولا سوداء ۝ فلما رأينا نارهم نار
الحباحب ۝ وخبرهم كسراب السباسب ۝ قلنا شاهت

الوجوه

الوجوه وقبح اللكع ۝ ومن رجوه ۝ فابتدر خادم قد علته
كبرة ۝ وعرته عبرة ۝ وقال يا قوم لا توسعونا سبا ۝ ولا
ولا توجعونا عتبا ۝ وانا لفي حزن شامل ۝ وشغل عن
الحديث شاغل ۝ فقال له ابو زيد ۝ نفس خناق البث
وانفث ان قدرت على النفث ۝ فانك ستجد مني
عرافا كافيا ۝ ووصافا شافيا ۝ فقال اعلم ان رب هذا
القصر هو قطب هذه البقعة ۝ وشاه هذه الرقعة ۝
الا انه لم يخل من كمد لخلوه من ولد ۝ ولم يزل يستكرم
المغارس ۝ ويتخير من المفارش لنفائس ۝ الى ان بشر
بحمل عقيلة ۝ وآذنت رقلة بفسيلة ۝ فنذرت له
النذور ۝ واحصيت له الايام والشهور ۝ ولما حان
النتاج ۝ وصيغ الطوق والتاج ۝ عسر مخاض الوضع ۝
حتى خيف على الاصل والفرع ۝ فما فينا من يعرف قرارا ۝
ولا يطعم النوم الا غرارا ۝ ثم اجهش بالبكاء واعول
وردد الاسترجاع وطول ۝ فقال له ابو زيد اسكن

يا هذا واستبشر بالفرج وبشّر فعندي عزيمة الطلق التي
انتشر سمعها في الخلق فبادرت الغلمة الى مولاهم مبشّرين
بانكشاف بلواهم فلم يكن الا كلا ولا حتى برز من
هلمّ بنا اليه فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه
قال لابي زيد ليهنك ما لك ان صدق مقالك
ولم يفل فالك فاستحضر قلما مبريّا وزبدا بحريّا
وزعفرانا قد ديف في ماء ورد نظيف فما ان
رجع النفس حتى احضر ما التمس فسجد ابو زيد وعفّر
وسبّح واستغفر ثم اخذ القلم واستخفر وكتب
على الزبد بالمزعفر نظم ايهذا الجنين اني نصيح
لك والنصح من شروط الدين انت مستعصم بكنّ كنين
وقرار من السكون مكين ما ترى فيه من يروعك
من الف مداج ولا عدوّ مبين ما ترى فيه فمتى
ما برزت منه تحوّلت الى المنزل الاذى والهون وترا
لك الشقاء الذي تلقى فتبكي له بدمع هتون فاستقم

عيشك

عيشك الرغيد وحاذر ان تبيع المحقوق بالمظنون
واحترس من مخادع لك يرقيك ليلقيك في العذاب
المهين ولعمري لقد نصحت ولكن كم نصيح مشبّه
بظنين ثم انطمس المكتوب على غفلة ونفل
عليه ما تنفّله وشدّ الزبد في خرقة حرير بعدما
ضمّخها بعبير وامر بتعليقها على فخذ الماخض وان لا
تعلق بها يد حائض فلم يك الا كفواق شارب
او فواق حالب حتى اندلق شخص الولد لخصيص الزبد
بقدرة الواحد الصمد فامتلأ القصر حبورا واستطير
عميده وعبيده سرورا واحاطت الجماعة بابي زيد
تثني عليه وتقبّل يديه وتتبرّك بمساس طمريه حتى
خيّل اليّ انه الاسدي دبيس او القرني اويس ثم
انثال عليه من جوائز الجائزة وصلات الصلات ما
قيّض له الغنا وبيّض وجه المنا ولم يحل مذ نتج النخل
يتنابه الدخل الى ان اعطى البحر الامان وثنى الانام

إلى عُمان. فألفيني أبو زيد بالمحلة. وقد تأهب للرحلة.
فلم يسمح الوالي بحركته. بعد تجربة بركته. بل أوعز بضمّه
إلى خزانته. وأن يطلق يده في خزانته. قال الحرث بن
همام. فلما رأيته قد مال. إلى حيث يكسب المال. انحيت
عليه بالتعنيف. وهجّنت له مفارقة المألف والأليف.
فقال إليك عني. واسمع مني.

لا تصبونَّ إلى وطن فيه تضام وتمتهن
وارحل عن الدار التي تعلي الوهاد على القنن
واهرب إلى كنٍّ يقيك ولو أنه حضنا حضن
ودع التذكر للمعاهد والحنين إلى الوطن
واربأ بنفسك أن تقيم بحيث يغشاك الدرن
وجب البلاد فأيها أرضاك فاختره وطن
واعلم بأن الحر في أوطانه ملقى الغبن
كالدر في الأصداف يستزرى ويبخس في الثمن

ثم قال حسبك ما استمعت. وحبذا أنت لو اتبعت.

فأوضحت

فأوضحت له معاذيري. وقلت له كن عذيري. فعذر
واعتذر. وزوّد حتى لم يذر. ثم شيّعني تشييع الأقارب.
إلى أن ركبت في القارب. فودّعته وأنا أشكو الفراق.
وأذمّه. وأود لو كان هلك الجنين. وأمه.

المقامة الأربعون التبريزية

حكى الحرث بن همام. قال أزمعت التبريز. من تبريز. حين
نبت بالذليل والعزيز. وخلت من المجير والمجيز. فبينا
أنا في إعداد الأهبة. وارتياد الصحبة. لقيت أبا زيد
السروجي. ملتفا بكساء. ومحتفا بنساء. فسألته عن خطبه.
وإلى أين يسرب مع سربه. فأومى إلى امرأة منهن. باهرة
ظاهرة النفور. وقال تزوجت هذه لتؤنسني في الغربة.
وترحض عني. قشف العزبة. فلقيت منها عرق القربة.
تمطلني بحقي. وتكلفني فوق طوقي. فأنا منها نضو.
وجى. وحلو شجو وشجى. وها نحن قد تساعينا إلى الحاكم.
ليضرب على يد الظالم. فإن انتظم بيننا الوفاق. وإلا

النفور

فالطلاق ولا الانطلاق قال فقلت إلى أن أخبر لمن الغلب
وكيف يكون المنقلب فجعلت شغلي برأذني وصحبتهما
وإن كنت لا أغني فلما حضرا القاضي وكان ممن يرى
فضل الإمساك ويظن بنفاثة السواك جثا أبو زيد
بين يديه وقال أيد الله القاضي وأحسن إليه إن
مطيتي هذه أبية القياد كثيرة الشراد مع أني أطوع لها
من بنانها وأحنى عليها من جنانها فقال لها القاضي
ويحك أما علمت أن النشوز يغضب الرب ويوجب
الضرب فقالت إنه ممن يدور خلف الدار ويأخذ الجار
بالجار فقال له القاضي تبا لك أتبذر في السباخ و
تستفرخ حيث لا إفراخ اعزب عني لا نعم عوفك ولا أمن
خوفك فقال أبو زيد إنها ومرسل الرياح لأكذب
من سجاح فقالت بل هو ومن طوق الحمامة وجنح
النعامة أكذب من أبي ثمامة حين مخرق باليمامة فزفر
أبو زيد زفير الشواظ واستشاط استشاطة المغتاظ وقال

لها

لها ويلك يا دفار يا فجار يا غصة البعل والجار
أتعمدين في الخلوة لتعذيبي وتبدين في الحفلة تكذيبي
وقد علمت أني حين بنيت عليك ورنوت إليك ألفيتك
أقبح من قردة وأيبس من قدة وأخشن من ليفة وأنتن من
جيفة وأثقل من هيضة وأقذر من حيضة وأبرز من قشرة
وأبرد من قرة وأحمق من رجلة وأوسع من دجلة فسترت
عوارك ولم أبد عارك على أنك لو حبتك شيرين بجمالها
وزبيدة بمالها وبلقيس بعرشها وبوران بفرشها و
الزباء بملكها ورابعة بنسكها وخندف بفخرها والخنسا
بشعرها في صخرها لأنفت أن تكوني قعيدة رحلي وطروقة
فحلي قال فتذمرت المرأة وتنمرت وحسرت عن ساعدها
وشمرت وقالت له يا ألأم من مادر وأشأم من قاشر
وأجبن من صافر وأطيش من طامر أترميني بشنارك
وتفري عرضي بشفارك وأنت تعلم أنك أحقر من قلامة
وأعيب من بغلة أبي دلامة وأفضح من جيفة في حلقة وأحقر

من بقّر في حقره وهبك الحسن في لفظه ووعظه
والشعبي في علمه وحفظه والخليل في عروضه ونحوه
وجريرا في غزله وهجوه وقسّا في فصاحته وخطابته
وعبد الحميد في بلاغته وكتابته وابا عمرو في قراءته
واعرابه وابن غريب في روايته عن اعرابه أتظنني ارضاك
اماما للمحراب وحساما للقراب لا والله ولا بوابا للباب
ولا عصا للجراب فقال لهما القاضي اراكما شنّا و
طبقة وحداة وبندقة فاترك ايها الرجل اللدد
واسلك في سيرك الجدد واما انت فكفّي عن سبابه
وقرّي اذا اتى البيت من بابه فقالت المراة والله
ما اسجن عنه لساني الا اذا كساني ولا ارفع له شراعي
دون اشباعي فحلف ابو زيد بالمحرّجات الثلث
انه لا يملك سوى اطماره الرثاث فنظر القاضي في
قصتهما نظر الالمعي وافكر فكرة اللوذعي ثم اقبل
عليهما بوجه قد قطبه ومجن قد قلبه وقال الم يكفكما

التنافر في مجلس الحكم والاقدام على هذا الجرم حتى
ترقيتما من فحش المقاذعة الى خبث المخادعة وايم الله
لقد اخطأت استكما الحفرة ولم يصب سهمكما الثغرة
فان امير المومنين اعز الله ببقائه الدين نصبني لاقضي بين
الخصماء لا لاقضي دين الغرماء فوحق نعمته التي احلتني
هذا المحل وملكتني العقد والحل لئن لم توضحا لي جلية
خطبكما وخبيئة خبكما لانددنّ بكما في الامصار ولا
جعلنكما عبرة لاولي الابصار فاطرق ابو زيد اطراق الشجاع
ثم قال له سماع سماع انا السروجي وهذا عرسي و
ليس كفو البدر غير الشمس وما تنافى انسها وانسي ولا
تنائى ديرها عن قسي ولا عدت سقياي ارض غرسي
لكننا منذ ليال خمس نصبح في ثوب الطوى ونمسي
لا نعرف المضغ ولا التحسي حتى كانا لخفوت النفس اشباح
موتى نشروا من رمس فحين عز الصبر والتاسي وشفنا
الضر الاليم المس قمنا لسعد الجد او للنحس هذا المقام

لاجتلاب فلس • والفقر يلجي الحرّ حين يرسي الى التحلّي
في لباس الملتبس • فهذه حالي وهذا درسي • فانظر الى
يومي وسل عن امسي • وامر بجرّي ان تشا او حبسي •
ففي يديك صحّتي ونكسي •
فقال له القاضي ليثبت انسك • ولتطب نفسك • فقد
حقّ لك ان تغفر خطيئتك • وتوفر عطيّتك • فثارت
الزوجة عند ذلك • واستطالت • واشارت الى الحاضرين
وقالت • يا اهل تبريز لكم حاكم • اوفى على الحكّام تبريزا
ما فيه من عيب سوى انّه • يوم الندى قسمته ضيزى •
قصدته والشيخ نبغي جنى • عود له ما زال مهزوزا •
فسرّح الشيخ وقد نال من • جدواه تخصيصا وتمييزا •
وردّني اخيب من شائم • برقا خفا في شهر تموّزا •
كانّه لم يدر انّي التي • لقّنت الشيخ الاراجيزا •
وانّني ان شئت غادرته • اضحوكة في اهل تبريزا •
فلمّا راى القاضي اجتراء جنانها • وانصلات لسانها •

علم انّه

علم انّه قد مني منهما بالداء العياء • والداهية الدهياء •
وانّه متى منح احد الزوجين • وصرف الآخر صفر اليدين •
كان كمن قضى الدين • او صلّى المغرب ركعتين • فطلّم
وطرسم • واخرنطم وبرطم • وهمهم وغمغم • ثمّ التفت
يمنة وشامة • وتململ كابة وندامة • واخذ يذمّ القضا
ومتاعبه • ويعدّد شوائبه • ونوائبه • ويفنّد طالبه
وخاطبه • ثمّ تنفّس كما يتنفّس المحريب • وانتحب حتّى كاد
يفضحه النحيب • وقال انّ هذا لشي عجيب • اارشق في
موقف بسهمين • االزم في قضيّة مغرمين • ااطيق
ان ارضي الخصمين • ومن اين ومن اين • ثمّ عطف الى حاجبه
المنتدب لمآربه • وقال ما هذا يوم حكم وقضاء • وفصل
وامضاء • هذا يوم الاغتمام • هذا يوم الاغرام • هذا
يوم البحران • هذا يوم الخسران • هذا يوم نصاب • فيه ولا
نصيب • فارضني من هذين المهذارين • واقطع لسانيهما
بدينارين • ثمّ فرّق الاصحاب • واغلق الباب • واشع انّه

بالدين
بين

يوم مذموم• وان القاضي فيه مهموم• لئلا يحضر خصوم•
قال فامن الحاجب على دعائه• وتباكى على بكائه• ثم
فقد ابا زيد وعرسه المتقالين• وقال اشهد انكما لاجل
الثقلين• لكن احترما مجالس الحكام• واجتنبا فحش
الكلام• فما كل قاض قاضي تبريز• ولا كل وقت تسمع
الاراجيز• فقالا له مثلك من حجب• وشكرك قد وجب•
ونهضا• وقد خطبا بدينار زين• واصليا قلب القاضي نار بين•

تفسير ما تضمن هذه المقامة من الالفاظ اللغوية

والامثال العربية• قوله لقيت منها عرق القربة• يضرب
هذا المثل لمن يلقى شدة من الامر الذي يزاوله كما ان
حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق• قوله جعلته دبر
اذني يعني اطرحته• وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم•
وقوله الكذب من سجاح يعني التي تنبات في عهد مسيلمة
الكذاب• وسارت اليه لتناظره وتخبره ثم امنت به
ووهبت نفسها له• وهذا الاسم مبني على الكسر مثل حذام•

وقطام

وقطام لكونه من الاسماء المعدولة• واشتقاقه من السجاحة•
وهي السهولة• ومنه قولهم ملكت فاسجح• وقولها الكذب
من ابي ثمامة هذه كنية مسيلمة الكذاب• وكان تنبا
باليمامة• وخرق بها الى ان سار اليه خالد بن الوليد وقتله•
وقوله لا انعم عوفك العوف الحال والعوف ايضا الذكر
ويدعا للباني على اهله فيقال له نعم عوفك• وقوله يا دفار
يا فجار هذان الاسمان المعدولان عن دافرة وفاجرة والدفر
النتن• وبه سميت الدنيا ام دفر• وكلما يسمى بصفة غالبة•
ثم عدل بها الى فعال بني على الكسر عند النداء كقولك يا لكاع
يا خباث• يا دفار يا فجار• ولا يجوز استعمال ذلك في غير
النداء الا في ضرورة الشعر كقول الشاعر شعر اطوف ما اطوف
ثم اوي الى بيت قعيدته لكاع• واما قوله احموض رجلة
وهو ضرب من الحمض ينبت في مجاري السيل فيجرفها• واما قولها
الام مر مادر• فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضا
لسقي ابله• فلما روي سلح فيه• ومدره بسلحه لئلا ينتفع

به من بعده. وأما قولها أشأم من قاشر فإنه فحل كان
في بعض قبائل سعد بن مناة ما طرق إبلا إلا ماتت و
قيل المراد به العام المجدب وسمي قاشرا لقشره وجه الأرض
من النبات. وأما قولها أجبن من صافر فقد اختلف
في تفسيره فقال بعضهم عني به كل ما يصفر من الطير وخص
بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصائد الأرض
وقيل إنه طائر بعينه إذا جنه الليل تعلق ببعض الأغصان
ولم يزل يصفر طول الليل خوفا من أن ينام فيؤخذ وقيل
إنه الذي يصفر بالمرأة لريبة فهو يجبن وقت صفيره مخافة
أن يظهر على أمره وقيل إن المراد به في المثل المصفور به وهو
الذي ينذر بالصفير فعلى هذا القول فاعل ههنا بمعنى
مفعول به كقوله تعالى من ماء دافق أي مدفوق وكقولهم راحلة
بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل
كقوله تعالى حجابا مستورا أي ساترا وقوله تعالى إنه كان
وعده مأتيا. وأما قولها أطيش من طائر فالمراد به البرغوث

ويسمى

ويسمى طائر بن طائر لكثرة وثوبه. وأما قول القاضي
أراكما شنا وطبقة وحداة وبندقة فإنه أراد به أن كلا
منكما كفو لصاحبه ومقاوم له ولكل من المثلين تفسير مختلف
فيه أما شن وطبقة فإن العلماء مختلفون في قولهم وافق
شن طبقة فقال الأكثرون إنهما قبيلتان فشن هو ابن
أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وطبقة
حي من إياد وكانت طبقة لا تطاق فأوقعت بها شن
فانتصفت منها وقال بعضهم كان شن رجلا من دهاة العرب
وكان ألزم نفسه ألا يتزوج إلا بامرأة تلائمه وكان يجوب
البلاد في ارتياد طلبته فصاحبه رجل في بعض أسفاره
فلما أخذ منهما السير قال له شن أتحملني أم أحملك فقال له
الرجل يا جاهل وهل يحمل الراكب الراكب فأمسك وسارا
حتى أتيا على زرع فقال له شن أترى هذا الزرع أكل أم لا
فقال يا جاهل هل ما تراه في سنبله فأمسك إلى أن
استقبلتهما جنازة فقال له شن أترى صاحبها حيا أم لا

فقال له ما رأيت اجهل منك أتراهم حملوا الى القبر حيا ثم انهما
وصلا الى قرية الرجل فصار به الى منزله وكانت له بنت تسمى
طبقة فاخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق الا
بالصواب اما قوله أتحملني ام احملك فانه اراد اتحدثني ام
احدثك حتى نقطع الطريق بالحديث واما قوله اترى هذا
الزرع أكل ام لا فانه اراد هل استسلف اهله ثمنه ام لا واما
استفهامه عن حياة صاحب الجنازة فانه اراد به اخلف
عقبا يحيى ذكره ام لا فلما خرج الرجل حدثه بتأويل ابنته
لكلامه فخطبها اليه فزوجها اياه وسار بها الى قومه وخبروا
ما فيها من الدهاء والفطنة قالوا وافق شن طبقة فسارت
مثلا ويحكى ان الاصمعي سئل عن تفسير هذا المثل فقال
اظن الشن وعاء من ادم كان قد تشنن فلما اتخذ له غطاء
وافقه ضرب فيه هذا المثل اما حذاه وبندقة فانه يقال
في المثل المضروب لمن يقرع بعدوه او يبلى بنظيره حذا حذ
وراك بندقة وكان الاصل حذاه باثبات الهاء فرخم في النداء

فقد

فقد اختلف في المراد بهما فقيل هما الطائر المعروف وبندقة
الرامي وقيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة فاغارت حذاه
وكانت تنزل بالكوفة على بندقة وكانت تنزل باليمن فنالت منهم
ثم كرت بندقة على حذاه فانحت عليهم وروى بعضهم هذا المثل
حذ احد اغير مهموز على مثال عصا وقفا وزعم انه اسم القبيلة
واما قوله اخطأت استك الحفرة فان هذا المثل يضرب
لمن يخطي في مقصده ويضع الشيء في غير موضعه واما قوله
طلسم وطرسم فمعنى طلسم كره وجهه ومعنى طرسم اطرق وقوله
اخرنطم وبرطم فاخرنطم اي غضب مع تكبر وبرطم اي قطب
وقيل معنى اخرنطم غضب مع تكبر ومعنى برطم غضب مع تعبس
واما قوله همهم وغمغم اي لم يبين الكلام

المقامة الحادية والاربعون التنيسية

حدث الحرث بن همام
قال اطعت دواعي التصابي في غلواء شبابي فلم ازل
زيرا للغيد واذنا للاغاريد الى ان وافى النذير وولى
العيش النضير فنهضت الى رشد الانتباه وندمت على ما فرطت

في جنب الله ثم اخذت في كسع الهنات بالحسنات وتلافي
الهفوات قبل الفوات فملت عن مغاداة الغادات
الى ملاقاة التقاة وعن مغاناة القينات الى مداناة اهل
الديانات وآليت ان لا اصحب الا من نزع عن الغي وفاء
منشره الى الطي وان الفيت من هو خليع الرسن مديد
الوسن انايت داري عن داره وفررت عن عره وعاره
فلما القتني الغربة بتنيس واحلتني مسجدها الانيس
رايت به ذا حلقة ملتحمة ونظارة مزدحمة وهو يقول
بجاش متين ولسان مبين مسكين ابن ادم واي مسكين
ركن من الدنيا الى غير ركين واستعصم منها بغير مكين وذبح
من حبها بغير سكين يكلف بها للغباوة ويكلب عليها
للشقاوة ويعتد فيها للمفاخرة ولا يتزود منها للاخرة
اقسم بمن مرج البحرين ونور القمرين ورفع قدر الحجرين
لو عقل ابن ادم لما نادم ولو افكر فيما قدم لبكى الدم
ولو ذكر المكافاة لاستدرك ما فات ولو نظر في المال

لحسن

لحسن قبح الاعمال يا عجبا لكل العجب لمن يقتحم ذات اللهب
في اكتناز الذهب وخزن النشب لذوي النسب ثم من
البدع العجيب ان يعظك وخط المشيب وتؤذن شمسك
بالمغيب ولست ترى ان تنيب وتهذب المعيب ثم
اندفع ينشد انشاد من يرشد

يا ويح من انذره شيبه وهو على غي الصبى منكمش
يعشو الى نار الهوى بعدما اصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطي اللهو ويعتده اوطا ما يفترش المفترش
لم يهب الشيب الذي ما راى نجومه ذو اللب الا دهش
ولا انتهى عما نهاه النهى عنه ولا بالى بعرض خدش
فذاك ان مات فسحقا له وان يعش فهو كمن لم يعش
لا خير في محيا امرئ نشره كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عرضه طيب يروق حسنا مثل برد رقش
فقل لمن قد شاكه ذنبه هلكت يا مسكين او تنتقش
فاخلص التوبة تطمس بها من الخطايا السود ما قد نقش

وعاشر الناس بخلق رضا ودار من طاش وفر ممن بطش
ورش جناح الحر ان حصه زمانه لا كان من لم يرش
وانجد الموتور ظلما فان عجزت عن انجاده فاستجش
وانعش اذا ناداك ذو كبوة عساك في الحشر بهم تنتعش
وهاك كاس النصح فاشرب وجد بفضلة الكاس على من عطش
قال فلما فرغ من مكيلته وقضى من انشاد ابياته نهض صبي
قد شدن واعرى البدن وقال يا ذوي الحصاة والانصات
الى الوصاة قد وعيتم الانشاد وفقهتم الارشاد فمن
نوى منكم ان يقبل ويصلح المستقبل فليبن بري عن
نيته ولا يعدل عني بعطيته فوالذي يعلم الاسرار
ويغفر الاوزار ان سري لكما ترون وان وجهي لمستوجب
الصون فاعينوني رزقتم العون قال فاخذ الشيخ فيما يعطف
عليه القلوب ويبتني له المطلوب حتى انبط حفره واعشوشب
قفره فلما ان ترع الكيس انصلت بميس وحمد نيس
ولم يحل للشيخ المقام بعدما انصاع الغلام فاستدفع

الايدي

الايدي للدعاء ثم نحا نحو الانكفاء قال الراوي فارتحت
الى ان اعجمه واحل مترجمه فتبعته وهو يشتد في مشيته
ولا يرفق رفق صمته فلما امن المفاجي وامكن التناجي
لفت جيده الي وسلم تسليم البشاشة علي ثم قال اراقك
ذكاء ذلك الشويدن فقلت اي والمؤمن المهيمن قال انه
فتى السروجي ومخرج الدر اللجي فقلت اشهد انك لشجرة
ثمره وشواظ شرره فصدق كهانتي واستحسن ابانتي
ثم قال هل لك في اتيان دار الابيت لنتنازع كاس الكميت فقلت
له ويحك اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم فافتر
افترار متضاحك ومر غير مماحك ثم بدا له ان تراجع الي
وقال احفظها عني وعلي اصرف بصرف الراح عنك
الاسى وروح القلب ولا تكتئب وقل لمن لامك فيما به
تدفع عنك الهم قدك اتئب ثم قال اما انا فانطلق
الى حيث اصطبح واغتبق واذ كنت لا تصحب وتلاءم من يطرب
فلست برفيق ولا طريقك لي بطريق فخل سبيلي وتنكب

ولا تنفر عني ولا تنقب ثم ولى مدبرا ولم يعقب قال
الحرث بن همام فانتهبت وجدا عند انطلاقه ووددت
لو لم

المقامة الثانية والاربعون النجرانية

الاقه

حكى الحرث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى ومساري
الهوى الى ان صرت ابن كل تربة واخا كل غربة الا اني لم اكن
اقطع واديا ولا اشهد ناديا الا لاقتباس الادب المسلي
عن الاشجان المغلي قيمة الانسان حتى عرفت لي هذا التشمر
وتناقلتها عني الالسنة وصارت اعلق بي من الهوى ببني
عذرة والشجاعة بآل ابي صفرة فلما القيت الجران بنجران
واصطفيت بها الخلان والجيران اتخذت انديتها معمري
وموسم تفكاهتي وسمري فكنت اتعهدها صباح مساء
واظهر فيها على ما سر وساء وبينما انا في ناد مشهود محشود
ومحفل مشهود اذ جثم لدينا هم عليه هدم فحيا تحية
ملق بلسان ذلق ثم قال يا بدور المحافل وبحور النوافل
قد تبين الصبح لذي عينين وناب العيان مناب عدلين

فماذا ترون فيما تزرون اتحسنون العون ام تناوون
اذ تدعون فقالوا والله لقد عظت ورمت ان تنبط
فغضت فناشدهم الله عما صدهم حتى استوجب ردهم
فقالوا كنا نتناضل بالالغاز كما يتناضل يوم البراز فما
لك ان شعث من المنضول والحق هذا الفضل بنمط
الفضول فلسنه لسن القوم ووخزوه باسنة اللوم و
اخذ هو يتنصل من هفوته ويتندم على فوهته وهم مصرون
على مواخذته وملبون داعي منابذته الى ان قال لهم يا قوم
ان الاحتمال من كرم الطبع فعدوا عن اللذع والقذع
ثم هلموا الى ان نلغز ونحكم المبرز فسكن عند ذلك نوافدهم
وانحلت عقدهم ورضوا بما شرط عليهم ولهم واقترحوا
ان يكون اولهم فامسك ريثما يعقد شسع او يشد
نسع ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش وملئتم العيش وانشد
ملغزا في مروحة الخيش وجارية في سيرها مشمعلة ولكن
على اثر المسير قفولها لها سائق من جنسها يسحبها على انه

في الاحتثاث رسيلها . ترى في اوان القيظ تنطف

بالندى . ويبدو اذا اولى المصيف قحولها . ثم قال وها

كم يا اولي الفضل ومراكز العقل . وانشد ملغزا في حابول

النخل . ومنتسب الى ام تنشا اصله منها تعانقها وقد كانت

نفته برهة عنها . به يتوصل الجاني ولا يلحى ولا ينهى .

ثم قال ودونكم الخفية العلم المعتكرة الظلم . وانشد ملغزا

في القلم . ومأموم به عرف الامام كما باهت بصحبته الكرام .

له اذ يرتوي طيشان صاد ويسكن حين يعروه الاوام .

ويذري حين يستعي دموعا يرقن كما يروق الابتسام .

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما قيل وانشد ملغزا

في الميل . وما ناكح اختين جهرا وخفية وليس عليه في النكاح سبيل

متى يغش هذي يغش في الحال هذه وان مال بعل لم يجده يميل .

يزيد هما عند المشيب تعهدا وبرا وهذا في البعول قليل .

ثم قال هذه يا اولي الالباب معيار الآداب وانشد ملغزا في

الدولاب . وجاف وهو موصول وصول ليس بالجافي .

غريق

غريق بارز فاعجب له من راسب طاف .

يسح دمع مهضوم ويهضم هضم متلاف .

ويخشى منه حدته ولكن قلبه صاف .

فلما رشق بالخمس التي نسق . قال يا قوم تدبروا هذه الخمس

واعقدوا عليها الخمس . ثم رائكم وضم الذيل او الازدياد

من الكيل . فاستغزرت القوم شهوة الزيادة على ما اشربوا

من البلادة . فقالوا الكران وقوفنا دون حللك . ليفحمنا عن

استيراء زندك . فان تممت عشرا فمن عندك . فاهتز اهتزاز

من فلج سهمه . وانخزل خصمه . ثم افتتح النطق بالبسملة وانشد

ملغزا في المرملة . ومسرورة مغمومة طول دهرها وما هي تدري

ما السرور ولا الغم . تقرب احيانا لاجل جنينها وكم ولد

لولاه طلقت الام . وتبعد احيانا وما حال عهدها وابعاد

من لم يستحل عهده ظلم . اذا افتقر الميل استلذ وصالها

وان طال فالاعراض عن وصلها نعم . لها ملبس باد انيق

منظف . بما يزدري لكن لما يزدري الحكم . ثم كشر عن انيابه

الصُّفر. وأنشد ملغزاً في الظفر. ومرهوف لشبا نام وما
يرعى ولا يشرب. يرى في العشر دون النحر فاسمع وصفه
واعجب. ثم تخازر تخازر العفريت. وأنشد ملغزاً
في طاقة الكبريت. وما محقورة تدنى وتقصى وما منها إذا
فكرت بد. لها رأسان مشتبهان جداً وكل منهما لاخير
ضد. تعذب إن هما خضبا وتلغى إذا عدما الخضاب
ولا تعد. ثم تخمط تخمط القرم. وأنشد ملغزاً في حلب
الكرم. وما شيء إذا فسد تحول غيه رشداً. وإن
هو راق أوصافاً أثار التنحين بدا. زكي العرق والده
ولكن بئس ما ولدا. ثم اعتضد عصى التسيار. وأنشد
ملغزاً في الطيار. وذي طيشين شقه مائل وما عابه بهما
عاقل. يرى أبداً فوق علية كما يعتلي الملك العادل.
تساوى لديه الحصا والنضار وما يستوي الحق والباطل.
وأعجب أوصافه إن نظرت كما ينظر الكيس الفاضل.
تراضى الخصوم به حاكماً وقد عرفوا أنه مائل. قال

فظلت

فظلت الأفكار تهيم في أودية الأوهام. وتجول جولان
المستهام. إلى أن طال الأمد. وحصحص الكمد. فلما رآهم
يرتدون ولا يسنا. ويفضون النهار بالمنى. قال يا قوم
إلام تنظرون. وحتام تنتظرون. ألم يأن لكم استخراج الخبي.
واستسلام الغبي. فقالوا له تالله لقد أعوصت. ونصبت
الشرك فقنصت. فتحكم كيف شئت. وحز الغنم والصيت.
ففرض عن كل معمى فرضاً. واستخلص منهم نضاً. ثم فتح
الأقفال. ووسم الأغفال. وحاول الأجفال. فاعتلق
بمدرة القوم. وقال له لا لبث بعد اليوم. فانتسب
قبل الانطلاق. وهبها متعة الطلاق. فأطرق حتى قلنا
مريب. فأنشد والدمع يجيب. سروج مطلع شمسي.
وربع لهوي وأنسي. لكن حرمت نعيمي بها ولذة نفسي. واعتضت
عنها اغتراباً أمر يومي وأمسي. ما لي مقر بأرض. ولا قرار لعيسي.
يوماً بنجد ويوماً بالشام أضحي وأمسي. أزجي الزمان بقوت
منغص مستخس. ولا أبيت وعندي فلس. وهل لي بفلس.

ومن يعش مثل عيشي باع الحيوة ببخس ثم انه اختبن خلاصة
النصح وبدر ضاربا في الارض فناشدناه ان يعود واسنينا
له الوعود فلا وابيك ما رجع ولا الترغيب له نجع المقامة

الثالثة والاربعون الحضرمية

اخبر الحرث بن همام
قال هفا بي البين المطوح والسير المبرح الى ارض يضل
بها الخريت ويفرق فيها المصاليت فوجدت ما يجد
الحاير الوحيد ورايت ما كنت منه احيد الا اني شجعت
قلبي المزؤود ونسات نضوي المجهود وسرت سير الضارب
بقدح المستلزم للحين ولم ازل بين وخد وذميل
واجازة ميل بعد ميل الى ان كادت الشمس تجب والضياء
يحتجب فارتعت لاظلال الظلام واقتحام جيش حام
ولم ادر اكفت الذيل وارتبط ام اعتمد الليل واختبط
وبينا انا اقلب العزم وامخض الحزم ترائى لي شبح جمل مثله
بجبل فرجيته فعدا مريح وقصدته قصد مشيح فاذا
الظن كهانة والركوب غير اتانة والمريح قد ازدمل ببجاده

واكتحل

واكتحل برقاده فجلست عند راسه حتى هب من نعاسه
فلما ازدهر سراجاه واحس بمن فاجاه نفر كما ينفر المريب
وقال اخوك ام الذيب فقلت بل خابط ليل ضل المسلك
فاضئ لي اقدح لك فقال ليسر همك فرب اخ لم تلده امك
فانسرى عند ذلك اشفاقي وسرى الوسن الى اماقي فقال
عند الصباح يحمد القوم السرى فهل ترى كما ارى فقلت
اني لك لاطوع من حذائك واوفق من غذائك فصدع
بمحبتي وتبجح بصحبتي ثم احتملنا مجدين وارتحلنا مدلجين
ولم نزل نعاني السرى ونعاصي الكرى الى ان بلغ الليل غايته
ورفع الفجر رايته فلما اسفر الفاضح ولم يبق الا الواضح توسمت
رفيق رحلتي وسمير ليلتي فاذا هو ابو زيد مطلب الناشد
ومعلم الراشد فتهادينا تحية المحبين اذا التقيا بعد البين
ثم تباثثنا الاسرار وتناثثنا الاخبار وبعيري يخط من
من الكلال وراحلته ترف رفيف الرال فاعجبني اشتداد
اسرها وامتداد صبرها واخذت استشف جوهرها واساله

من ابن مخبرها: فقال ان لهذه الناقة خبرا حلو المذاقة:
انيق السياقة: فان احببت استماعه فانخ: وان لم تشا فلا
تصخ: فانخت لقوله نضوي: وارهفت السمع لما يروي: فقال
اعلم اني استعرضتها بحضرموت: وكابدت في تحصيلها
الموت: فما زلت اجوب عليها البلدان: واطس باخفافها
الظران: الى ان وجدتها عبر اسفار: وعدة فرار: لا يلحقها
اللغب: ولا تواهقها النجب: ولا تدري ما الهنا: فارصدتها
للخير والشر: واحللتها محل البر السر: فاتفق ان ندت مذ مدة:
ومالي سواها قعدة: فاستشعرت الاسف: واستشرفت التلف:
وبكيت كل ذره سلف: ومكثت ثلاثا: لا استطيع انبعاثا:
ولا اطعم النوم الا حثاثا: ثم اخذت في استقراء المسالك
وتفقد المسارح والمبارك: وانا لا استشف منها ريحا:
ولا استغشي بسامر بحا: وكلما اذكرت مضاها في السير:
وانبراءها لمباراة الطير: لاعني الادكار: واستهوتني الافكار:
فبينما انا في حواء بعض الاحياء: اذ سمعت من شخص متبعد:

وصوت

وصوت منجرد: من ضلت له مطية: حضرمية: وطية: جلدها
قد وسم: ووبرها قد حسم: وزمامها قد ضفر: وظهرها قد كبر
متوجر: تزين الماشية: وتعين الناشية: وتقطع المسافة
النائية: وتظل ابدا لك مدانية: لا يعتورها الونى: ولا
يعترضها الوجى: ولا تحوج الى العصا: ولا تعصي فيمن عصا:
قال ابو زيد: فجذبني الصوت الى الصائت: وبشرني بدرك
الفائت: فلما افضيت اليه: وسلمت عليه: قلت له سلم
المطية: وتسلم العطية: فقال وما مطيتك غفرت خطيئتك
قلت ناقة جثتها كالهضبة: وذروتها كالقبة: وحلبها
ملء العلبة: وكنت اعطيت بها عشرين: اذ حللت بيبرين:
فاستزدت الذي اعطى: ودريت انه اخطأ: قال فاعرض
حين سمع صفتي: وقال لست بصاحب لقطتي: فاخذت
بتلابيبه: واصررت على تكذيبه: وهممت بتمزيق جلابيبه
وهو يقول يا هذا ما مطيتي بطلبتك: فاكفف عن غربك
وعد عن سبك: والا فقاضني الى حكم هذا الحي البري:

مِنَ الغنى • فان اوجبها لك فتسلّم • وان زواها عنك فلا تتكلّم • فلم اردّ واءَ قصّتي • ولا ساغ غصّتي الّا ان ابى الحكم ولولكم • فانخرطنا الى شيخ ركين النصبة • انيق العصبة • يؤنس منه سكون الطائر • وان لبس بالحائر • فاندرأت انظلم وانا الم • وصاحبي مجرنجم • ولا يترمرم • حتّى اذا نثلت كنانتي • وقضيت من القصص لبانتي • ابرز نعلا رزينة الوزن • محذوّة لمسالك الحزن • وقال هذه التي عرفت • واياها وصفت • فان كانت هي التي اعطى بها عشرين • وها هو من المبصرين • فقد كذب في دعواه • وكبر ما افترى به الّا ان يمدّ قذاله • ويبيّن مصداق ما قاله • فقال الحكم اللهمّ غفرا • وجعل يقلّب النعل بطنا وظهرا • ثمّ قال اما هذه النعل فنعلي • واما مطيّتك ففي رحلي • فانهض لتسلّم ناقتك • وافعل الخير بحسب طاقتك • فقمت وقلت

اقسم بالبيت العتيق ذي الحرم • والطائفين العاكفين في الحرم •

انّك ما بين الورى نعم الحكم • وخير قاضٍ في الاعاريب حكم •

فاسلم

فاسلم ودم دوم الغمام والنعم • فاجاب من غير رويّة ولا عقد نيّة فقال

جزيت عن شكرك خيرا يا ابن عم • اذ لست استوجب شكر ملتزم •

شرّ الانام من استقضى ظلم • ثمّ من استرعى فلم يرع الحرم •

فذان والكلب سواءٌ في القيم •

ثمّ انّه نقد بين يديّ من سلّم الناقة اليّ • ولم يمتنّ عليّ فرحت اجرّ ذيل الطرب • واقول يا للعجب • قال الحارث بن همّام فقلت له تالله لقد اطرفت • وهرفت بما عرفت • فانشدتك الله هل الفيت اسحر منك بلاغة • واحسن للفظ صياغة • فقال اللهمّ نعم • فاسمع وانعم • كنت عزمت حين اتّهمت ان اتّخذ ظعينة • لتكون لي معينة • فحين تعيّن الخطب وكاد الامر يستتبّ • افكرت فكر المتحرّز من الوهم • المتأمّل كيف مسقط السهم • وبتّ ليلتي اناجي قلبي المعذّب • واقلّب العزم المذبذب • الى ان اجمعت على ان اسحر • واشاور اوّل من ابصر • فلمّا قوّض الظلام اطنابها • وولّت الشهب اذنابها • غدوت غدوّ المتعرّف • وابتكرت ابتكار المتعيّف •

فما ترى لي يا فع ؛ في وجه شافع ؛ فتمتعت بمنظره البهيج ؛
واقدح رأيه في التزويج ؛ فقال أو تبغيها عوانا ؛ أم بكرا
تعاني ؛ فقلت اختر لي ما ترى ؛ فقد ألقيت إليك العرى ؛
فقال إليّ التبيين ؛ وعليك التعيين ؛ فاسمع أنا أفديك ؛
بعد دفن أعاديك أما البكر ؛ فالدرة المخزونة ؛ والبيضة
المكنونة ؛ والباكورة الجنية ؛ والسلافة الهنية ؛ والروضة
الأنف ؛ والطوق الذي ثمن وشرف لم يدنسها لامس ؛
ولا استغشاها لابس ؛ ولا مارسها عابث ؛ ولا وكسها طامث
ولها الوجه الحيّ ؛ والطرف الخفي ؛ واللسان العيي ؛ والقلب
النقي ؛ ثم هي الدمية الملاعبة ؛ واللعبة المداعبة ؛ والغزالة
المغازلة ؛ والملحة الكاملة ؛ والوشاح الطاهر القشيب ؛
والضجيع الذي يشب ولا يشيب ؛ وأما الثيب فالمطية
المذللة ؛ واللهنة المعجلة ؛ والبغية المسهلة ؛ والطبة
المتعللة ؛ والقرينة المتحببة ؛ والحليلة المتقربة ؛ والصناع
المدبرة ؛ والفطنة المختبرة ؛ ثم إنها عجالة الراكب ؛ وأنشوطة

صفات البكر

صفات الثيب

الخاطب

الخاطب ؛ وقعدة العاجز ؛ ونهزة المبارز ؛ عريكتها لينة
وعقلتها هينة ؛ ودخلتها مبينة ؛ وخدمتها مزينة ؛
وأقسم لقد صدقت في النعتين ؛ وأجليت الماهيتين ؛ فبأيهما
هام قلبك ؛ وعلى أيتهما قام ربك ؛ قال أبو زيد فرأيته
حين لم يبقها المراجم ؛ وتدمى منها المحاجم ؛ إلا أني قلت
له سمعت أن البكر أشد حبا ؛ وأقل خبا ؛ فقال لعمري
قيل هذا ولكن كم قول أذى ؛ ويحك أما هي المهرة الأبية
العنان ؛ والمطية البطيئة الإذعان ؛ والزندة المتعسرة
الاقتداح ؛ والقلعة المستصعبة الافتتاح ؛ ثم إن مؤونتها
كثيرة ؛ ومعونتها يسيرة ؛ وعشرتها صلفة ؛ ودالتها
مكلفة ؛ ويدها خرقاء ؛ وفتنتها صماء ؛ وعريكتها خشناء ؛
وليلتها ليلاء ؛ وفي رياضتها عناء ؛ وعلى خبرها غشاء ؛
ولطالما أخزت المنازل ؛ وفركت المغازل ؛ وأحنقت الهازل ؛
وأضرعت الفنيق البازل ؛ ثم إنها التي تقول أنا ألبس
وأجلس ؛ واطلب من يطلق ويحبس ؛ فقلت له فما ترى

عيوب البكر



في الشيب؛ يا أبا الطيب؛ قال ويحك أترغب في فضالة المآكل
وثمالة المنهل؛ واللباس المستبذل؛ والوعاء المستعمل؛ و
الدواقة المتطرقة؛ والخراجة المتصرفة؛ والوقاح المتسلطة؛
والمحتكرة المتسخطة؛ ثم كلّها كنت وصرت؛ وطالما بغى
علي فضربت؛ وشتان بين اليوم وأمس؛ وأين القمر من
الشمس؛ وإن كانت الحنانة الروك؛ أو الطماحة الهلوك؛
فهي الغل القمل؛ والجرح الذي لا يندمل؛ فقلت له فهل
ترى أن أترهب؛ وأسلك هذا المذهب؛ فانتهرني انتهار
المؤدب؛ عند زلة المتأدب؛ ثم قال ويلك أتقتدي
بالرهبان؛ والحق قد استبان؛ أف لك ولوهن رأيك
وتبا لك ولأولئك؛ أتراك ما سمعت؛ بأن لا رهبانية في
الإسلام؛ أو حدثت بمناكح نبيك عليه أفضل السلام؛
ثم أما تعلم أن القرينة الصالحة ترب بيتك؛ وتلبي
صوتك؛ وتغض طرفك؛ وتطيب عرفك؛ وبها ترى
قرة عينك؛ وريحانة أنفك؛ وفرحة قلبك؛ وتعلة

يومك وغدك؛ وخلد ذكرك؛ وذخر يومك وغدك
فكيف رغبت عن سنة المرسلين؛ ومتعة المتأهلين؛
وشرعة المحصنين؛ ومجلبة المال والبنين؛ والله لقد
ساءني فيك؛ ما سمعت من فيك؛ ثم أعرض إعراض المغضب
ونزا نزوان العنظب؛ فقلت له قاتلك الله أتنطلق
متبخرا؛ وتدعني متحيرا؛ فقال أظنك تدعي الخبرة لتتجلد
عميرة؛ وتستغني عن المهيرة؛ فقلت له قبح الله ظنك؛
ولا أشب قرنك؛ ثم رحت عنه مراح الخزيان؛ وتبت
من مثاورة الصبيان؛ قال الحارث بن همام فقلت له أقسم
بمن أنبت الأيك؛ إن الجدل منك؛ وإليك؛ فأغرب
في الضحك؛ وطرب طرب المنهمك؛ ثم قال العق العسل
ولا تسل؛ فأخذت أسهب في مدح الأدب؛ وأفضل
رتبه على ذي النشب؛ وهو ينظر إلي نظر المستجهل؛ و
يغضي عني إغضاء المتمهل؛ فلما أفرطت في العصبية
للعصبة الأدبية؛ قال لي صه؛ واسمع مني وافقه؛

يقولون ان جمال الفتى ۞ وزينته ادب راسخ ۞
وما ان يزين سوى المكثرين ۞ ومن طود سودده شامخ ۞
فاما الفقير فخير له ۞ من الادب القرص والكامخ ۞
واى جمال له ان يقال ۞ اديب يعلم او ناسخ ۞
ثم قال سيتضح لك صدق لهجتى ۞ واستنارة حجتى ۞ وسرنا
لا نالوا جهدا ۞ ولا نستفيق جدا ۞ حتى ادانا السير الى قرية عزب
عنها الخير ۞ فدخلناها للارتياد ۞ وكلانا منفض من الزاد ۞ فما
ان بلغنا المحط ۞ والمناخ المختط ۞ اذ لقينا غلام لم يبلغ الحنث ۞
وعلى عاتقه ضغث ۞ فحياه ابو زيد تحية المسلم ۞ وساله
وقفة المتفهم ۞ فقال وعم تسال وفقك الله ۞ قال ايباع
ههنا الرطب بالخطب ۞ قال لا والله ۞ قال ولا البلح
بالملح ۞ قال كلا والله ۞ قال ولا الثمر بالنمر ۞ قال هيهات والله ۞
قال ولا العصائد بالقصائد ۞ قال اسكت عافاك الله ۞ قال
ولا الثرائد بالفرائد ۞ قال اين يذهب بك ارشدك الله ۞ قال
ولا الدقيق بالمعنى الدقيق ۞ قال عد عن هذا اصلحك الله ۞

فاستحلى

فاستحلى ابو زيد ۞ تراجع السؤال والجواب ۞ والتكايل من هذا
الجراب ۞ ولمح الغلام ان الشوط بطين ۞ والشيخ شوبطين ۞
فقال حسبك يا شيخ ۞ فقد عرفت فنك ۞ واستبنت انك
فخذ الجواب صبرة ۞ واكتف به خبرة ۞ اما بهذا المكان فلا
يشترى الشعر بشعرة ۞ ولا النثر بنثارة ۞ ولا القصص بقصاصة ۞
ولا الرسالة بغسالة ۞ ولا حكم لقمان بلقمة ۞ ولا اخبار الملاحم
بلحمة ۞ واما جيل هذا الزمان ۞ فما فيهم من يميح اذا اصيغ له
المديح ۞ ولا من يجيز اذا انشد له الاراجيز ۞ ولا من يغيث
اذا اطربه الحديث ۞ ولا من يمير ولو انه امير ۞ وعندهم
ان مثل الاديب ۞ كالربع الجديب ۞ ان لم يجد الربع ديمة ۞
لم تكن له قيمة ۞ ولا دانته بهيمة ۞ وكذا الادب ۞ ان لم يعضده
نشب ۞ فدرسه نصب ۞ وخزنه حصب ۞ ثم انسدر يعدو ۞
وولى يحدو ۞ فقال لى ابو زيد ۞ اعلمت ان الادب قد بار ۞
وولت انصاره الادبار ۞ فبوت له بحسن البصيرة ۞ وسلمت
بحكم الضرورة ۞ فقال دعنا الان من المصاع ۞ وخذ فى حديث

القصاع • واعلم ان الاسجاع لا تشبع من جاع • فما التدبير
فيما يمسك الرمق • ويطفي الحرق • فقلت الامر اليك • و
الزمام بيديك • قال ارى ان ترهن سيفك لتشبع
جوفك وضيفك • فناولنيه واقم لا تنقلب اليك بما
تلتقم • فاحسنت به الظن • وقلدته السيف والرهن • فما
لبث ان ركب الناقة • ورفض الصدق والصداقة • فمكثت
مليا ارقبه • ثم نهضت اتعقبه • فكنت كمن ضيع اللبن
في الصيف • ولم الفه • ولا السيف •

وفي الصيف ضيعت اللبن مثلی مشهور است میزنند آنرا برای کسی که چیزیرا بر خود تفویت کرده بعد از آن طالب آن شود

المقامة الرابعة والاربعون اللغزية

حكى الحرث بن همام • قال عشوت في ليلة داجية الظلم •
فاحمة اللمم • الى نار تضرم على علم • وتخبر عن كرم • وكانت
ليلة جوها مقرور • وجيبها مزرور • ونجمها مغموم • و
غيمها مركوم • وانا فيها اصرد من عين الحرباء • والمعزى
الجرباء • فلم ازل انض عنسي • واقول طوبى لك ولنفسي •
الى ان ابصر الموقد آلي • وتبين ارقالي • فانحدر يحذف •

الجمري

الجمري • وينشد مرتجزا •

حييت من خابط ليل سار • هداه بل اهداه ضوء النار
الى رحيب الباع رحب الدار • مرحبا بالطارق المستار
ترحاب جعد الكعب بالدينار • ليس بمزور عن الزوار
ولا بمعتام القرى مختار • اذا اقشعرت ترب الاقطار
وضنت الانواء بالامطار • فهو على بؤس الزمان الضاري
جم الرماد مرهف الشفار • لم يخل في ليل ولا نهار
من نحر وار واقتداح وار •

ثم تلقاني بمحاجبي • وصافحني بالحنان يحيي واقتادني الى
بيت عشاره تخور • واعشاره تفور • وولائده تمور • ومواقده
تدور • وباكنافه اضياف قد جلبهم جالبي • وقلبوا في قالبي •
وهم يجتنون فاكهة الشتاء • ويمرحون مرح ذوي الفتاء •
فاخذت ماخذهم في الاصطلاء • ووجدت بهم وجد
الثمل بالطلاء • ولما ان سري الخصر • واسري الخصر اتينا
بموائد كالهالات دورا • والروضات نورا • وقد شحن
باطعمة الولائم • وحمين من العائب واللائم • فرفضنا ما قيل •

فِي البِطْنَةِ، ورأينا الإمعانَ فيها من الفِطْنة، حتى إذا أكلنا

بِصاعِ الحُطَم، وأشفينا على خطر التُّخَم، تعاورنا مشوش الغَمَر،

ثم تبوّأنا مقاعد السَّمَر، وأخذ كلٌّ منا يتلو بلسانه، وينشر

ما في صِوانه، ما عدا شيخاً مشتبهاً فَوْداه، مخلولقاً برداه،

فإنه ربض حَجْرة، وأوسعنا هَجْرة، فغاظنا تجنّبه الملتبس،

موجبة المعتذر بقيد، مومئة إلا أنا إنما نالنا القول، و

خشينا في المسألة الغُول، وكلما رمنا أن يفيض كما فضنا،

أو يُفيض فيما أفضنا، أعرض إعراض العلية عن الأرذلين،

وتلا إنْ هذا إلا أساطير الأولين، ثم كان الحَمّة هاجته

والنفس الأبيّة ناجته، فدلف وازدلف، وخلع الصَّلَف،

وبذل أن يتلافى ما سلف، ثم استرعى سمع السامر، واندفع

كالسيل الهامر، وقال عندي أعاجيب أرويها بلا كذب

عن العيان فكنّوني أبا العجب، رأيت يا قوم أقواماً

غذاؤهم بول العجوز وما أغنى بنت العنب،

بول العجوز لبن البقرة والعجوز أيضاً من أسماء الخمر،

ومسنّين من الأعراب قوتهم أن يشتووا الخرقة تغني من السغب،

الخرقة القطعة من الجراد،

وكاتبين وما خطّت أناملهم حرفاً، ولا قرؤوا ما خُطّ في الكتب،

الكاتبون الخارزون، يقال كتب السقاء والمزادة إذا خرزهما وكتب

البغلة والناقة إذا جمع بين شفريهما وخاطهما،

وناعبين عقاباً في مسيرهم، على تكميهم في البيض واليلب،

العقاب الراية وكانت راية النبي صلعم تسمى العقاب،

ومنتدين ذوي نبل بدت لهم، نبيلة فانثنوا منها إلى الهرب،

النبيلة الجيفة ومنه نبّل البعير إذا مات وأروح،

وعصبة لم تر البيت العتيق، وقد حجّت جُثيّاً بلا شك على الركب،

معنى حجّت جثياً أي غلبت بالحجة مجادلين جاثين على الركب وجثي جمع جاثٍ،

وكنوة بينما ادلجن من حلب، صبّحن كاظمة من غير ما تعب،

كاظمة في هذا الموضع كاظمة الغيظ ومدلجين سروا من أرض كاظمة،

وأصبحوا حين لاح الصبح في حلب أي أصبحوا يحلبون اللبن،

وقادرين متى ما ساء صنعهم، أو قصّروا فيه قالوا الذنب للحطب

القادر الطابخ والقدير المطبوخ في القدر

وبافعا لم يلد من قط غانية ❊ شاهدته وله نسل من العقب

النسل ههنا العدو ومنه قوله تعالى من كل حدب ينسلون والعقب موخر القدم

وشائبا غير مخف للمشيب بدا ❊ في البدو وهو فتي السن لم يشب

الشائب ههنا مازج اللبن والمشيب اللبن الممزوج ويقال فيه مشوب ومشيب

ومرضعا بلبان لم يفه فمه ❊ رأيته في شجار بين السبب

الشجار المحفة ما لم يكن مظللة فان ظللت فهو الهودج والسبب ههنا الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء

وزار عاذره حتى اذا احمدت ❊ صارت غبيراء يهواها اخو الطرب

الغبيراء المسكر المتخذ من الذرة وفي الحديث اياكم والغبيراء فانها خمر العالم ويسمى ايضا السكركة

وراكضا وهو مغلول على فرس ❊ قد غل ايضا وما ينفك عن خبب

المغلول ههنا العطشان وغل اي عطش

وذا يد طلق يقتاد راحلة ❊ مستعجلا وهو ماسور اخو كرب

الماسور الذي يجد الاسر وهو احتباس البول

وجالسا ماشيا يهوي مطيته ❊ وما في الذي اوردته من ريب

الجالس

الجالس الآتي نجدا والماشي الذي كثرت ماشيته وفسر بعضهم قوله تعالى ان امشوا وكانه دعا لهم بكثرة الماشية والنماء

وحائكا اجذم الكفين ذا خرس ❊ فان عجبتم فكم في الخلق من عجب

الحائك الذي اذا مشى حرك منكبيه وفحج بين ركبتيه

وصادعا لقنا من غير ان علقت ❊ كفاه يوما برمح لا ولم يثب

القناة ارتفاع الانف وتحدب وسطه وصدع به اي كشفه

ومعرضا بما جاء الرجال له ❊ وما له في حديث الخلق من ارب

الخلق ههنا الكذب ومنه قوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين

وذا اشتطاط كصدر الرمح قامته ❊ صادفته يمشي يشكو من الحدب

الحدب ما ارتفع من الارض

وساعيا في مسرات الانام يرى ❊ افراحهم ماثما كالظلم والكذب

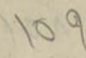
افراحهم اثقالهم بالدين ومنه قوله عليه السلام لا يترك في الاسلام مفرح

وذا ذمام وفت بالعهد ذمته ❊ ولا ذمام له في مذهب العرب

الذمام الاول العهد والثاني جمع ذمة وهي البئر القليلة الماء وعني بالمذهب المسلك بالبدو ابار قليلة الماء

وذا قوى ما استبانت قط لينته ❊ ولينه مستبين غير محتجب

اللين النخل الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة



وساجدا فوق فحل غير مكترث ... بما الى بل براه افضل القرب

الفحل الحصير المتخذ من فحال النخل

وعاذرا مولها من ظل يعذره ... مع التلطف في المعذور في حجب

العاذر الخاتن والمعذور المختون

وبلدة ما بها ماء لمغترف ... والماء يجري عليها جري منسرب

البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى ايضا البلجة

وقرية دون افحوص القطا شحنت ... بديلم عيشهم من خلسة السلب

القرية بيت النمل والديلم النمل الكثير

وكوكبا يتوارى عند رؤيته الانسان ... حتى يرى في امنع الحجب

الكوكب النكتة البيضاء التي تحدث في العين والانسان ههنا عين الانسان

ورونق قومت مالا له خطر ... ونفس صاحبها بالمال لم تطب

الرونق مقدم الا نفث

وصفحة من نضار خالص شربت ... بعد المكاس بقراط من الذهب

النضار ههنا شجر النبع ومنه قول ابراهيم النخعي لا بأس ان تشرب في قدح النضار

ومنتشا بخشخاش ليدفع ما ... اظله من اعاديه فلم يخب

الخشخاش

الخشخاش الجماعة عليهم دروع واسلحة

وطال ما مر بي كلب وفي فمه ... ثور ولكنه ثور بلا ذنب

الثور القطعة من الاقط

وكنت ابصرت كراز الراعي بالدو ... منتظرا عينين كالشهب

الكراز الكبش يحمل عليه الراعي اداته

وكم رأى ناظري فيلا على جمل ... وقد توركه فوق الرحل والقتب

الفيل الرجل الفايل الرأي

وكم رأيت بعرض البيد مشتكيا ... وما اشتكى قط في جد ولا لعب

المشتكي المتخذ شكوة وهي القربة الصغيرة

وعاينت مقلتي عينين ماؤهما ... يجري من الغرب والعينان في حلب

الغرب مجرى الدمع والعينان المقلتان وحلب البلد المعروف

وكم رأيت باقطار الفلا طبقا ... يطير في الجو منصبا الى صبب

الطبق القطعة من الجراد

وكم نزلت بارض لا نخيل بها ... وبعد يوم رأيت البسر في القلب

البسر جمع بسرة وهي الماء الحديث العهد بالمطر والقلب جمع قليب

وكم مشايخ في الدنيا رايتهم مخلدين ومن ينجو من العطب

المخلد الذي ابطا شيبه

وكم بدا لي وحش يشتكي سغبا بمنطق ذلق امضى من القضب

الوحش الرجل الجائع

وكم دعاني مستنبح فحادثني وما اخل ولا اخللت بالادب

المستنبي الجالس على نجوة وهي المكان المرتفع الذي نظن انه يجاوزه

وكم انخت قلوصي تحت جنبذة تظل ما شئت من عرب ومن عرب

الجنبذة القبة والعرب جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها

وكم نظرت الى من سر ساعته ودمعه مستهل القطر كالسحب

السر اى قطع سرره وسرته ويسمى ما بعد القطع السرة

وكم رايت قميصا ضر صاحبه حتى انثنى واهي الاعضاء والعصب

القميص الدابة الكثيرة القماص

وكم ازار لو ان الدهر تلففه يخف لدى حثيث السير مضطرب

الازار المراة ومنه قول الشاعر فدى لك من اخي ثقة ازاري

هذا وكم من افانين معجبة عندي ومن ملح تلهي ومن نخب

فان

فان فطنتم للحن القول بان لكم صدقي ودل لكم طلعي على رطبي

وان شدهتم فان العار فيه على من لا يميز بين العود والخشب

قال الحرث بن همام فطفقنا نخبط في تفليس قريضه وتاويل معاريضه وهو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي ويقول لبس بعشيك فادرجي الى ان تعسر النتاج واستحكم الارتتاج فالقينا اليه المقادة وخطبنا منه الافادة فوقفنا بين الطمع والياس وقال الايناس قبل الابساس فعلمنا انه ممن يرغب في الشكم ويرتشي في الحكم وساءنا ان نتعرض للغرم او نخيب بالرغم فاحضرنا ناقة عبيدية وحلة سعدية وقلنا له خذهما حلالا ولا تر اضيافك زبالا فقال اشهد انها شنشنة اخزمية واريحية حاتمية ثم اقبل بوجه بشره يشف ونظره يرف وقال يا قوم ان الليل قد اجلوذ والنعاس قد استحوذ فافزعوا الى المراقد واغتنموا راحة الراقد لتستريحوا نشاطا وتبعثوا انشاطا فتجمعوا ما افترق ويتسهل لكم المتعسر

فاستصوب كل ما رآه ؛ وتوسّد وسادة كراه ؛ فلما
وسنت الأجفان ؛ وأغفت الضيفان ؛ وثب إلى الناقة
فرحلها ؛ ثم ارتحلها ورحّلها ؛ وقال مخاطبا لها ؛
سروج يا ناق فخدي وخدي ؛ وأدلجي وأوّبي وأسندي
حتى تطا خفاك مرعاها الندي ؛ فتنعمي حينئذ وتسعدي ؛
وتأمني أن تتهمي وتنجدي ؛ إيه فدتك النوق جدّي واجهدي ؛
وافري أديم فدفد ففدفد ؛ واقنعي بالنشح عند المورد ؛
ولا تحطّي دون ذاك المقصد ؛ فقد حلفت حلفة المجتهد ؛
بحرمة البيت الرفيع العمد ؛ إنك إن أحللتني في بلدي ؛
حللت مني بمحل البلد ؛
قال فعلمت أنه السروجي الذي إذا باع انباع ؛ وإذا ملأه الصاع
انضاع ؛ ولما انبلج صباح اليوم ؛ وهبّ النوّام من النوم ؛
أعلمتهم أن الشيخ حين أغشاهم السبات طلقهم البتات ؛ وركب
الناقة وفات ؛ فأخذهم ما قدم وما حدث ؛ ونسوا ما طاب
منه ما خبث ؛ ثم انشعبنا في كل مشعب ؛ وذهبنا تحت كل

كوكب

كوكب تفسير قال الشيخ الإمام الأوحد أبو محمد ره ؛ قد
فسرت سرّ كل لغز بحته ؛ ولم أبعد على من يقرؤه كشفه ؛ وقد
بقيت ألفاظ اشتملت عليها هذه المقامة ؛ ربما التبس تفسيرها
على بعض من تقع إليه فأحببت إيضاحها لئلا يكفي حيرة الشبهة ؛
وكلفة الفكرة ؛ ووصمة البحث والمسئلة وبالله تعالى الاستعانة
والقوة ؛ قوله عشوت إلى نار يعني تنوّرتها فقصدتها ؛ فإن لم تقصدها
قلت عشوت عنها كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا أي من يعرض ؛ وقوله وكنت أصرد من عين الحرباء ؛ تدور
مع الشمس أبدا وتستقبلها بعينها ولذلك شبّه ابن الرومي ؛
الرقيب بالحرباء في قوله شعر ما بالها قد حسنت ورقيبها ؛
أبدا قبيح أقبح الرقباء ؛ ما ذاك إلا أنها شمس الضحى ؛ أبدا يكون
رقيبها الحرباء ؛ والعنز الجرباء ؛ لا تدفى في الشتاء لقلة شعرها ؛
وذكر بعضهم أن العنز الجرباء ؛ تصحيف المثل الأول ؛ وقوله
بحر وار يعني الجمل المكتنز شحما الكثير مخا ؛ وقوله عشاره تخور
واعشاره تفور العشار النوق الحوامل ؛ واحدتها عشراء وهي التي

قد اتى عليها في الحمل عشرة اشهر ولا يزال ذلك اسمها حتى

تضع وبعد ما تضع والاعشار البرمة العظيمة كانها شعبت

لعظمها يقال برمة اعشار وجفنة اكسار وثوب اسمال

وبرد اخلاق وحبل ارمام ووصف الجماعة منها كوصف

الواحد وقوله فاكهة الشتاء كنى بها عن النار ومنه قول

بعض المحدثين نظم النار فاكهة الشتاء فمن يرد اكل الفواكه

شاتيا فليصطل ان الفواكه في الشتاء شهية والنار

للمقرور افضل ماكل وقوله موايدها كالهالات يعنى

دارة القمر ودارة الشمس تسمى الطفاوة وقوله مشوش

الغمر يعني المنديل يقال مشرين بالمنديل اذا مسحها ومنه

قول امرئ القيس ع نمش باعراف الجياد اكفنا اذا نحن

قمنا عن شواء مضهب وقوله مشتبها فوداه اي صارا

من الشيب في لون الاشهب ومنه قول امرئ القيس قالت

الحسناء لما جئتها شاب بعدي فود هذا واشهب

وقوله ربض حجرة يعني ناحية ويقال في المثل لمن يتارك

في الرخاء ويجانب عند البلاء يربض وسطا ويربض حجرة

وقوله فاستقرى سمع السامر السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحي

النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر مع رعاتها

واشتقاق السامر من السمر وهو ظل القمر ماخوذ من السمرة

فلما كان غالب احوال السمار انهم يتحدثون في ظل القمر

اشتق له اسم منه والى هذا يرجع قولهم لا اكلمهم السمر و

القمر وقوله ليس يعشك فادرجي هذا مثل يضرب لمن يتعاطى

ما لا ينبغي له والعش ما يكون في شجرة فان كان في حائط

او كهف جبل فهو وكر وقوله الايناس قبل الابساس

هذا مثل ايضا ومعناه انه ينبغي ان يونس الانسان

ثم يكلف واصله ان حالب الناقة حين يروم حلبها ثم

يبس بها للحلب والابساس ان يقول لها بس بس

لتسكن وتدر واذا كانت الناقة تدر على الابساس

سميت البسوس وقوله يرغب في الشكم الشكم ما اعطيته

على سبيل المكافاة فان اعطيت مبتديا فهو الشكد ومنه

قول الراجز: تشكي عيدٌ ولذا شكرى للحمد والشرقاء عندي:
كالارض مهما استودعت تؤدّي: وقوله ساء اباً مثواها يعني
المضيف الذي اووا اليه وثووا عنده: وقوله ناقة عيديّة قيل هي
منسوبة الى فحل منجب اسمه عيد وقيل بل هي منسوبة الى مجد من
مهرة: يقال لهم بنو عيد بن الامري: على وزن العامري: وكانت عيد
ومهرة يتخذان نجائب الابل: فنسبت اليهما وقوله حلة سعيدية:
هي منسوبة الى سعيد بن العاص وكان رسول الله صلعم كساه وهو
غلام حلة فنسبت جنسها اليه: وقوله لا نرزا ضيفاننا زبالا اي
لا نرزؤهم شيئا ولو قل والاصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها:
وقوله شنشنة اخزمية: اشار به الى المثل الذي ضرب به جد حاتم
بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن اخزم الطائي حين نشأ
حاتم: وتقيّل اخلاق جده اخزم في الجود: فقال شنشنة اعرفها
من اخزم: وتمثل عقيل بن علفة به حين قال شعر: ان بنيّ ضرّ
جوني بالدم: من يلق اساد الرجال يكلم: شنشنة اعرفها
من اخزم: ومن يكن ذا اود يقوّم: ومراده ان هذا المثل له:

فقد

فقد سها فيه: وقوله اجلوّذا اي اسرع في الذهاب: ومثله
اخروّط: وقوله وثب الى الناقة فرحلها يعني شد عليها الرحل:
وبه سمّيت الراحلة: لانها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى في عيشة
راضية اي مرضيّة وكقوله تعالى من ماء دافق اي مدفوق والراحلة
تقع على الناقة والجمل: ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية
وراوية وعلامة: وقوله ارتحلها اي ركبها وفي الحديث ان
النبي صلعم سجد فركبه حسن ع فابطا في سجوده: فلما قضى صلاته قال
ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله وقوله ورحّلها اي ازعجها:
واشخصها: واخذ بها في الرحيل: ومنه الخبر تخرج عند اقتراب
الساعة: نار من قعر عدن ترحّل الناس الى المحشر تقيل معهم
حيث ما قالوا: وتبيت حيث ما باتوا: وقوله فادّلجي وادّبي
واسئدي: الادلاج بالتخفيف: ان يسير من اول الليل: والادّلاج
بالتشديد: ان يسير من اخره والاسم الدّلجة بضم الدال: وقيل ان
الدّلجة بفتح الدال وضمها بمعنى واحد والتاويب سير النهار
وحده والاساد ان يسير ليلا ونهارا والتغمّر ان تشرب دون

الرأي وقوله وأخذهم ما قدم وما حدث يقال ذلك لمن يستولي
عليه الهم والدال من حدث بضم في هذا الموضع وحده ليوافق
لفظ ما قدم فان أفردت وجب فتح الدال منها ومثله قولهم هنأني
ومرأني بحذف الالف من مرأني اذا ذكر مع هنأني فان أفردته
وجب ان تقول أمرأني الشيء وكذلك يقولون رجس نجس
فيكسرون النون من نجس ويسكنون الجيم منه ليزاوج لفظة
رجس فان أفردت قلت نجس بفتح النون والجيم كما قال تعالى انما
المشركون نجس وقوله ذهبنا تحت كل كوكب هذا المثل يضرب
لمن يختلف في السفر طرقهم وتتباين سبلهم

المقامة الخامسة والاربعون الرملية

حكى الحارث بن همام قال كنت أخذت عن أولي التجاريب
ان السفر مرآة الاعاجيب فلم أزل أجوب كل تنوفة وأقتحم
كل مخوفة حتى اجتليت كل طريفة فمن أحسن ما اجتليت وأغرب
ما استملحت أن حضرت قاضي الرملة وكان من أرباب
الدولة والصولة وقد ترافع اليه بال في بال وذات جمال

وأسمال فهمّ الشيخ بالكلام وتبيان المرام فمنعته الفتاة
من الافصاح وخسأته عن النباح ثم نضت عنها فضلة
الوشاح وأنشدت بلسان السليطة الوقاح

يا قاضي الرملة يا ذا الذي ... في يده التمرة والجمرة
إليك أشكو جور بعلي الذي ... لم يحجج البيت سوى مرة
وليته لما قضى نسكه ... وخف ظهرا اذ رمى الجمرة
كان على رأي أبي يوسف ... في صلة الحجة بالعمرة
هذا على أني مذ ضمني ... إليه لم أعص له أمرة
فمره إما ألفة حلوة ... ترضى وإما فرقة مرة
من قبل أن أخلع ثوب الحيا ... في طاعة الشيخ أبي مرة

ابو مرة كنية شيطان است

فقال له القاضي قد سمعت ما عزتك إليه وتوعدتك عليه
فجانب ما عزك وحاذر أن تفرك وتعرك فجثا الشيخ على ثفناته
وتفجر بينبوع نفثاته وقال

قفى نفذه وقفى بجيم بمعرفت

اسمع عداك الذم قول امرئ ... يوضح فيما رابها عذره
والله ما أعرضت عنها قلى ... ولا هوى قلبي قضا نذره
وإنما الدهر عدا صرفه ...

فابتزنا الدرة والدرع : فمنزلي قفر كما جيدها :
عطل من الخز والشذرة : وكنت من قبل أرى في الهوى :
ودينه رأي بني عذرة : فمذ نبا الدهر هجرت الدمى :
هجران عف أخذ حذره : ومل عن حرثي لا رغبة :
عنه ولكن لتقي بذره : فلا تلم من هذه حاله :
واعطف عليه واحتمل عذره : قال فالتظت المرأة من مقاله واستشطت
الحجج لحجله وقالت له ويلك يا مرقعان : يا من هو لا طعام :
ولا طعان أتضيق بالولد ذرعا : ولكل أكولة مرعى لقد :
ضل فهمك وأخطأ سهمك : وسفهت نفسك وشقيت :
بك عرسك فقال لها القاضي أما أنت فلو جادلت الخنساء :
لانثنت عنك خرساء : وأما هو فإن كان صدق في زعمه
ودعوى عدمه فلم في هم قبيله : ما يشغل عن ذنبه :
فأطرقت تنظر ازورارا : ولا ترجع حوارا : حتى قلنا قد ألجمها :
الخفر : أو حاق بها الظفر : فقال لها الشيخ تعسا لك أن زخرفت
أو كتمت ما عرفت : فقالت ويحك وهل بعد المناوأة كتم :

أو بقي لنا على سر ختم : وما فينا إلا من قد صدق : وهتك
صونه إذ نطق فليتنا لاقينا البكم : ولم نلق الحكم ثم التفعت
بوشاحها : وتباكت لافتضاحها : وجعل القاضي يعجب
من خطبهما : ويتعجب : ويلوم الدهر لهما ويؤنب ثم أحضر
من الورق ألفين : وقال أرضيا بهما الأجوفين : وعاصيا
النازغ بين الإلفين : فشكراه على حسن التراح : وانطلقا وهما
كالماء والراح : وطفق القاضي بعد مسرحهما : وتنائي شبحهما :
يثني على أدبهما : ويقول هل من عارف بهما : فقال له عين
أعوانه وخالصة خلصائه أما الشيخ فالسروجي المشهور بفضله
وأما المرأة فقعيدة رحله : وأما تحاكمهما فمكيدة من فعله و
أحبولة من حبائل ختله : فاحفظ القاضي ما سمع : وتلهب كيف
خدع : ثم قال للواشي بهما قم فردهما : ثم اقصدهما فصدهما :
فنهض ينفض مذرويه : ثم عاد يضرب أصدريه : فقال له
القاضي أظهرنا على ما نبثت : ولا تخف ما استخبثت فقال
ما زلت أستقري الطرق : وأستفتح الغلق إلى أن أدركتهما :

مصحرين وقد زمّا مطيّ البين فرغّبهما في الصلح وكفل
لهما بنيل الأمل فاشرأبّ قلب الشيخ أن يباس وقال
الفراق بقراب الكيس وقالت هي بل العود أحمد والفرقة
نكد فلما تبيّن الشيخ سفر رأيها وغرر اجلايها امسك
دلالها ثم أنشأ يقول لها دونك نصحي فاقتفي سبله
واغني عن التفصيل بالجملة طرّي متى نفرت من نخلة
وطلّقيها بتّةً بتلة وحاذري العود إليها ولو
سبّلها ناطورها الأبلة فخيرها للّص لا يرتجى
ببقعة فيها له عملة فقال القاضي قاتله الله ثم قال
لي لقد عنيت فيما وليت فارجع من حيث جئت وقل لمرسلك
إن شئت رويدك لا تعقب جميلك بالأذى فتضحي
وتمثّل المال والحمد مضدع ولا تنغضن من تزيّد سائل
فما هو في صوغ اللسان بمبتدع وإن تك قد ساءتك منه
خديعة فقبلك شيخ الأشعريين قد خدع فقال
القاضي قاتله الله فما أحسن شجونه وأملح فنونه ثم إنه أصحب

رسوله

رائدة بردين وصرّة ورق العين وقال سر سير من لا يرى الالتفات
حتى ترى الشيخ والفتاة فبلّ يديهما بهذا الحباء وبيّن لهما
انخداعي للأدباء قال الراوي فلم أر في الاغتراب كهذا العجاب
ولا سمعت بمثله من حال وجاب

المقامة السادسة والأربعون الحلبية

حدّث الحارث بن همام قال نزع
بي إلى حلب شوق غلب وطلب يا له من طلب وكنت يومئذ
خفيف الحاذ حثيث النفاذ فأخذت أهبة السير وخففت
نحوها خفوق الطير ولم أزل مذ حللت ربوعها وارتبعت
ربيعها أقاني الأيام فيما يشفي الغرام ويروي الأوام إلى
أن أقصر القلب عن ولوعه واستطار غراب البين بعد
وقوعه فأغراني البال الخلو والمرح الحلو بأن أقصد
حمصا لأصطاف ببقعتها وأسبر قاعة أهل رقعتها
فأسرعت إليها إسراع النجم إذا انقضّ للرجم فحين خيّمت
برسومها ووجدت روح نسيمها لاح لطرفي شيخا قد أقبل
هرمين وادّبر عن غرين وعنده عشرة صبيان صنوان وغير

صنوان • فطاوعت في قصد الحرص • لاختبير أدباء حمص •
فنشّ بي حين وافيته • وحيّا بأحسن ما حيّيته • فجلت
إليه لا بلوجنا نطفه • واكتنه كنه حمقه • فما لبث أن أشار
بعصيّته • إلى أكبر أصيبيته • وقال له أنشد الأبيات العواطل •
واحذر أن تماطل • فجثا جثوة ليث • وأنشد من غير ريث •

أعدد لحسادك حدّ السلاح • وأورد الآمل ورد السماح •
وصارم اللهو ووصل المها • وأعمل الكوم وسمر الرماح •
واسع لإدراك محل سما • عماده لا لادراع المراح •
والله ما السؤدد حسو الطلا • ولا مرادا لحمد رود رداح •
واهاً لحرٍّ صدره واسع • وهمّه ما سرّ أهل الصلاح •
مورده حلو لسؤّاله • وماله ما سألوه مطاح •
ما أسمع الآمل ردّاً ولا • ماطله والمطل لؤم صراح •
ولا أطاع اللهو لما دعا • ولا كسا راحاً له كاس راح •
سوّده إصلاحه سرّه • وردعه أهواءه والطماح •
وحصّل المدح له علمه • ما مهر العور مهور الصحاح •

فقال

فقال له أحسنت يا بدين • يا رأس الدين • ثم قال للتلو المشتبه
بصنوه • ادن يا نويرة • يا قمر الدويرة • فدنا ولم يبطئ •
حتى حلّ منه مقعد المعاطي • فقال له اجل الأبيات
العرائس • وإن لم تكن نفائس • فبرا وقطّ • ثم أخذ اللوح
وخطّ •

فتنتني فجنّنتني تجنّي • بتجنٍّ يفتنّ غبّ تجنّي •
شغفتني بجفن ظبي غضيض • غنج يقتضي تغيض جفني •
غشّيتني بزينتين فشفّتني • بريّ يشفّ بين تثنّي •
فظننت تجنّيني فجزيتني • بنفث يشفي فخيّب ظنّي •
ثبّتت في غشّ خبّ تزيّن • خبيث يبغي لتشفّي ضغن •
فزنت في تجنّي فتّنني • بنشيج لتجني يفنّن ففنّ •

فلما نظر الشيخ إلى ما حبّره • وتصفّح ما زبره • قال له بورك فيك
من طلا • كما بورك في لا ولا • ثم هتف اقرب يا قطرب • فاقترب
منه فتى يجلي نجم دجية • أو تمثال دمية • فقال له ارقم
الأبيات الأخياف • وتجنّب الخلاف • فأخذ القلم ورقم

اسمح فبثّ السماح زين • ولا تخب آملاً تضيّف • ولا تجز ردّ

ذي سؤال فمن أمّ في السؤال خفّف
ولا تظنّ الدهور تبقي مال الضنين ولو تقشّف
واحلم فجفن الكرام يغضي وصدرهم في العطاء نفنف
ولا تخن عهد ذي وداد ثبت ولا تبغ ما يزيف

فقال له لا شلّت يداك ولا كلّ مداك ثم نادى يا عطر منشم فلبّاه غلام كدرّة غوّاص وجوذر قنّاص فقال له اكتب الابيات المنائم ولا تكن من المشائم فتناول القلم المثقف وكتب ولم يتوقف

زيّنت زينب بقدّ يقدّ وتلاه ويلاه نهد يهدّ جندها جيدها وظرف وطرف ناعس ناعس بحدّ يحدّ قدرها قدّها وتاهت وباهت واغتدت واعتدت بجدّ يجدّ فارقتني فارّقتني وشطّت وسطت ثم نمّ وجد وجدّ فدنت فدنيت وحنّت وجنّت مغضبا مغضيا بودّ يودّ

فطفق الشيخ يتأمل ما سطره ويقلّب فيه نظره فلما استحسن خطّه واستصحّ ضبطه قال له لا شلّ عشرك ولا استخبث نشرك

ثم أهاب بفتى يفتان يسفر عن أزاهر بستان فقال له انشد البيتين المطرفين المشتبهي الطرفين اللذين أسكنا كلّ نافث وأمنا أن يعززا بثالث فقال له اسمع لا وقر سمعك ولا هزم جمعك وأنشد من غير تلبّث ولا تريّث شعر

سم سمة تحسن آثارها واشكر لمن أعطى ولو سمسمه
والمكر مهما استطعت لا تأته لتقتني السؤدد والمكرمه

فقال له أجدت يا زغلول يا أبا الغلول ثم نادى أوضح يا ياسين ما يشكل من ذوات السين فنهض ولم يتانّ وأنشد بصوت أغنّ

نفّس لدواة ورسّخ الكفّ مثبتة سيناهما إن هما خطّا وإن درسا
وهكذا السين في قسب وباسقة والنفح والبخس واقتس واقتبس قبسا
وفي تقسّست بالليل الكلام وفي مسبطرّ وشموس واتخذ جرسا
وفي قريس وبرد قارس فخذ الصواب منّي وكن للعلم مقتبسا

فقال له أحسنت يا نغش يا صنّاجة الحبش ثم قال ثب يا غبيسة وبيّن

الصادات الملتبسة فوثب وثبة شبل مثار ثم انشد
من غير عثار بالصاد يكتب قد قبصت دراهما بأناملي
واصخ لتستمع الخبر وبصقت ابصق والصماخ وصيحة
والقص وهو الصدر وافقص الاثر وبخصت مقلته
وهبني قرصة وقد ارعدت منه الفريصة للخور وقصرت
هذا اي حبست وقد دنا فصح النصارى وهو عيد منتظر
وقرصته والخمر قارصة اذا حذت اللسان وكل هذا مسطر
فقال له رعيا لك يا بني فلقد اقررت عيني ثم استنهض
ذا جثة كالبدن ونغشة كالسوذنق وامره ان يقف بالمرصاد
ويسرد ما اجري على السين والصاد فنهض يسحب برديه
ثم انشد مرابيه ان شئت بالسين فاكتب ما ابينه
وان تشا فهو بالصادات يكتب مغص وقفص ومسطار
وملتص وسالغ وسراط الحق والسقب المغص الوجع المعترض
في الجوف وهو مسكن الغين والقفص فقص البيض والمسطار
الخمرة المزة ويقال لها السطارة ايضا والملتص الذي يسقط

من يده

من يده ولا تثريب والسالغ اخو السنان ذوات الظلف
والسقب المقرب والسامغان وسقر والسويق ومسلاق
الشديد الصوت ومنه قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد
فقال له احسنت يا جعفر يا عين بقة ثم نادى يا دغفل
يا ابا زنفل فلباه فتى احسن من بيضة في روضة فقال
له ما عقد هجا الافعال التي اخرها حرف علال فقال له
اسمع لا صم صداك ولا سمعت عذالك ثم انشد وما استرشد
نظم اذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه فالحق به تاء
الخطاب ولا تقف فان كان قبل التاء ياء فاكتبن بياء
والا فهو يكتب بالالف ولا تحسب الفعل الثلاثي
والذي تعداه والمهموز في ذاك يختلف فطرب الشيخ لما ارام
ثم عوذه وفداه ثم قال هلم يا فقعاع يا يافعة البقاع
فاقبل احسن من نار القرى في عين ابن السرى فقال له اشدد
بتمييز الظاء من الضاد لتصدع اكباد الاضداد فاهتز لقوله
واهتش ثم انشد بصوت اجش ايها السائل عن

الضاد والظاء لكيلا تضلّ الالفاظ ؞ ان حفظ الظاءات

يغنيك ؞ فاسمعها استماع امرئ له استيقاظ ؞ هي ظمياء

والمظالم والاظلام ؞ والظلم والظبى والكحاظ ؞ والعظاء

والظليم ؞ والظبى ؞ والشيظم والظل ؞ واللظى والشواظ ؞

والتظني واللفظ والنظم ؞ والتقريظ والقيظ والظما واللماظ ؞

والحظي والنظر والظر ؞ والحاحظ والناظرون والايقاظ ؞

والتشظي والظلف والعظم ؞ والضبو سا والظهر والشظا والشناظ ؞

والاظافر والظفر والمحظور ؞ والحافظون والاحفاظ ؞

والخطرات والمظنة والظنة ؞ والكاظمون والمغتاظ ؞

والوظيفات والمواظب ؞ والكظة والانتظار والالظاظ ؞

ووظيف وظالع وعظيم ؞ وظهير واللفظ والاغلاظ ؞

الوظيف ما فوق الرسغ

ونظيف والظرف والظلف ؞ والظاهر ثم الفظيع والوعاظ ؞

وعكاظ والظعن ؞ والمظ والحنظل ؞ والقارظان ؞ والاوشاظ ؞

والقارظ الذي يجني القرظ ؞ وهو نبات يدبغ به سوق عكاظ معروف

والاوشاظ

والاوشاظ الجماعات والاخلاط ؞

وظراب الظران ؞ والشظف الباهظ والجعظري ؞ والجواظ ؞

الظراب الربى الصغار ؞ واحدتها ظرب ؞ والظران الحجارة

المحددة ؞ واحدها ظرر ؞ والشظف البؤس وسوء العيش ؞ و

الجعظري المنتفخ بما ليس عنده ؞ والجواظ الفاجر ؞ وقيل

الاكول المختال ؞ والظرابين والحناظب ؞ والعنظب ؞ ثم

الظبان ؞ والارعاظ ؞ الظرابين جمع ظربان ؞ وهي دابة لا يطاق

فسوها ؞ وتجمع ايضا على ظرابي بحذف النون ؞ وعلى ظربى وهو

جمع شاذ ؞ وحناظب جمع ذكور الخنافس ؞ والعنظب ذكر

الجراد ؞ والظبان ؞ يا سمين البر ؞ والارعاظ ؞

جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم ؞

والشناظي والدلظ والظاب ؞ والضبطاب والعنظوان ؞ والجعظان

والجنعاظ ؞ الشناظي نواحي الجبل ؞ والدلظ الدفع والظاب

الصخب ؞ وقد تبدل الباء منه ميما ؞ وقيل ان الظاب ؞ والظام

اسمان لسلف الرجل ؞ والعنظوان نبت ؞ والضبطاب الداء ؞

يقال ما به ضبظاب كما يقال ما به قلبة ۔ والجعظ الأحمق و

قيل إنه المتسخّط عند الطعام ۔ والشناظر والثعاظل

والعظلم ۔ والبظر بعد والانعاظ ۔ الشناظر جمع شنظر وهو

البذيّ الخلق ۔ والثعاظل ۔ تلازم الجراد ۔ والكلاب عند السفاد ۔

والعظلم الخطميّ ۔ هي هذي سوى النوادر فاحفظها يا يفعوّ

تاركنا لحفاظ ۔ واقض فيما صرفت فيها كما تقضيه في أصله

كقيظ وقاظو ۔ فقال له الشيخ أحسنت لا فضّ فوك ۔ ولا برّ من

يجفوك ۔ فوالله إنك مع الصبي الغضّ لأحفظ من الأرض

وأجمع من يوم العرض ۔ ولقد أورثتك ۔ وزففتك لآلي ۔

وثقّفتكم تثقيف العوالي ۔ فاذكروني أذكركم واشكروا لي

ولا تكفرون ۔ قال الحارث بن همام ۔ فعجبت لما أبدا من براعة

معجونة برقاعة ۔ وأظهر من حذاقة ۔ ممزوجة بحماقة ۔ ولم يزل

بصري يصعّد فيه ۔ ويصوّب ۔ ويتفرّسه وينقّب ۔ وهو لمن

ينظر في ظلماء ۔ أو يسري في يهماء ۔ فلما استرابت تنبّهي ۔

واستبان تدلّهي ۔ حملق إليّ وتبسّم ۔ وقال لم يبق من يتوسّم ۔

فبهت

فبهت لفحوى كلامه ۔ ووجدته أبا زيد قبل ابتسامه ۔

وجعلت ألومه على تدبّر بقعة النوكى ۔ وتخرّج فيه الحمقى

فكان وجهه أسفّ رمادا ۔ وأشرب سوادا ۔ إلا أنه أنشد

وما تمادى ۔ تحرّفت حمص وهذي الصناعة لا رزق

حظوة أهل الرقاعة ۔ فما يصطفي الدهر غير الرقيع ۔ ولا يوطن

المال إلا بقاعه ۔ ولا أحي للّب من دهره سوى ما العير سط

بقاعة ۔ ثم قال أما إن التعليم أشرف صناعة ۔ وأربح

بضاعة ۔ وأنجح شفاعة ۔ وأفضل براعة ۔ وربّه ذو إمرة

مطاعة ۔ وهيبة مشاعة ۔ ورعية مطواعة ۔ يتسيطر تسيطر

أمير ۔ ويرتب ترتيب وزير ۔ ويتحكم تحكّم قدير ۔ ويتشبّه

بذي ملك كبير ۔ لولا أنه يخرف في أمد يسير ۔ ويتّسم بحمق

شهير ۔ وينقلب بعقل صغير ۔ ولا ينبئك مثل خبير ۔ فقلت

له تالله إنك لابن أبا الأيام ۔ وعلم الأعلام ۔ والساحر

اللاعب بالأفهام ۔ المذلّل لسبل الكلام ۔ ثم لم أزل

معتكفا بناديه ۔ ومغترفا من سيل واديه ۔ إلى أن غابت الأيام ۔

الغِرّ. ونابَ لأحداثِ الغِيَر. ففارقتُه ولعيني العِبَر.

المقامة السابعة والاربعون الحجرية

حكى الحرث بن همام قال احتجتُ الى الحجامة. وانا بحجر
اليمامة. فأُرشدتُ الى شيخ يحجم بلطافة. ويسفر عن
نظافة. فبعثتُ غلامي لإحضاره. وارصدتُ نفسي لانتظاره.
فابطأ بعد ما انطلق حتى خلتُه. قد ابق او ركب طبقا عن
طبق. ثم عاد عود المخفق مسعاه. الكلّ على مولاه فقلت
له ويلك ابطاء وفقد. وصلود زند. فزعم ان الشيخ اشغل
من ذات النحيين. وفي حرب كحرب حنين. فعفتُ المشي الى
حجام. وحرتُ بين اقدام واحجام. ثم رأيت ان لا تعنيف
على من يأتي الكنيف. فلما شهدتُ موسمه. وشاهدتُ
مبسمه. رأيت شيخا هيئته نظيفة. وحركته خفيفة. وعليه
من النظارة اطواق. ومن الزحام طباق. وبين يديه فتى كالصمصام.
متهدّف للحجامة. والشيخ يقول له اراك قد ابرزت راسك.
قبل ان تبرز قرطاسك. ولي لبتني فذالك ولم تقل.

الى ذلك. ولستُ ممن يبيع نقدا بدين. ولا ممن يطلب اثرا
بعد عين. فان انت رضخت بالعين. حجمتُ في الأخدعين.
وان كنت ترى الشح اولى. وخزن الفلس في النفس احلى. فاقرأ
عبس وتولى. واعزب عني والا. فقال الفتى والذي حرّم
صوغ المين. كما حرّم صيد الحرمين. اني لأفلس من ابن
يومين. فتوسّل بتلعثي. وانظرني الى سعتي. فقال الشيخ ويحك
ان مثل الوعود. كغرس العود. هو بين ان يدركه العطب.
او تدرك منه الرطب. فما يدريني أأحصل من عودك جنى.
ام احصل منه على ضنى. ثم ما الثقة بانك حين تبتعد.
ستفي بما تعد. وقد صار الغدر كالتحجيل. في حلية هذا
الجيل. فارحني بالله من التعذيب. وارحل الى حيث يعوي
الذئب. فاستوى الغلام اليه. وقد استولى الخجل عليه. وقال
والله ما يخيس بالعهد غير الخسيس الوغد. ولا يرد غدير
الغدر. الا الوضيع الغدر. ولو عرفت من انا لما اسمعتني الخنا.
لكنك جهلت. فقلت وحيث وجب ان تجد بك. وما اقبح

الغُربة والاقلال. واحسن قول من قال.

انّ الغريب الطويل الذيل ممتهن. فكيف حال غريب ما له قوت.

لكنه ما تشين الحر موجعة. فالمسك يسحق والكافور مفتوت.

وطالما اصلي الياقوت جمر غضى. ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت.

فقال الشيخ يا ويلنا ابيك. وعولة اهليك انت في موضع

فخر يظهر. وحسب يشهر ام موقف جلد يكشط. وقفا

يشرط. وهبك كما ادعيت. وسلم ان لك البيت ا بحصل

بذلك حجم فذلك لا والله. ولو ان اباك اناف على عبد

مناف اوتخالك دان عبد المناف المدان. فلا تطلب ما لست

له بواجد. ولا تضرب في حديد بارد. وباه اذا باهيت بموجودك

لا بجدودك. وبمحصولك لا باصولك. وبصفاتك لا برفاتك.

وباعلاقك لا باعراقك. ولا تطع الطمع فيذلك. ولا تتبع

الهوى فيضلك. ولله القائل لابنه.

بني استقم فالعود تنمي عروقه قويما. ويغشاه اذا ما التوى التوى.

ولا تطع الحرص المذل وكن فتى اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى.

وعاص الهوى المردي فكم من محلق الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى.

واسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى على مر الى الحر اللباب نضوى طوى.

وحافظ على من لا يخون اذا ابا زمان. ومن يرعى اذا ما النوى نوى.

وان تقدر فاصفح ولا خير في امرئ اذا اعتلقت اظفاره بالشوى شوى.

واياك والشكوى فلم ير ذو نهى شكا بل اخو الجهل الذي ما ارعوى عوى.

فقال الغلام للنظارة يا للعجيبة والطرفة الغريبة انف في السماء

واست في الماء. ولفظ كالصهباء. وفعل كالحصباء. ثم اقبل

على الشيخ بلسان سليط. وغيظ مستشيط. وقال اف لك من

صواغ باللسان. رواغ عن الاحسان. يامر بالبر ويعق عقوق

الهر فان كان سبب تعنتك نفاق صنعتك. فرماها الله بالكساد.

وافساد الحساد حتى ترى افرغ من حجام ساباط. واضيق

رزقا من سم خياط. فقال له الشيخ بل سلط الله عليك بثر الفم

وتبيغ الدم حتى تلجا الى حجام. عظيم الاشتطاط ثقيل

الاشتراط كليل المشراط. كثير المخاط والضراط. فلما تبين الفتى

انه يشكو الى غير مصمت. ويزاول استفتاح باب مصمت.

أضرب عن رجع الكلام فجنح إلى سلمه وبذل أن يذعن لحكمه وألّا يبغي أجرا على حجمه وأبى الغلام إلا المشي بدائه والهرب من لقائه وما زال في حجاج وسباب ولزاز وجذاب إلى أن ضجّ الفتى من الشقاق وتلا برده سورة الانشقاق فأعول لوقارة حبره وانعطاط عرضه وطرّه وأخذ الشيخ يعتذر من فرطاته ويتغصّص من عبراته وهو لا يصغي إلى اعتذاره ولا يقصر عن استعباره إلى أن قال له فداك عمك وعداك ما يغمك أما تشأم الأعوال أما تعرف الاحتمال أما تسمع بمن قال وأخذ بقول من قال نظم

أحمل بحلمك ما يذكيه ذو سفه من نار غيظك واصفح إن جنى جانِ
فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به والأخذ بالعفو أحلى ما جنى جانِ

فقال له الغلام أما إنك لو ظهرت على عيش المنكد لعذرت في دمعي المنهمر ولكن هان على الأملس ما لاقى الدبر ثم كأنه نزع إلى الاستحياء فأقلع عن البكاء وفاء إلى الارعواء وقال للشيخ قد صرت إلى ما اشتهيت فارقع ما أوهيت

فقال هيهات شغلت شعابي جدواي فشم بارقا سواي ثم إنه نهض يستقري الصفوف ويستجدي الوقوف وينشد في ضمن ما يطوف

أقسم بالبيت الحرام الذي تهوي إليه الزمر المحرمه
لو أن عندي قوت يوم لما أمست بدي المشراط والمحجمه
ولا اشتكى هذا الفتى غلظة مني ولا شاكته مني حمه
لكن [illegible] الدهر غادرني كخابط في الليلة المظلمه
واضطرني الفقر إلى موقف من دونه خوض اللظى المضرمه
فهل فتى تذكيه رقة علي أو تعطفه مرحمه

قال الحارث بن همام فكنت أول من أوى لبلواه ورق لشكواه فنحلته بدرهمين وقلت لا كانا ولو كانا ذا مين فابتهج بباكورة جناه وتفاءل بها لغناه ولم تزل الدراهم تنهال عليه وتنثال لديه حتى آل ذا عيشة خضراء وحقيبة نجلاء فارتاح للفرح عند ذلك وهنأ نفسه هنالك وقال للغلام هذا ريع أنت بذره وحلب لك شطره فهلم لنقتسم ولا تحتشم فتقاسماه بينهما شق الأبلمة ونهضا متفقي الكلمة ولما انتظم عقد الاصطلاح

وهمّ الشيخ بالرواح قلت له قد تسوّغ دمي ونفثت إليك
قدمي فهل لك في أن تحميني وتكفكف ما دهمني فصوّب
طرفه وصعّد ثم ازدلف مني وأنشد
كيف رأيت خدعتي وختلي وما جرى بيني وبين سخلي
حتى انثنيت فائزا بالخصل أرعى رياض الخصب بعد المحل
بالله يا ممحّض قلبي قل لي هل أبصرت عيناك قط مثلي
يفتح بالتعبير كل قفل أو يسبي بالسحر كل عقل
ويعجن الجد بماء الهزل إن يكن الإسكندري قبلي
فالطل قد يبدو أمام الوبل والفضل للوابل لا للطل
قال فنبهتني أحوزته عليه وأرتني أنه شيخنا المشار إليه
فقرّعته على الابتذال والالتحاق بالأرذال فأعرض عما
سمع ولم يبل بما قرع وقال كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع
ثم قاصاني مقاصاة المهان وانطلق وابنه كفرسي رهان
قال الشيخ الإمام الأوحد أبو محمد رحمه الله قد أودعت هذه
المقامة بضعة عشر مثلا من أمثال العرب وها أنا أفسر منها

ما الخالة

ما الخالة بلابس على من يقتبس أما قوله بطو فند فهو مولى
عائشة بنت سعد ابن أبي وقاص وكانت بعثته بالمدينة
ليقتبس لها نارا فقصد مصر وأقام بها سنة يشتد ومعه
جمر فبدد فقال تعست العجلة وأما ذات النحيين فهي
امرأة من تيم الله بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا
سمن فاستخلا بها خوات بن جبير الأنصاري ليبتاعهما منها
ففتح أحدهما وذاقه ودفعه إليها فأمسكته بإحدى يديها
ثم فتح الآخر وذاقه ودفعه إليها فأمسكته بيدها الأخرى ثم
غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين
وشحها على السمن فلما قام عنها قالت لا هناك فضرب بها
المثل فيمن شغل وهي في المثل مفعولة لأنها شغلت وأكثر
الأمثال التي على أفعل تأتي من فعل الفاعل وأما قوله
أنف في السماء واست في الماء فهذا المثل يضرب لمن يتكبر
مقالا ويصغر فعالا وأما قوله أفرغ من حجام ساباط فحكي
أنه كان حجاما لازما ساباط المدائن يحجم الجندي بدانق نسيئة

وربما مرت عليه برهة لا يقربه فيها احد فكان عند تمادي
عطلته برزامه فيجمها لكيلا يقرع بالبطالة فما زال
يجمها نوبة بعد نوبة الى ان نزف دمها فماتت واما قوله
يشكوا الى غير مصمت فهو مثل يضرب لمن لا يكترث بشان
صاحبه ولا يبالي باستمرار شكايته اذ لو اشكاه لصمت
وامسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جملا له
نظم انك لا تشكو الى مصمت ۞ فاصبر على الحمل الثقيل او مت
ويشبه هذا المثل هان على الاملس ما لاقى الدبر وقد
تضمن هذا المقامة ايضا واما قوله شغلت شعابي جدواي
فالمراد به انه ليس يفضل عني ما اصرفه الى غيري والشعاب
النواحي واحدها شعب وقوله كل الحذاء يحتذي الحافي
الوقع معناه ان المجهود يقنع بما يجد والوقع ان تصيب
الحجارة القدم فتوهنها واما البعير الموقع فهو الذي يكثر
اثار الدبر **المقامة الثامنة والاربعون الحرامية** بظهره
روى الحرث بن همام عن ابي زيد السروجي انه قال ما زلت

مذ رحلت عنسي وارتحلت عن عرسي وغرسي احن الى عيان
البصرة حنين المظلوم الى النصرة لما اجمع عليه ارباب
الدراية واصحاب الرواية من خصائص معالمها وعلمائها
ومآثر مشاهدها وشهدائها واسال الله تعالى ان يوطئني
ثراها لافوز بمرآها وان يمطيني قراها لاقتري قراها
فلما احلنيها الحظ وسرح لي فيها اللحظ رايت بها ما
يملاء العين قرة ويسلي عن الاوطان كل غريب فغلست
في بعض الايام حين نصل خضاب الظلام وهتف ابو
المنذر بالنوام لاخلو في خططها واقضي الوطر من توسطها
فاداني الاختراق في مسالكها والانسلاك في سككها الى
محلة موسومة بالاحترام منسوبة الى بني حرام ذات مساجد
مشهودة وحياض مورودة ومبان وثيقة ومغان
انيقة وخصائص اثيرة ومزايا كثيرة نظم بها ما شئت
من دين ودنيا وجيران تنافوا في العليا فمشغوف
بآيات المثاني ومفتون برنات المثاني ومضطلع بتلخيص

المعاني ؞ ومطّلع على تخليص عانِ ؞ وكم من قارئٍ فيها وقارٍ ؞
أضرّا بالجفون وبالجفانِ ؞ وكم من معلمٍ للعلم فيها ونادٍ ؞
للندى حلو المجاني ؞ ومغنىً ما يزال يغنّ فيه ؞ أغاريد الغواني ؞
والأغاني ؞ فصلْ إن شئت فيها من يصلّي ؞ وإمّا شئت ؞
فادنُ من الدنانِ ؞ ودونك صحبة الأكياس فيها ؞ أو الكاسات ؞
منطلق العنانِ ؞ قال فبينما أنا أنفض طرقها ؞ وأستشف ؞
رونقها ؞ إذ لُحتُ عند دلوك براح ؞ وأظلال الرواح ؞ مسجداً
مشتهراً بطرائفه ؞ مزدهراً بطوائفه ؞ وقد أجرى أهله ذكر ؞
حروف البدل ؞ وجروا في حلبة الجدل ؞ فعجت نحوهم لأستمطر
نوءهم ؞ لا لأقتبس نحوهم ؞ فلم يك إلا كقبسة العجلان ؞ حتى
ارتفعت الأصوات بالأذان ؞ ثم ردف التأذين بروز الإمام ؞
فأغمدت ظبى الكلام ؞ وحلّت الحبا للقيام ؞ وشغلنا بالقنوت ؞
عن استمداد القوت ؞ وبالسجود عن استنزال الجود ؞ ولما قضي
الفرض ؞ وكاد الجمع ينفضّ ؞ وأبيح لنا الانتشار في الأرض ؞
انبرى من الجماعة ؞ كهل حلو البراعة ؞ له مع السمت الحسن ؞

دلاقة

ذلاقة اللسن ؞ وفصاحة الحسن ؞ وقال يا جيرتي الذين ؞
اصطفيتهم على أغصان شجرتي ؞ وجعلت خطّتهم دار هجرتي ؞
واتخذتهم كرشي وعيبتي ؞ أما تعلمون ؞ أنّ لبوس الصدق ؞
أبهى الملابس الفاخرة ؞ وأنّ فضوح الدنيا أهون من فضوح
الآخرة ؞ وأنّ الدين إمحاض النصيحة ؞ والإرشاد عنوان ؞
العقيدة الصحيحة ؞ وأنّ المستشار مؤتمن ؞ والمسترشد ؞
بالنصح قمن ؞ وأنّ أخاك هو الذي ؞ عذلك لا الذي عذرك ؞
وصديقك من صدقك ؞ لا من صدّقك ؞ فقال له الحاضرون ؞
أيها الخلّ الودود ؞ والخدن المودود ؞ ما سرّ كلامك الملغز ؞
وما شرح خطابك الموجز ؞ وما الذي تبغيه منا لننجز ؞ ولو
أعجز ؞ فوالذي حبانا بحبّك ؞ وجعلنا من صفوة أحبّتك ؞
ما نألوك نصحاً ؞ ولا ندّخر عنك نصحاً ؞ فقال جزيتم خيراً ؞ و
وقيتم ضيراً ؞ فإنكم من لا يشقى بهم جليس ؞ ولا يصدر عنهم
تلبيس ؞ ولا يخيب فيهم مظنون ؞ ولا يطوى دونهم مكنون ؞
وسأبثّكم ما حلّ في صدري ؞ وأستفتيكم فيما عيل له

صبري اعلموا أني كنت عند صلود الزند وصدود الجد أخلفت
مع الله نية العقد وأعطيته صفقة العهد على أن لا أسبا
مداما ولا أعاقر ندامى ولا أحتسي قهوة ولا أكتسي نشوة
فسولت لي النفس المضلة والشهوة المزلة أن نادمت الأبطال
وعاطيت الأرطال وأضعت الوقار وارتضعت العقار و
امتطيت مطاء الكميت وتناسيت التوبة كالميت ثم لم أقنع
بما أتيكم المرة في طاعة أبي مرة حتى علقت على الخندريس في
يوم الخميس وبت صريع الصهباء في الليلة الغراء وها أنا
بادي الكآبة لرفض الإنابة نامي الندامة لوصل المدامة شديد
الإشفاق من نقض الميثاق معترف بالإسراف في عب السلاف
فيا قوم هل لكفارة تعرفونها تباعدني من ذنبي وتدنيني إلى ربي
قال أبو زيد فلما حل أنشوطة نفثه وقضى الوطر من اشتكاء
بثه ناجتني نفسي يا أبا زيد هذه نهزة صيد فتشمر عن يد وأيد
فانتهضت من مجثمي انتهاض الشهم وانخرطت من الصف
انخراط السهم وقلت أيها الألمعي الذي فاق فضلا وسوددا

مدام قهوه عقار
کمیت خندریس صهبا
مدامه سلاف

والذي

والذي يبتغي الرشاد ليحويه غدا
إن عندي علاج ما بت منه مسهدا
فاستمعها عجيبة غادرتني مبلدا
أنا من ساكني سروج ذوي الدين والهدى
كنت ذا ثروة بها ومطاعا مسودا
مربعي مألف الضيوف ومالي لهم سدى
أشتري الحمد باللهى وأقي العرض بالجدى
لا أبالي بمنفس طاح في البذل والندى
أوقد النار باليفاع إذا النكس أخمدا
ويرى المؤملون ملاذا ومقصدا
لم يشم بارقي صد فانثنى يشتكي الصدا
لا ولا رام قابس قدح زندي فأصلدا
طال ما ساعد الزمان وأصبحت مسعدا
فقضى الله أن يغير ما كان عودا
بوأ الروم أرضنا بعد خفض توطدا

فاستباحوا حريم من صادفوه موجدا ❊ وحووا كلما استترت بها الى قمة ابدا ❊
فطوحت في البلاد طريدا مشردا ❊ والبكاء الذي به شمل انسي تبددا ❊
اسبأ ابنتي التي اسروها التعبدا ❊ فاستبن محنتي وسد الى نصرتي يدا ❊
واجرني من الزمان فقد جار واعتدى ❊ واعن على فكاك ابنتي من يد العدى ❊
فبذا تمحى المآثم عمن تمردا ❊ وبه تقبل الانابة ممن تزهدا ❊
وهو كفارة لمن زاغ عن نهجه ما اهتدى ❊ ولئن قمت منشدا فلقد قمت مرشدا ❊
فاقبل النصح والهداية واشكر من هدى ❊ واسمح الآن بالذي يقتني لتحمدا ❊
قال ابو زيد فلما اتممت هذرمتي ❊ واوهم المسئول صدق كلمتي ❊
اغراه القرم الى الكرم بمواساتي ❊ ورغبه الكلف بحمل الكلف في
مقاساتي ❊ فرضخ لي على الحافرة ❊ ونضخ لي بالعدة الوافرة ❊ فانقلبت
الى وكري ❊ فرحا بنجح مكري ❊ قد حصلت من سوق الكيد ❊ على
سويق الشريد ❊ ووصلت من حولاء القصيدة ❊ الى لولاء العصيدة ❊
قال الحرث بن همام فقلت له سبحان من ابدعك ❊ فما اعظم خدعك ❊
فاستغرب في الضحك ❊ ثم انشد غير مرتبك ❊ عش بالخداع ❊
فانت في دهر بنوه كاسد بيشة ❊ وادر قناة المكر حتى تستدير ❊

رحا المعيشة ❊ وصد النسور فان تعذر صيدها فاقنع بريشة ❊
واجن الثمار فان تفتك فرض نفسك بالحشيشة ❊ فارح فؤادك
ان نبا دهر من الفكر المطيشة ❊ فتغاير الاحداث يؤذن باستحالة
كل عيشة

المقامة التاسعة والاربعون الساسانية

حكى الحرث بن همام قال بلغني ان ابا زيد حين ناهز القبضة ❊
وابتزه قيد الهرم النهضة ❊ احضر ابنه ❊ بعدما استجاش ذهنه ❊
وقال له يا بني انه قد دنا ارتحالي من الفناء ❊ واكتحالي بمرود الفناء ❊
وانت بحمد الله ولي عهدي ❊ وكبش الكتيبة الساسانية ❊
من بعدي ❊ ومثلك لا تقرع له العصا ❊ ولا ينبه بطرف
الحصا ❊ ولكن قد ندب الى الاذكار ❊ وجعل صقالا للافكار ❊
واني اوصيك بما لم يوص به شيث الانباط ❊ ولا يعقوب الاسباط ❊
فاحفظ وصيتي ❊ وجانب معصيتي ❊ واحذ مثالي ❊ واقتف
امثالي ❊ فانك ان استنصحت نصحي واستصبحت بصبحي امرع
خانك ❊ وارتفع دخانك ❊ وان تناسيت سورتي ❊ ونبذت
مشورتي ❊ قل رماد اثافيك ❊ وزهد اهلك ❊ ورهطك ❊

فيك · يا بُنيّ إنّي جرّبتُ حقائقَ الأمور · وبلوتُ تصاريفَ
الدهور · فرأيتُ المرءَ بنشبِه لا بنسبِه · والفحصَ عن مكسبِه
لا عن حسبِه · وكنتُ سمعتُ أنّ المعايشَ إمارةٌ وتجارةٌ
وزراعةٌ وصناعةٌ · فمارستُ هذه الأربعَ لأنظرَ أيُّها
أوفقُ · وأنفعُ · فما أحمدتُ منها معيشةً · ولا استرغدتُ فيها
عيشةً · أمّا فُرَصُ الولاياتِ · وخُلَسُ الإماراتِ · فكأضغاثِ
الأحلامِ · والفيءِ المنتسخِ بالظلامِ · وناهيكَ غُصّةً بمرارةِ
الفطامِ · وأمّا بضائعُ التجاراتِ · فعُرضةٌ للمخاطراتِ
وطُعمةٌ للغاراتِ · وما أشبهها بالطيورِ الطائراتِ · وأمّا
اتّخاذُ الضِّياعِ · والتصدّي للازدراعِ · فمَنهكةٌ للأعراضِ
وقيودٌ عائقةٌ عن الارتكاضِ · وقلّما خلا ربُّها من إذلالٍ أو
رُزِقَ روحَ بالٍ · وأمّا حِرَفُ أولي الصناعاتِ · ففاضلةٌ عن
الأقواتِ · ولا نافقةٌ في جميعِ الأوقاتِ · ومُعظمُها معصوبٌ
بشبيبةِ الحوّةِ · ولم أرَ ما هو لذيذُ المطعمِ · وافي المكسبِ
صافي المشربِ · إلّا الحرفةَ التي وضعَ ساسانُ أساسَها · ونوّعَ

اجناسها

أجناسَها · وأضرمَ في الخافقَين نارَها · وأوضحَ لبني غبراءَ منارَها ·
فشهِدتُ وقائعَها مُعلِمًا · واخترتُ سيماها لي ميسمًا · إذ كانت
المتجرَ الذي لا يبورُ · والمنهلَ الذي لا يغورُ · والمصباحَ الذي
يعشو إليه الجمهورُ · ويستصبحُ به العُميُ والعُورُ · وكان أهلُها
أعزَّ قبيلٍ · وأسعدَ جيلٍ · لا يُرهقُهم من حيفٍ · ولا يُقلقُهم
سلُّ سيفٍ · ولا يخشونَ حُمةَ لاسعٍ · ولا يدينونَ لدانٍ · ولا
شاسعٍ · ولا يرهبونَ من برقٍ ورعدٍ · ولا يحفلونَ بمن قامَ
وقعدَ · أنديتُهم منزّهةٌ · وقلوبُهم مرفّهةٌ · وطُعمُهم معجّلةٌ · و
أوقاتُهم غُرٌّ محجّلةٌ · أينما سقطوا لقطوا · وحيثما انخرطوا
خرطوا · لا يتّخذونَ أوطانًا · ولا يتّقونَ سلطانًا · ولا يمتازونَ
عمّا تغدو خِماصًا · وتروحُ بِطانًا · فقالَ له ابنُه يا أبتِ لقد
صدقتَ فيما نطقتَ · ولكنّكَ رتقتَ وما فتقتَ · فبيّنْ لي
كيفَ أقتطفُ · ومن أينَ يُؤكلُ الكتفُ · فقالَ يا بنيّ إنّ
الارتكاضَ بابُها · والنشاطَ جلبابُها · والفطنةَ مصباحُها ·
والقِحةَ سلاحُها · فكن أجولَ من قُطربٍ · وأسرى من جُندبٍ ·

وأنشط من ظبي مقمر، وأسلط من ذئب متنمّر، وأقدح زند
جدك بجدك، واقرع باب رغبك بسعيك، وجب كل فج
وخض كل لج، وانتجع كل روض، وألق دلوك إلى كل حوض
ولا تسأم الطلب، ولا تملّ الدأب، فقد كان مكتوبا
على عصا شيخنا ساسان: من طلب جلب، ومن جال
نال، وإياك والكسل، فإنه عنوان النحوس، ولبوس ذي
البوس، ومفتاح المتربة، ولقاح المتعبة، وشيمة العجزة
الجهلة، وشنشنة الوكلة التكلة، وما أشتار العسل من

الأمثال

الكسل، ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة، وعليك بالإقدام
ولو على الضرغام، فإن جرأة الجنان، تطلق العنان، وتنطق
اللسان، وبها تدرك الحظوة، وتملك الثروة، كما أن الخور
صنو الكسل، وسبب الفشل، ومبطأة للعمل، ومجبنة للأمل
ولهذا قيل في المثل: من جسر أيسر، ومن هاب خاب، ثم ابرز
يا بني في بكور أبي زاجر، وجرأة أبي الحارث، وحزامة أبي
قترة، وختل أبي جعدة، وحرص أبي عقبة، ونشاط أبي وثاب

ومكر ابن

ومكر أبي الحصين، وصبر أبي أيوب، وتلطف أبي غزوان، و
تلون أبي براقش، واخلب بصوغ اللسان، واخدع بسحر البيان
وارتد السوق قبل الجلب، وامتر الضرع قبل الحلب، وسائل
الركبان قبل المنتجع، ومهّد لجنبك قبل المضطجع، واشحذ
بصيرتك للعيافة، وأنعم نظرك في القيافة، فإن من صدق
توسمه طال تبسمه، ومن أخطأت فراسته، أبطأت فرهته
وكن يا بني خفيف الكلّ قليل الدلّ، راغبا عن الغلّ قانعا
من الوبل بالطلّ، وعظّم وقع الحقير، واشكر على النقير، ولا تقنط
عن الردّ، ولا تستبعد رشح الصلد، ولا تيأس من روح الله
إلا القوم الكافرون، وإذا خيّرت بين ذرّة منقودة، ودرّة
موعودة، فمل إلى النقد، وفضّل اليوم على الغد، فإن للتأخير
آفات، وللعزائم بدوات، وللعدات معقبات، وبينها و
بين النجاز عقبات، وأيّ عقبات، وعليك بصبر أولي
العزم، ورفق ذوي الحزم، وجانب خرق المشتط، وتخلّق
بالخلق السبط، وقيّد الدرهم بالربط، وشب البذل بالضبط

ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط
ومتى نبا بك بلد أو نابك فيه كمد فبت منه أملك
واسرح عنه حملك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقلن
الرحلة ولا تكرهن النقلة فإن أعلام شريعتنا وأشياخ
عشيرتنا أجمعوا على أن الحركة بركة والطراوة سفتجة وزروا
على من زعم أن الغربة كربة والنقلة مثلة وقالوا هي نغلة
من اقتنع بالرذيلة ورضي بالحشف وسوء الكيلة وإذا
أزمعت الاغتراب وأعددت له العصا والجراب فتخير الرفيق
المسعد من قبل أن تصعد فإن الجار قبل الدار والرفيق
قبل الطريق خذها إليك وصية لم يوصها قبلي أحد

غراء حاوية خلاصات المعاني والزبد
نقحتها تنقيح محض النصح واجتهد
فاعمل بما مثلته عمل اللبيب أخي الرشد
حتى يقول الناس هذا الشبل من ذاك الأسد

ثم قال يا بني قد أوصيت
واستقصيت فإن اقتديت فواها لك وإن اعتديت

فاها

فآها منك وأرجو أن لا تخلف ظني فيك فقال له ابنه
يا أبه لا وضع عرشك ولا رفع نعشك فلقد قلت سدادا
وعلمت رشدا ونحلت ما لم ينحل والد ولدا ولئن أمهلت
بعدك ولا ذقت فقدك فلأتأدبن بآدابك الصالحة
ولأقتدين بآثارك الواضحة حتى يقال ما أشبه الليلة بالبارحة
والغادية بالرائحة فاهتز أبو زيد لجوابه وابتسم وقال من
أشبه أباه فما ظلم قال الحارث بن همام فأخبرت أن بني
ساسان حين سمعوا هذه الوصايا الحسان فضلوها
على وصايا لقمان وحفظوها كما تحفظ أم القرآن حتى إنهم
ليرونها إلى الآن أولى ما لقنوه الصبيان وأنفع لهم من
نحلة العقيان

المقامة الخمسون البصرية

حكى الحارث بن همام قال أشعرت في بعض الأيام هما برح بي
أشعاره ولاح على شعاره وكنت سمعت أن غشيان مجالس
الذكر يسرو غواشي الفكر فلم أر لإطفاء ما بي من الجمرة إلا
قصد الجامع بالبصرة وكان إذ ذاك ماهول المساند مشفوه

المَوارِد يَجتني من رياض أزاهير الكلام ويَسمع في أرجائه
صرير الأقلام فانطلقت فيه عن روان ولا الوي على شان
فلمّا وطئت حصاه واستشرفت أقصاه تراءى لي ذو أطمار بالية
فوق صخرة عالية وقد عصبت به عصب لا يحصى عديدهم
ولا يُنادى وليدهم فابتدرت قصده وتورّدت وِرده
ورجوت أن أجد شفائي عنده ولم أزل أتنقّل في المراكز
وأُغضي للّاكز والواكز إلى أن جلست بجاهه وبحثت
أمت اشتباهه فإذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه ولا لبس
يخفيه فسرّى بمرآه همّي وارفضّ كثير غمّي وحين
رآني وبصر مكاني قال يا أهل البصرة رعاكم الله ووقاكم
وقوّى تقاكم فما أضوع ريّاكم وأفضل مزاياكم بلدكم أوفى
البلاد طُهرة وأزكاها فطرة وأفسحها رقعة وأمرعها
نجعة وأقومها قبلة وأوسعها دجلة وأكثرها نهرًا ونخلة
وأحسنها تفصيلًا وجملة دهليز البلد الحرام وقبالة الباب
والمقام وأحد جناحي الدنيا والمصر المؤسس على التقوى

لم يدنس

لم يدنس ببيوت النيران ولا طيف فيه بالأوثان ولا سجد
فيه من أديمه على أديمه لغير الرحمن ذو المشاهد المشهودة
والمساجد المقصودة والمعالم المشهورة والمقابر المزورة
والآثار المحمودة المحدودة به تلتقي الفلك والركاب و
الحيتان والضباب والحادي والملّاح والقانص والفلّاح
والناشب والرامح والسارح والسابح وله آية المدّ الفائض
والجزر الغائض وأمّا أنتم فمن لا يختلف في خصائصهم اثنان
ولا ينكرها ذو شنآن دهماؤكم أطوع رعيّة لسلطان
وأشكرهم لإحسان وزاهدكم أورع الخليقة وأحسنهم طريقة
على الحقيقة وعالمكم علّامة كل زمان والحجّة في كل أوان
ومنكم من استنبط علم النحو ووضعه والذي ابتدع ميزان
الشعر واخترعه وما من فخر إلّا ولكم فيه اليد الطولى وإن
شئتم فأنتم أحق به وأولى ثم إنكم أكثر أهل الأرض
مؤذّنين وأحسنهم في النسك قوانين وبكم اقتدى في
التعريف وعرف التسحير في الشهر الشريف ولكم إذا قرب

المضاجع * وهجع الهاجع * تذكار يوقظ النائم * ويونس
القائم * وما ابتسم ثغر فجر * ولا بزغ نوره في برد ولاح *
الا ولنا ذنبكم بالاسحار * كدوي النحل فترقبوا لكم بشارة *
المصطفى * ورواها المصركم * وان كان قد عفا * ولم يبق منه
الا شفا * ثم انه خزن لسانه * وختم بيانه * حتى خرج بالاظفار
وقرف بالاقصار * فتنفس تنفس من قيد للقود * او ضبثت
به براثن اسد * ثم قال اما انتم يا اهل البصرة * فما منكم الا
العلم المعروف * ومن له المعرفة والمعروف * واما انا فمن عرفني *
فانا ذاك * وشر المعارف من اذاك * ومن لم يثبت عرفاني *
فساصدقه صفتي * انا الذي انجد واتهم * وايمن واشام *
واصحر وابحر * وادلج واسحر * نشات بسروج * وربيت
على السروج * ثم ولجت المضايق * وفتحت المغالق * و
شهدت المعارك * ولكت العرائك * واقدت الشوامس *
وارغمت المعاطس * واذبت الجوامد * وامعت الجلامد *
سلوا عني المشارق والمغارب * والمناسم والغوارب *

والمحافل * والجحافل * والقبائل * والقنابل * واستوضحوا
من نقلة الاخبار * ورواة الاسمار * وحداة الركبان *
وحذاق الكهان * لتعلموا كم من فج سلكت * وحجاب
هتكت * ومهلكة اقتحمت * وملحمة الحمت * وكم الباب
خدعت * وبدع ابتدعت * وفرص اختلست * واسد
افترست * وكم محلق غادرته لقا * وكامن استخرجته بالرقا *
وجموح سحرته حتى انصدع * واستنبطت زلاله بالخدع *
ولكن ما فرط ما فرط * والغصن رطيب * والفود غربيب *
وبرد الشباب قشيب * واما الان * وقد استشن الاديم *
وتاود القويم * واستنار الليل البهيم * فليس الا الندم *
ان نفع * وترقيع الخرق الذي قد اتسع * وقد رويت
في الاثار المسندة * والاخبار المعتمدة * ان لكم من الله تعالى في
كل يوم نظرة * وان سلاح الناس كلهم الحديد * وسلاحكم
الادعية * فقصدتكم * انضي الرواحل * واطوي المراحل *
حتى مثلت هذا المقام * فيكم * ولا من لي عليكم * اذ ما سعيت

الا في حاجتي ولا يخيب الا الراجي ولست ابغي اعطيتكم
بل استدعي ادعيتكم ولا اسالكم اموالكم بل استنزل
سوالكم فادعوا الله ثم بتوفيقي للمتاب والاعداد للماب
فانه رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ثم انشد
استغفر الله من ذنوب افرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلا ورحت في الغي واغتديت
وكم اطعت الهوى اغترارا واحتلت واغتلت وافتريت
وكم خلعت العذار ركضا الى المعاصي وما ونيت
وكم تناهبت في التخطي الى الخطايا وما انتهيت
فليتني كنت قبل هذا نسيا ولم اجن ما جنيت
فالموت للمجرمين خير من المساعي التي سعيت
يا رب عفوا فانت اهل للعفو عني وان جنيت
قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء ويقلب
وجهه في السماء الى ان دمعت اجفانه وبدا رجفانه

فصاح الله اكبر بانت امارة الاستجابة وانجابت غشاوة
الاسترابة فجزيتم يا اهل البصرة جزاء من هدى من الحيرة
فلم يبق في القوم الا من سر بسروره ونضح له بميسوره
فقبل عفو برهم واقبل يهرف في شكرهم ثم انحدر من
الصخرة يؤم شاطئ البصرة واعتقبته الى حيث تخالينا
وامنا التحسس والتجسس علينا فقلت له لقد اغربت
في هذه النوبة فما رايك في التوبة فقال اقسم بعلام
الخفيات وغفار الخطيئات ان شاني لعجاب وان دعاء
قومك لمجاب فقلت زدني افصاحا زادك الله صلاحا
فقال وابيك لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع ثم
انقلبت بقلب المنيب الخاشع فطوبى لمن صغت قلوبهم
اليه وويل لمن باتوا يدعون عليه ثم ودعني وانطلق واودعني
القلق فلم ازل اعاني الفكر واستوفي الى خبره ما ذكر
وكلما استنبات خبره من الركبان وجوابة البلدان
كنت كمن حاور عجماء او نادى صخرة صماء الى ان لقيت

بعد تراخي الأمد، وتراخي الكمد، ركبا قافلين من سفر،
فقلت هل من مغربة خبر، فقالوا إن عندنا لخبرا أغرب
من العنقاء، وأعجب من نظرة الزرقاء، فسألتهم إيضاح
ما قالوا، وأن يكيلوا لي ما اكتالوا، فحكوا أنهم ألمّوا بسروج،
بعد ما فارقها العلوج، فرأوا أبا زيدها المعروف، قد لبس
الصوف، وأمّ الصفوف، وصار بها الزاهد الموصوف،
فقلت أتعنون ذا المقامات، قالوا إنه الآن ذو الكرامات،
فحفزني إليه النزاع، ورأيتها فرصة لا تضاع، فارتحلت
رحلة المجدّ، وسريت نحوه سرى المجدّ، حتى حللت بمسجده،
وقرارة متعبده، فإذا به قد نبذ صحبة أصحابه، وانتصب
في محرابه، وهو ذو عباءة مخلولة، وشملة موصولة، فهبته
مهابة من ولج على الأسود، وألفيته ممن سيماهم من أثر
السجود، ولما فرغ من سبحته، حيّاني بمسبحته، من غير أن نغم
بحديث، ولا استخبر عن قديم ولا حديث، ثم أقبل على
أوراده، وتركني أعجب من اجتهاده، وأغبط من يهدي الله

من عباده

من عباده، ولم يزل في قنوت وخشوع، وسجود وركوع،
وإخبات وخضوع، إلى أن أكمل إقامة الخمس، وصار اليوم
أمس، ثم انكفأ بي إلى بيته، وأسهمني في قرصه وزيته،
ثم نهض إلى مصلّاه، وتخلّى بمناجاة مولاه، حتى إذا التمع
الفجر، وحقّ للمتهجد الأجر، عقّب تهجده بالتسبيح، ثم
اضطجع ضجعة المستريح، وجعل يرجّع بصوت فصيح،
خلّ ادّكار الأربع، والمعهد المرتبع، والظاعن المودّع، وعدّ عنه
ودع، واندب زمانا سلفا، سوّدت فيه الصحفا، ولم تزل
معتكفا، على القبيح الشنع، كم ليلة أودعتها، مآثما أبدعتها،
لشهوة أطعتها، في مرقد ومضجع، وكم خطى حثثتها، في خزية
أحدثتها، وتوبة نكثتها، في ملعب ومرتع، وكم تجرّأت
على ربّ السموات العلى، ولم تراقبه ولا صدقت فيما تدّعي،
وكم غمطت برّه، وكم أمنت مكره، وكم نبذت أمره، نبذ
الحذا المرقّع، وكم ركضت في اللعب، وفهت عمدا بالكذب،
ولم تراع ما يجب من عهده المتّبع، فالبس شعار الندم

واسكب شآبيب الندم ❊ قبل زوال القدم ❊ وقبل سوء المصرع ❊

واخضع خضوع المعترف ❊ ولذ ملاذ المقترف ❊ واعص هواك وانحرف ❊

عنه انحراف المقلع ❊

إلام تسهو وتني ❊ ومعظم العمر فني ❊ فيما يضر المقتني ❊ ولست بالمرتدع ❊

أما ترى الشيب وخط ❊ وخط في الرأس خطط ❊ ومن يلح وخط الشمط ❊

بفوده فقد نعى ❊

ويحك يا نفس احرصي ❊ على ارتياد المخلص ❊ وطاوعي وأخلصي ❊

واستمعي النصح وعي ❊

واعتبري بمن مضى ❊ من القرون وانقضى ❊ واخشي مفاجاة القضا ❊

وحاذري أن تخدعي ❊

وانتهجي سبل الهدى ❊ وادكري وشك الردى ❊ وأن مثواك غدا ❊

في قعر لحد بلقع ❊

آها له بيت البلى ❊ والمنزل القفر الخلا ❊ ومورد السفر الأولى ❊

واللاحق المتبع ❊

بيت يرى من أودعه ❊ قد ضمه واستودعه ❊ بعد الفضا والسعة ❊

قيد ثلاث أذرع ❊

لا فرق أن يحله ❊ داهية أو أبله ❊ أو معسر أو من له ❊

ملك كملك تبع ❊

وبعده العرض الذي ❊ يحوي الحيي والبذي ❊ والمبتدي والمحتذي ❊

ومن رعى ومن رعي ❊

فيا مفاز المتقي ❊ وربح عبد قد وقي ❊ سوء الحساب الموبق ❊

وهول يوم الفزع ❊

ويا خسار من بغى ❊ ومن تعدى وطغى ❊ وشب نيران الوغى ❊

لمطعم أو مطمع ❊

يا من عليه المتكل ❊ قد زاد ما بي من وجل ❊ لما اجترحت من زلل ❊

في عمري المضيع ❊

فاغفر لعبد مجترم ❊ وارحم بكاه المنسجم ❊ فأنت أولى من رحم ❊

وخير مدعو دعي ❊

قال فلم يزل يرددها بصوت رقيق ❊ ويصلها بزفير وشهيق ❊

حتى بكيت لبكاء عينه كما كنت من قبل أبكي عليه ثم برز
إلى مسجده بوضوء تهجده وانطلقت ردفه وصليت مع
من صلى خلفه ولما انفض من حضر وتفرقوا شغر بغر
أخذ يهينم بدرسه ويسبك يومه في قالب أمسه وفي ضمن
ذلك يرنو إلى الرقوب ويبكي ولا بكا يعقوب حتى
استبنت أنه قد لحق بالأفراد وأشرب قلبه هوى الانفراد
فأخطرت بقلبي عزمة الارتحال وتخليته والتخلي بتلك
الحال فكأنه تفرس ما نويت أو كوشف بما أخفيت فزفر
زفرة الأواه ثم قرأ فإذا عزمت فتوكل على الله فأسجلت
عند ذلك بصدق المحدثين وأيقنت أن في الأمة محدثين
ثم إني دنوت إليه كما يدنو المصافح وقلت أوصني أيها
الصالح فقال اجعل الموت نصب عينك وهذا فراق
بيني وبينك فودعته وعبراتي يتحدرن من المآقي و
زفراتي يتصعدن من التراقي وكانت هذه خاتمة التلاقي

ختم الكتاب قال الشيخ الإمام الأوحد أبو محمد القسم بن علي

هذا آخر المقامات التي أنشأتها بالاغتراب وأمليتها بلسان الاضطراب
وقد الجأني إلى أن أصدتها للاستعراض ونادت عليها في سوق
الأعراض هذا مع معرفتي بأنها من سقط المتاع ومما يستوجب
أن يباع ولا يبتاع ولو غشيني نور التوفيق ونظرت لنفسي
نظر الشفيق لسترت عواري الذي لم يزل مستورا ولكن كان ذلك في
الكتاب مسطورا وأنا أستغفر الله تعالى مما أودعتها من أباطيل اللغو
وأضاليل اللهو وأسترشده إلى ما يعصم من السهو ويحظي بالعفو
إنه أهل التقوى وأهل المغفرة وولي الخيرات في الدنيا والآخرة

حسب الامر الحکم بندگان خدایگان فریدون شان

منبع الجود والاحسان نور خورشید سپهر فضل و هنر روشنی دیده اقبال فتح و ظفر رافع اعلام علم و فضل و کمال

و قامع عناق اهل بغی و ضلال [illegible] شمشیر [illegible] دلیری و درخشان کوکب سپهر سروری [illegible] طراز

مسند الملک [illegible] تربیع شریعت [illegible] مشمول [illegible] منظور نظر

حضرت [illegible] سپهر رکاب قبله [illegible] احمد خان [illegible] مرتضی شد قد تم هذا

الکتاب بالیمن والسعادة فی یوم الجمعة غرة شهر ربیع الثانی [illegible] ید اقل الخلیقة [illegible] الحقیقة [illegible]

من شهور الهجرة النبویة [illegible] الف [illegible] ثلث و عشرون [illegible] بعد الالف

[illegible] ١٨٨ [illegible]

